صور وذكريات
عن المدينة المنورة

تأليف

السيد عثمان حافظ

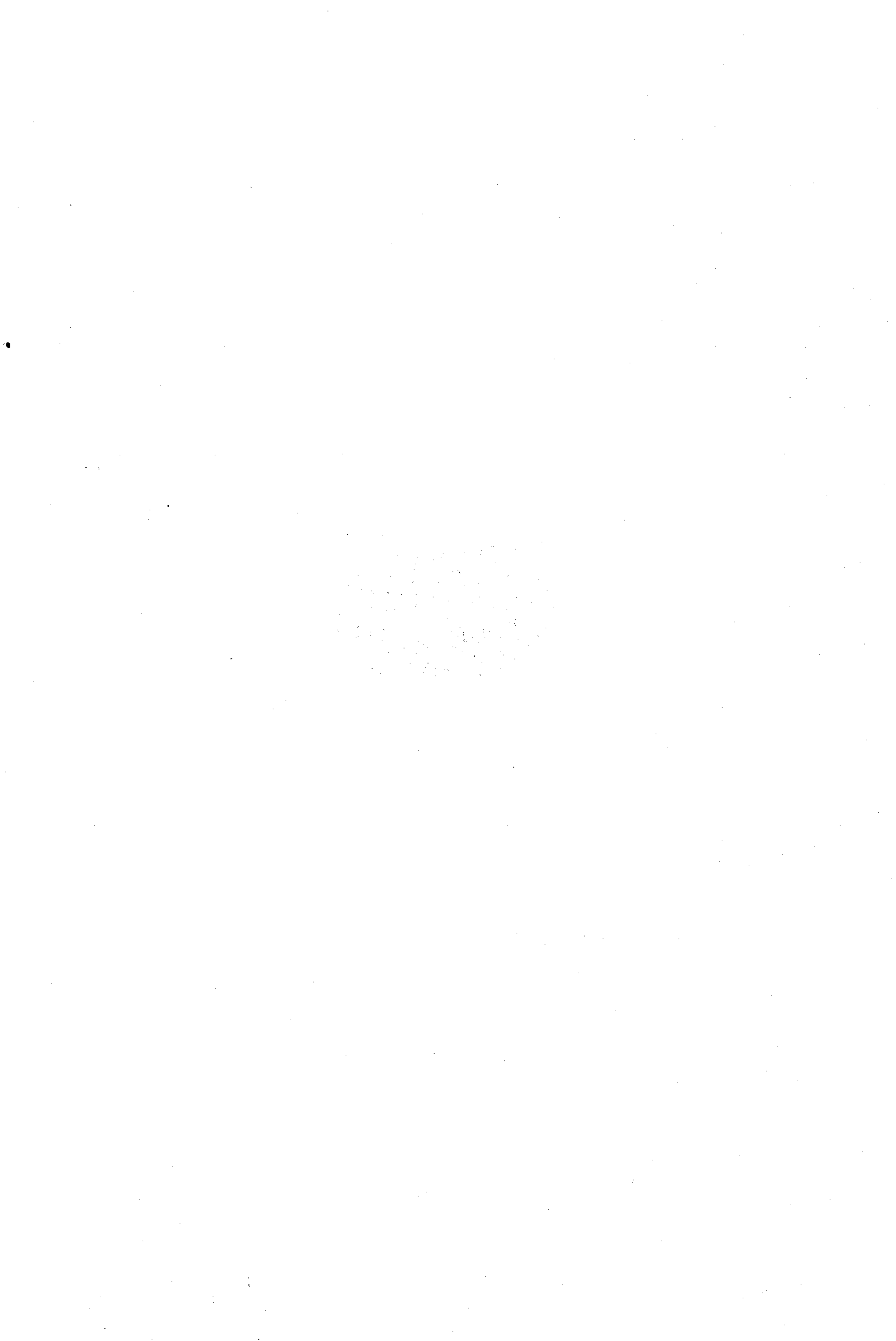
الطبعة الأولى

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

نادي المدينة المنورة الأدبي




بسم الله الرحمن الرحيم



بين يدي الكتاب

بقلم رئيس النادي

لا تزال المدينة المنورة رغم ماألف عنها من كتب، وصدر من دراسات وبحوث، تفتح كل يوم للباحثين والدارسين، العديد من النوافذ لارتياد الآفاق الجديدة، والمجهولة في تاريخها القديم والحديث وهى احدى الميزات البارزة التي عرفت عن هذه المدينة النبوية..

ففي كل يوم تستهوى قيثارة شاعر، أو قلم باحث، أو يتألق أحد معالمها الخالدة على لوحة فنية رائعة.

لذلك أحس بالكثير من الحرج، حين أحاول تقديم هذا الكتاب الجديد: (صور وذكريات عن المدينة المنورة) لاستاذنا الكبير السيد عثمان حافظ، على أنه آخر ماصدر عنها من كتب، فقد يكون هناك أكثر من كتاب يأخذ طريقه الى السوق أو الى المطبعة في هذه اللحظات، وقد يتاح لبعضها الصدور، قبل أن تتاح الفرصة نفسها لهذا الكتاب.

وهذا ما يحملني على أن اركز على جانب محدد من جوانب هذا الكتاب هو جانب المعايشة والاطار الواقعى، والبنوة البارة، الحفية بكل مايحقق لهذه البلدة الطيبة تطلعاتها، وطموحاتها.

فهذا الكتاب مجموعة مقالات كتبت منذ سنوات وبعضها قريب العهد ولكنه قليل، وهى في مجموعها تصوير لواقع تتطلب المرحلة الحضارية التي تعيشها بلادنا تغييره أو تطويره، اضافة الى ذكريات وخواطر وصور متعددة، جاءت نتيجة لتفاعل اديبنا الكبير مع الأحداث والمناسبات والوقائع التي مرت به، وكانت لها صلتها المباشرة بطيبة الطيبة، وبتاريخها، وبحياتها الادبية والاجتماعية والاقتصادية.

وهو لذلك يعتبر (وثيقة) هامة، لها وزنها حين يتاح لأحد الباحثين أن يدرس المراحل التي مرت بها المدينة المنورة خلال هذه الفترة الخصبة من ثم تاريخها، والتطورات التي شهدتها بعد ان هبت عليها رياح التغيير في هذا العهد الزاهر، واعادتها الى مكانها الحقيقى في مقدمة الركب.

ولعل هذه الناحية بالذات، هي التي تحفظ لبعض المقالات الصحفية وفي مقدمتها هذه المقالات بالطبع قيمتها الحقيقية رغم مرور الزمن وتعاقب الأحداث، لأنها تصبح جزءاً من التاريخ: تفسره، وتضيف اليه وتضع الخطوط الفاصلة بين الماضى والحاضر.

ففي هذا الكتاب الكثير من الامنيات والمطالب والتطلعات، ومن الصور التى تجاوزتها مسيرتنا الحضارية، واصبحت مجرد سطور أو صفحات في سفر ضخم يتألق بالمنجزات، ويتضوع بالامجاد.

الى جانب ماتحفل به هذه المقالات، من تصوير رائع لحقبة مرحلية من تاريخ المدينة المنورة، تعتبر ارهاصاً لكل مااستطاعت تحقيقه بفضل الله ثم بفضل ماحظيت به من رعاية وعناية واهتمام.

أما الكاتب الاستاذ السيد عثمان حافظ، فهو غني عن التعريف، لأن له دوره الرائد المعروف في ميادين الثقافة والفكر، وتاريخه الحافل المشرق في ارساء دعائم نهضتنا الصحفية.

وسيظل تاريخ الصحافة والادب في بلادنا مديناً للسيدين الجليلين: علي وعثمان لما بذلا من جهود، وحققا من انجازات، وغرسا من بذور مباركة.. طيبة اصبحت تؤتى اكلها على مستوى، استطيع أن أقول إنه عالمى دون أية مبالغة أو مغالاة.

ولقد كانت (جريدة المدينة المنورة) منذ تأسيسها ولا تزال، مدرسة فكرية التقى ويلتقى في رحابها كل يوم العديد من الاجيال، بين جيل مضطلع برسالته يحرص على ادائها بإيمان وعزيمة ودأب، وجيل يتلمس

طريقه الى خدمة أمته وبلاده، ودعم القيم والمبادىء التي نذر نفسه للدفاع عنها.

وفي هذا الكتاب ومضات من ذلك التاريخ الحافل، واضمامة عطرة من حدائق الفكر، والفن، والأدب، والتاريخ..

بقيت (ذكرى) لاتزال تتوهج في خيالي منذ فكرت في كتابة هذه الكلمة، وأنا احاول الا ارفع عنها الستار، حتى لااتهم باستغلال المقدمة للحديث عن نفسى، ولكنها امانة التاريخ..فمعذرة!

كان ذلك منذ زمن طويل.. وانا في مرحلة اليفاعة.. وكان والدي يرحمه الله ــ يختار لى بعض القصائد التي تستهويه وتهزه، لكي استظهرها وأترنم بالقائها، وينتهز فرصة زيارة أحد رجال الفكر والأدب لـ (دكانه) لأقوم بهذه المهمة، وكانت القصيدة ــ فيما اذكر ــ لعنتره: لايحمل الحقد من تعلو به الرتب ولاينال العلا، من طبعه الغضب واخطأت في نطق احدى الكلمات، فما كان من السيد عثمان ــ حفظه الله ــ الا أن أصلحها لى وهو يبتسم.. وقلت له وأنا مشدوه: هل تحفظها؟ فقال: لا.. ولكن سياق الكلام يدل على ذلك، وما كاد ينصرف حتى قلت لوالدي: هل هذا معقول؟ كيف يعرف انها خطأ وهو لايحفظها؟ فأجاب: الموضوع بسيط، أن هذه المعرفة نتيجة الدراسة المتواصلة والحفظ الكثير، وستصبح انت كذلك اذا واصلت دراستك..

واعترف أن هذه الومضة الخاطفة، كان لها أعمق الأثر فى نفسى، وأنها كانت من الومضات التي انارت لى دروب الادب والفكر والثقافة.

تحية من الأعماق لأستاذنا الكبير السيد عثمان حافظ، والى اللقاء معه في كتاب جديد بإذن الله،،،

المدينة المنورة

محمد هاشم رشيد



ذكريات عن المدينة المنورة

الحنين الى الاوطان ـ احدى طبائع الانسان ـ التى تلهب الشعور وتثير الاحساس. ولقد احسست بهذا الحنين ـ وانا اطوف شوارع المدينة المنورة وازقتها واحواشتها ـ التى كانت مرتع الطفولة والشباب.. ومربع الصبا والجمال.

ذكريات غاليات.. اثارت في النفس.. لواعج الحنين ـ واعادتنى الى نصف قرن مضى أو يزيد ـ قبل ان نشعر بمسئولياتنا في الحياة.. وقبل ان ندرك ان علينا واجبات للوطن والاهل والولد.

تزاحمت امامى هذه الذكريات.. وذكريات الطفولة.. لا تمحوها الايام.. فهى تستقر في النفس ولا تمحوها الايام.
ولقد شدتنى بعض اسطوانات المسجد النبوى الشريف.. شدتنى ـ اليها شدا ـ تلك الاسطوانات التى كنا نأوى اليها للمذاكرة أيام الامتحانات.. والتى كنا نركن اليها ونتجمع حولها ايام الدراسة بالمسجد النبوى بعد تخرجنا من المدرسة ـ التى كانت تنتهي عندها دراستنا ـ كان ذلك بين عام ١٣٤٠ و ١٣٤٢.

ولقد تغير على كل شىء بالمدينة ـ فلا الشوارع شوارعها.. ولا الازقة ازقتها.. ولاالمساكن مساكنها.. ولا النخيل نخيلها.. ولا المرابع مرابعها.. كل شىء تغير علي.. حتى يخيل الي ـ ان سماءها التى كنا ننام على صحوها في الاسطحة ونجومها التى كنا نعد بعض تجمعاتها قد تغيرت علي.. وسبحان من يغير ولايتغير.

نشرت في جريدة المدينة في ٦/٥/١٣٩٦هـ

لقد كنا اذا اردنا الخروج الى العالية ــ بقباء أو العوالى لقضاء يوم العطلة هناك.. نستمتع بما فيها من اشجار ور ياحين.. ونخيل واشجار وارفة الظلال.. ومياه عذبة تتدفق في الجداول والاحواض والبرك.. كنا نستعد لهذا اليوم قبل أيام.. ونطلع الى تلك المغاني على عربيات (الكرو) في طر يق ضيقة جدا ــ يتراوح عرضها بين متر ين ومتر ونصف ــ تسير بين البساتين على طول الطر يق فوق تراب ناعم طحنته عجلات العربات وحوافر الدواب.. ولاتلبث هذه الاتربة أن تتعالى.. ثم تنحط رؤوسنا فتملأ أنوفنا ووجوهنا بعفارها.. ولايريحنا منها الا تلك البرك الصافية التى كانت تزيل تلك الادران الذي خلفها الطريق والشلالات التي تضرب في البرك.

وفي نطاق النهضة العمرانية الشاملة تحولت تلك المسالك الضيقة ــ والازقة الملتوية ــ الى شوارع فسيحة مسفلته، تزاحمت في جنباتها العمارات الشاهقة واصطفت على حافاتها السيارات الفارهة واتصل العمران بمسجد قباء.. وبعدة كيلو مترات بشارعى، قربان والعوالي ــ ولكن ــ ياخسارة ــ تحولت تلك الشوارع المسفلته الى حفر عميقة وسطحية ــ وانقلبت طبقات الاسفلت (عاليها سافلها) وتعذر السير في بعضها لا على العربات فحسب ولكن حتى على المشاة على الاقدام.. وقالوا ان هذا في نطاق اصلاحها.

ومايشك احد ان هذه الحفر انما حفرت لصالح البلد.. لالعرقلة السير والتخريب.. ولو كانت الشركات والمصالح التي تتولى الحفر ــ ترعى شعور الناس ــ وتهتم ببنى آدم الذين يسيرون و يسكنون تلك المناطق التى يحفرونها ــ فلا تقوم بالحفر الا بعد ان تستكمل وسائل دفنها بالسرعة المطلوبة ــ لامكن الاستفادة من خدمات هذه الحفر.. وعادت بالخير على الناس.

ومع شديد الاسف انه لم يجر تنسيق بين المصالح التى تتولى الحفر فالكل يحفر بدون تنسيق مع الاخرين.. يقشع الاسفلت وتسد الطريق وتبقى الحفر عشرات الايام بدون دفن ــ ولاتنهى هذه المصلحة من الحفريات حتى تبدأ مصلحة أخرى بالحفر ــ مما عمق الشكوى وضاعف تذمر الناس..

ومن الغريب المؤسف ـ أن الحافرين ـ اذا صادفوا ماسورة ماء أو خطوط كهربائية او تليفونية قطعوها بدون مبالاه ـ وكم من الناس قد تضرر من انقطاع الماء والكهرباء عنهم ـ وكم توقف من التليفونات الهامة بسبب قطع كابلات التليفونات من الحفريات التى تجرى بدون (سنع) و بدون رقابة.

وبما أن كل هذه المعونات والخدمات التي تقدمها الدولة.. هي من اجل المصلحة ـ مصلحة المواطن ـ وتوفير سبل الراحة له ـ فإنه يجب ان يكون الاعتبار الاول في مشاريع الدولة ـ للاكثر فالاكثر اهمية بالنسبة لحاجاته ومصالحه.. ويجب ان يجرى تنسيق بين المصالح في الحفريات وفي دفن الحفر.

وأرى أن هناك عدة نواحي يجب الاهتمام وتقديمها على غيرها.. هي:
ـ توفير الماء في جميع الاحياء السكنية وادخاله الى كل منزل.
ـ توفير الخطوط التليفونية وادخال التليفون لكل طالب بأسرع مايمكن.
ـ توفير السكن لكل مواطن بأجور معقولة لا ترهقه.
ـ توفير الكهرباء في جميع المناطق التي تقوم بها العمارات والمساكن الحديثة.

هذه أشياء ضرورية وملحة ـ فلا يقدم عليها ـ مثلا نقض شارع أسفلتي وابداله بغيره أو ايجاد خط ثالث أو رابع أسفلتي بشارع فيه خطوط اخرى.

لاأدرى هل في هذا الكلام غلط او انه محتاج الى تعديل ـ فهل يمكن أن نسمع كلمة المسئولين في هذا الرأى أرجو ذلك ـ لأني كما أسلفت لم يقم مشروع من المشاريع الا والهدف منه مصلحة المواطن وتوفير الراحة له ـ والآراء الجماعية دائما أدق وأجدى من الآراء الفردية وماندم من استشار ولاخاب من استخار.

اما ما شاهدته من مفارقات بالمدينة المنورة فوعده اليوميات القادمة ان

شاء الله. ولقد سبق ان اقترحت في كلمة سابقة ــ ان تشكل لجنة وزارية أو على الأقل على مستوى وكلاء الوزارات لدراسة حاجة المواطن الضرورية ــ لتقديم الاهم على المهم من المشاريع.. أو أن تجرى هذه الدراسة بمجلس الوزارء عند عرض موازنة الدولة ومشاريعها في رأس السنة المالية.

حفظ القرآن الكريم في المسجد النبوي

في كل مرة ازور فيها المدينة المنورة.. يتجدد الحنين اليها، و يرف القلب للاقامة فيها.. والعيش في ربوعها.. و يزداد الشوق اليها والتعلق بها وذو الشوق القديم وان تعزى.. مشوق حين يلق العاشقينا..

لقد تذكرت.. وانا اطوف شوارع المدينة الحبيبة وازقتها التي نشأت فيها.. وربيت بين احضانها.

تذكرت ايام الصبا والعهود السابقة.. تذكرت لياليها الجميلة.. ومغانيها الباسمة.. ومناظرها الفاتنة وقد اختلفت معالمها على اختلافا كثيرا.. وتغير على كل شيء خلال العشرة اعوام التى مرت.. تغيرت الشوارع والمساكن والميادين.. حتى المسجد النبوى الشريف.. الذي كنا نقضى فيه معظم اوقاتنا.. عبادة، ودرسا، واستذكار الدروس.. حتى المسجد النبوي الشريف تغيرت حصباؤه — التى كانت تضاء ليلا بالثريات الكهربائية الجميلة.. وتقام فيها صلاة التراويح.. بعضها بالآيات القصيرة والسور القصيرة وبعضها بالمصحف كاملا من حفظة القرآن المجيد من الطلاب.

واذكر — وكأنه امامي الان — وقد مضى عليه اكثر من نصف قرن — اذكر ذلك السطر — التي كان يكتبه (امين مستودع المسجد النبوي) — على افندـ — يكتبه بالثريات الكهربائيه منذ اول شهر رمضان معلقاً في الهواء (اهلا وسهلا بشهر الصوم المبارك) .. وكان هذا سطر من الثريات الكهربائية يضيء اطراف المدينة و يرى من مكان بعيد للقادم للمدينة — يضاء هذا السطر طوال ليالي رمضان من كل عام فيزيد الجو بهجة وجمالا..

كل ذلك قد تغير حتى الكتاتيب التى بأخر المسجد التي حفظنا فيها

نشرت في جريدة المدينة في ١٣/٢/١٣٩٧هـ

القرآن ـ وفكينا فيها الحرف ـ قد تغيرت.. وكانت هذه الكتاتيب ـ تجمع ابناء طيبة واطفالها وهى المدارس الوحيدة لتعليم القراءة والكتابة.. وحفظ القرآن المجيد.. وكانت الى جانبها المدرسة الرشدية التي اسستها الحكومة العثمانية في المدة الاخيرة.. قبل الحرب العالمية الاولى وكان اقبال اهل المدينة عليها ضعيفا جدا.. اولا لان الدراسة فيها كانت باللغة التركية غير اللغة التي يعرفها اهل المدينة.. وثانيها ـ لما قام من دعاية ضدها.. من ان طلابها سيتحولون الى (عسكر) بعد التخرج منها.. حتى هذه الكتاتيب ليس لها اثر ـ فقد ضمت لتوسعة المسجد النبوي مع ماضم للتوسعة من اماكن.. واصبحت جزءا من المسجد النبوي الشريف.

وقد قفزت بى الذاكرة ـ الى تلك الاسطوانات التى كانت بقرب الكتاتيب والتى كنا نضع عليها الواحنا ـ التي نحفظ فيها القرآن.. بعد مسحها بالماء وطلائها، (بالمضر) بفتح الميم والضاد.. لتجفيفها على ضوء الشمس لكتابة درس جديد من القرآن.

وكان الخروج من الكتاب لتجفيف اللوح.. هو فرصتنا الوحيدة للفسحة والبعد عن عصا العريف الشيخ محمد بن سالم..

وللتاريخ ـ فإن هذه الكتاتيب ـ كان ثمانية منها اربعة في الدور الأرضى ـ واربعة في الدور الثاني ـ وكنا ندرس في كتاب الشيخ محمد الطرودي.. وكان شيخا هادئا وديعا ـ .. لااذكر على طول بقائنا في الكتاب ان عصا الشيخ الطرودي ـ لامست ارجلنا او ظهورنا ـ اما العريف ـ (الشيخ محمد بن سالم)، فقد كان شديدا على الطلاب.. قل ان يسلم طالب من عصاه ـ وكانت لديه عصا طويله اظن انها تزيد على مترين لتصل الى ابعد مدى فيه الطلاب ـ رحمهم الله واجزل لهم الثواب فقد كانوا سببا في حفظنا لكتاب الله.

والكتاب يضيق بالطلبة ـ فلا يقل عدد الطلاب عن خمسين أو ستين طالبا.. وأمام كتاب الطرودي ـ كان كتاب الشيخ ابراهيم فقيه والد

صديقنا الشيخ جعفر فقيه.. ولكن الشيخ جعفر فقيه لم يحفظ القرآن في كتاب والده ــ بل حفظه في كتاب الطرودي.. وكنا زملاء في الكتاب طيلة مدة دراستنا.

وكان هناك كتاب الشيخ عبده ابو خضير والشيخ النعمان، والشيخ محمد والشيخ احمد الكتامى.

كل هذه الكتاتيب كانت مزدحمة بالطلاب.. وكان الطالب يدخل الكتاب في سن الخامسة ــ ولايخرج منه الا بعد حفظ القرآن واقامة حفلة ختم القرآن المجيد وفي هذه الحفلة يلبس الطلاب احسن ثيابهم و يذهبون الى منزل صاحب الختم في طوابير منسقة.. ينشدون القصائد التقليدية.. أثناء سيرهم، من الكتاب الى منزل صاحب حفلة الختم.. وهناك يقدم لجميع الطلاب انواع الطعام والحلوى..

ايام حلوة لذيذة لا تنسى ابدا ــ وذكر يات تعاقبت عليها ازمان وازمان وهي قائمة في النفس وكأنها احداث الامس القر يب ــ وكيف تنسى ــ وقد امتزجت بدم الانسان وعصبه.. ولقد اثارت هذه الذكر يات الشعور ودغدغت العواطف.. وتركتني اسبح في خيالها الفسيح وصورها الرائعة ولا ادري لعلها طلائع التفكير في العودة الى تلك الربوع الحبيبة وقضاء بقية العمر في ذلك الجوار الرحيب.



حول ادارة خدمة الحرمين الشريفين

الحرمان الشريفان أكبر مساجد المسلمين في العالم وهما يضمان أفضل بقاع الأرض وأطهرها فالتربة التي ضمت جدث الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ــ هى أشرف بقعة على ظهر الأرض ـ والقطعة التي قامت عليها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس مثابة وأمنا هي أشرف قطعة على وجة البسيطة.

و يؤم الحرمين الشريفين المسلمون من جميع أقطار الدنيا.. وقد جعل الله افئدة من الناس تهوى اليهم ورزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون.

وقد فرض الله تعالى على كل مسلم حج هذا البيت لمن استطاع اليه سبيلا وندب لزيارة المسجد النبوي الشريف والصلاة والسلام على الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

والدولة تولى الحرمين الشريفين اهتماما بالغا وتهتم بكل مايتعلق بهما من اصلاحات وكان المغفور له الملك عبد العزيز ـ لايسمح أبدا بأجراء أى اصلاحات أو تعديلات بالحرمين الشريفين.. الا بعد عرض الأمر على جلالته وموافقته ولما حصل تصدع بأحدى اسطوانات المسجد النبوي ـ وهمت بعض الدولة الإسلامية بإجراء إصلاحات بالمسجد النبوي الشريف رفض جلالته أن يصرف أى شيء على أصلاح ماتصدع من اسطوانات وأمر بإجراء جميع الإصلاحات على نفقة جلالته الخاصة وفي اثناء إجراء هذه الإصلاحات.. عرضت جريدة (المدينة المنورة) على جلالته غفر الله له في كلمة ـ نشرتها في العدد ٢٩٧ في ٦ شعبان سنة ١٣٦٨هـ ـ توسعة المسجد النبوي الشريف لضيقه على الوافدين واضطرار المصلين للصلاة في

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٧/١١/١٩هـ

الشوارع والطرقات فوافق جلالته على التوسعة وأمر ــ بإجراء التوسعة على نفقة جلالته ــ وقامت العمارة فكانت تحفة فنية في البناء الأسلامي والتنسيق والأضاءه ثم صدر الأمر الكريم بتوسعة المسجد الحرام هذه التوسعة الكبرى التي ضاعفت من مساحته عدة أضعاف وأدخل مشعر المسعى الذي كان مجالا للبيع والشراء والسكن، والمغالق التجارية.. وطواف الحيوانات السائبة أدخل في حرم المسجد الحرام واختص بأداء نسك المسعى كما أجريت التوسعات الكبرى وأقيمت الميادين حول المسجدين الشريفين مما كلف الدولة مئات الملايين بل الوفها وفي الأزمنة السابقة كان قصاد الحرمين الشريفين يعدون بالألوف أو عشرات الألوف.. أما اليوم وبعد أن عبدت الطرقات وسهلت المواصلات وتنوعت فقد تضاعف عدد رواد الحرمين الشريفين حتى أصبحوا يعدون بالملايين وكان بعض قصاد الحرمين الشريفين يتخذون منها محلا للنوم والطعام والشراب وأدخال الأطفال الذين يوسخون المساجد ويعبثون بها.

وكنت شرحت هذه الأوضاع في مقال نشر بجريدة المدينة المنورة بتاريخ ١٦ شوال سنة ١٣٩٧هـ وأشرت الى نوم الزوار وأتخاذهم المسجد النبوي محلا لطعامهم وشرابهم.

ونظرا لما تتطلبه صيانة الحرمين الشريفين من عناية بالغة فقد اقترحت أن تسند ادارتها لمسؤول كبير في الدولة يتولى الأشراف على جميع شؤونها وأني احمد الله أن الدولة كانت مهتمة بأمر الحرمين الشريفين وصدر الأمر الكريم بأسناد ادارة الحرمين الشريفين لسماحة الشيخ ناصر محمد الراشد الذى كان يشغل الرئاسة العامة لتعليم البنات وقد وفقه الله تعالى في هذه المهمة ونهض بتعليم البنات نهضة كبرى وانتشر تعليم البنات في كل مدن المملكة وقراها.

وأني لاهنىء فضيلته بالثقة الكريمة وأهنئه أن أسند اليه هذا العمل الجليل وهو خدمة الحرمين الشريفين وأرجو أن يجد من عنايته المعروفة مايحسن أوضاعها من جميع النواحي.

ولقد كنت اقترحت في تلك الكلمة أن يكون محلا للدراسات الأسلامية واللغة العربية بحيث تنشأ فيهما كليات الدراسات الأسلامية العليا واللغة العربية وتكون تابعة للجامعة الأسلامية أو أى ــ جامعة أخرى ليعيدا سيرتهما الأولى فقد كانا مصدرا لتعليم الشؤون الدينية والإسلامية من صاحب الرسالة الأعظم صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة التابعين رضوان الله تعالى عليهم ــ فكانا جامعتين تخرج منهما فطاحل العلماء ــ الأعلام والأدباء والكتاب.

وأسأله تعالى أن يأخذ بيد هذا الشيخ الجليل وأن يعينه للأشراف بنفسه على خدمة هذين المسجدين وأن يوفقه في عمله هذا المقدس كما وفقه في عمله الثقافي الجليل الأول.



مكتبة الحرم النبوي الشريف

المكتبات ــ هي المورد العذب .. الذي يغذى طلبة العلم.. بالعلم والمعرفة ولايستغنى طالب علم.. عن وجود مكتبة بجانبه.. يرجع اليها للمراجعة والمدارسة مع زملائه.

وكان اساتذتنا يقولون لنا ــ ان العالم ــ هو الذي يستطيع أن يعرف الكتاب.. و يعرف مظان المسألة التي ير يد البحث عنها في الكتاب.

فالكتاب.. هو الاستاذ الاكبر للطالب اثناء دراسته المدرسية والجامعية.. و بعد الدراسة أيضا.. ومن ترك الكتاب تركه العلم.

وتكاد تقاس ثقافات الأمم والشعوب بما لديها من مكتبات.. وماتحو يه هذه المكتبات من نوادر الكتب المطبوعة والمخطوطة.

وكان العلماء الاعلام قبل أن توحد المواصلات السر يعة.. وقبل أن توجد المطابع على هذا النطاق الواسع.. كانوا يضربون أكباد الآبل.. في الشرق والغرب للأطلاع على كتاب.. أو نسخ كتاب.

وأذكر ان الشيخ التركزى الشنقيطى الذي كان يسكن المدينة المنورة.. وكان يخالف النحويين في صرف (عمر) و يقول أن (عمر) ليس ممنوعاً من الصرف وهو جمع (عمرة).

زار هذا الشيخ الفاضل ــ السلطان عبد الحميد العثماني في استامبول ــ واعجب بعلمه وفضله وعرض عليه السلطان عبد الحميد ــ اى حاجة له ليقضيها ــ فقال له حاجتان اثنتان أولهما ــ ترحيلي إلى مدينة (قرطبة) بالاندلس ومعى من يدلنى على المكتبة هناك ونسخ الكتاب (الفلاني) ونسخ

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/٣/٢٥هـ

مـاأجـد مـن كتب اخرى ليس عندى.. والثاني ان تأمر بصرف (عمر) لأن النـحـويين ظلموه بعدم صرفه.. فأجابه للاولى أما الثانية فقال له أنها تخضع لأراء وعلماء اللغة العربية.

وتهتم دور العـلـم ـ والجـامـعـات بـالمـكـتبات اهتماما بالغا حتى أصبح للمـكـتـبات نـظـام خـاص يـدرس في الجـامـعـات لـتنسقيها وتبويبها وطرق الاستفادة منها في الداخل والخارج واعارة الكتب واعادتها.

وأذكـر أنني زرت مـكـتـبـة جامعة (سكرامنتو) بلوس انجلوس.. فكانت عـبـارة عـن مـديـنـة قـائمة بذاتها.. وكانت المكتبة مجاورة للجامعة ولكنها في ضـخـامتهـا وسـعتهـا، وتـوفير الخـدمـات فيهـا، ولا تـقـل عن الجامعة في نظامها وعطائها.

لااريد أن أطيل الحديث.. والحديث عن المكتبات ذو شأن كبير.. ولقد أثـار هـذه المـقـدمـة مـارأيته بمكتبة الحرم النبوي الشريف في زيارتي الاخيرة للمدينة المنورة، وكانت الحكومة.. قد أقامت هذه المكتبة أثناء مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف الأولى.. وكانت تحفة في البناء والتنسيق وضربت عـليهـا قـبة بحجم المكتبة تشعرك بعظمتها وشأنها الخطير.. وتقع هذه المكتبة.. بين المحكـمـة الـشـرعـيـة الـكـبـرى ومـنزل فضيلة امام وخطيب المسجد النبوى الشريف.

وأذكـر أن أول مـن أسندت اليه ادارة هذه المكتبة الاستاذ الشيخ جعفر فـيـه.. وكـان ذلـك في عهد صديقنا العزيز الاستاذ السيد احمد العربي عندما كان مديرا عاما للأوقاف.

ورغـم أن الاسـتـاذ فـقـيـه قـد استلم المكتبة عبارة عن مباني وليس فيها كـتبا تذكر او دواليب لحفظ الكتب الا أنه ادارها على خير وجه وجعل منها مـكـتـبة كبرى ذات شأن ونفع كبير للعلماء ولطلاب العلم.. عمرها بالكتب الثـمـيـنـة، وتحـصـل لهـا على دوالـيـب رائعة معظمها كانت هدايا تحصل عليها

بجهده وعنايته وفقهه وثقة الناس به.. وأصبحت هذه المكتبة موردا عذبا للعلم ولطلاب العلم، وكانت الخدمات فيها عظيمة ومواعيد فتحها منظم تنظيما دقيقا وكانت مكتبة عارف حكمت المجاورة لهذه المكتبة لها نظامها في استقبال المراجعين وخدمتهم.. وكانت مكتبة عارف حكمت هي استاذنا الأول فقد كنا نقضى فيها الساعات الطوال في المراجعة ونسخ مانريد نسخه وكان شرط واقفها أن تكون جميع الكتب بها والذي أحضرها لها خطية ولكن في عهد مديرها النشيط الشيخ ابراهيم خربوتي أصبحت تقبل الكتب المطبوعة.. وبعد وفاته ضعفت بعض الشيء في خدماتها، واتجه الناس الى مكتبة الحرم النبوي الشريف.

ولقد كنت أزور مكتبة الحرم فأجدها عامرة بطلاب العلم والمراجعين وقد سهلت لهم المكتبة جميع الخدمات اللازمة.

وفي المدينة المنورة عشرات المكتبات وآلاف الكتب، ولكن رواد هذه المكتبات قليلون جدا ولايكاد يعرف هذه المكتبات الا القليل من الناس، وبعض هذه المكتبات كانت تابعة لمدارس أهلية لايستفيد منها الا طلاب المدرسة، وبعض هذه المدارس خالية من الطلاب وبعض تلك المكتبات مكتبات خاصة، ولايردها الا أصحابها أو اخصاء أصحابها فمكتبة الحرم النبوي الشريف سدت فراغا كبيرا في مجال استعدادها للمطالعة والمراجعة.

ثم ماحدث لقد أحيل مديرها السابق الشيخ جعفر فقيه على التقاعد لبلوغه السن القانونيه ومن الصدف الغريبة أن أحال على التقاعد أنا واياه في عام واحد ونحن اصدقاء منذ الطفولة كنت واياه وأخي السيد على حافظ.. نحفظ القرآن في كتاب الشيخ (ابراهيم الطرودي) وكنا نجلس ثلاثتنا على طاولة واحدة وكنا نسمعّ دروس القرآن بعضنا لبعض كان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى.. واستمرت صداقتنا في النمو والزيادة بفضل الله تعالى الى اليوم، وكان الشيخ جعفر يقرأ القرآن بصوت رخيم وكنا دائما نحب أن نسمعه.

وأذكر الآن انني قلت للمسؤول الكبير في وزراة الحج والأوقاف عندما أخبرني بظهور اسمى واسم جعفر فقيه للأحالة على التقاعد لأن تاريخ ميلادنا في سجلات الحج والأوقاف كان في عام واحد.. قلت للمسؤول الكبير أنني اعمل مديرا لادارة الحج عشرين عاما منذ ١٣٦٥هـ..غير الأعوام التي قضيتها في خدمة الدولة في دوائر اخرى وقد تعبت من العمل.. وكنت ابحث عن اليوم الأبيض الذي اخرج فيه من الوظائف وانا (بعيني وعافيتي) ولعل الله يعوضني خيرا مما كنت فيه.. وتذكرت وانا اتحدث مع المسؤول الكبير تذكرت قضية عامل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عزله من العمالة.. فقال له والله ياأمير المؤمنين لقد وليت هذا الأمر وليس شيئا أبغض الى منه.. واتركه الآن وليس لدى احب منه.. ولكنى وجدت أن هذا لاينطبق على من كل الوجوه لا في الأولى، ولا في الثانية يعنى لا حين توليت ولا حين تركت العمل وحمدت الله علي العافية.

ثم قلت لهذا المسئول أنكم سوف تجدون من يخلفنى ـــ بالراحة وقد تجدون من هو خير منى، ولكنكم سوف لاتجدون من يخلف جعفر فقيه في المكتبة، لأن جعفر فقيه أصبح ذا اختصاص في تنظيم المكتبات وأن معظم مافي المكتبة من كتب ودواليب وأثاث هو من جهده الخاص من الأوقاف ومن غير الأوقاف كان بوجاهته وثقة الناس به فقال أن وزارة المالية مشددة في احالة الموظفين الذي يبلغون السن القانونية. على التقاعد لأفساح المجال للناشئين المتعلمين ليشغلوا مراكز الذين انتهت مدة خدمتهم.. وقلت له كرة ثاينة أن جعفر فقيه سوف لايفقد المكتبة ولكن المكتبة وطلاب العلم الذين يستفدون من المكتبه هم الذين سوف يفقدون جعفر فقيه.. ورجوته أن أمكن تمديد مدة خدمته.

هذه المكتبة التي تحدثت عنها حديثا عابرا كانت كالزهرة المتفتحة، نظافة، ونظاما، واناقة، ولأنس شراب ماء الفخار التي كانت موضوعة في رحبتها وعليها الأغطية الصفر التي تلمع لمعانا وكانت هذه الشراب هي الوسيلة الوحيدة لتبريد الماء فكل شيء كان بها جميلا ومعتني به.

ولقد مررت اليوم على هذه المكتبة.. فلم أجد بالمكتبة النشاط الاول.

أن الحكومة مهتمة اهتماماً كبيراً بالمكتبات في المملكة قد أقامت في كل مدينة كبيرة مكتبة وعمرتها بالكتب وأعدتها لطلاب العلم، ومن المدن الرئيسية التي اهتمت بها (المدينة المنورة) فقد شيدت فيها مكتبة كبرى في المناخة فقامت على احدث طراز لمباني المكتبات والأمل أن تجمع فيها كتب جميع المكتبات و يستفيد طلاب العلم والمعرفة من هذه الثروة الكبيرة من الكتب.. والمكتبة بالمدينة على وشك أن تتسلمها وزارة الأوقاف.. وأرجو أن تعود الحياة لهذه المكتبة ريثما يتم استلام تلك المكتبة وتشغيلها على أن وجود مكتبتين أو ثلاث بالمعرفة ليس كثيرا لو أمكن تشغيل هذه وتلك.. فتكون هذه لطلاب الجامعات والطلاب عموما.. وتلك لطلاب المسجد النبوي الشريف الجامعة الأولى التي اخرجت العديد من طلاب العلم وفضائل العلماء منذ أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم.. على البر والتقوى.

ذكريات الحج في المدينة المنورة

ذكرت في عدد مضى ـ أن للمدينة تقاليدها الخاصة في الحج.. وأن لحج «السراره» تقليدا رائعا لايقل عن تقاليد الأفراح والطفل الذي يحج سراره.. لاينسى ابدا هذه الحجة طول عمره.. والسراره ـ هو الطفل الذي يحج مع أسرته، أو مع والده لأول مرة.. وسنه من السابعه والثامنه الى الخامسة عشرة.. وربما الى العشرين.. ووعدت بالتحدث عن تلك الذكريات الرائعة التي كانت جزء من ماضينا البعيد وجزء من حياتنا الممتعة التي لفها الزمن وطوتها الأيام ولم يبق الا ذكرها ـ وقد اختفى معظمها مع تعاقب «الحدثان».

وتدعوني المناسبة الآن ونحن في شهر ذي الحجة من الأشهر الحرم ـ والمسلمون يتأهبون لزيارة الأراضي المقدسة وحج بيت الله الحرام.. تدعوني هذه المناسبة للتحدث عن ذكريات الحج بالمدينة وذكريات حج أهالي المدينة المنورة.

* قدوم الحجاج:

تبدأ قوافل الحجاج تصل الى المدينة المنورة من شهر شعبان وأول مايصل من الحجاج للمدينة حجاج الشرق الأقصى ـ الأندونسيون والملازيون ـ وغيرهم.. ويسمون بالمدينة «بالجاوى» ويبدأ وصول الحجاج ـ الجاوى ـ الى جدة من شهر رجب وربما شهر جمادي الاخرة.. ولايبقى الحجاج ـ طويلا ـ بجدة ريثما تجرى معاملات قدومهم الرسمية.. ثم يتوجه بعضهم الى المدينة المنورة وبعضهم الى مكة المكرمة لصيام رمضان ـ وكانوا يأتون على الشقادف ـ كل بعير يشد عليه شقدفان مع أمتعتهم الخفيفة وداخل

نشرت في جريدة المدينة في ١٠/١٢/١٣٩٩هـ

الشقدف واسع يمكن للحاج أن ينام فيه ليلا بشكل مريح والقافلة الواحدة ــ من قوافل الحجاج يكون من مئات الشقادف ــ وقد تصل الى ألف حاج أو تزيد.

وتصل قوافل الحجاج عادة مع الفجر واذا جاء الحجاج كنا نعرفهم وصولهم مع قيامنا من النوم.. نصحى على أصوات الباعة بين الشقادف ينادون على بظائعهم (الانقرمنيس) وهو شراب الورد أو الليمون أو المهلبيات مع القطر أو الحلويات والخبز.. ونرى مع شقائق النور ــ المناخة وقد امتلأت بالشقادف ــ والمناخة هي مناخ الحجاج من قديم الزمان.. وهى ذات شقين مناخة «ديرو» وتبدأ من مسجد الغمامة شمالا الى باب الشامي وفيها أول نزل الشقادف للحجاج ومناخة الحطب وتبدأ من مسجد الغمامة جنوبا الى الحجارية والمراكشية ينزلها الحجاج بعد أن تمتلىء مناخة ديرو.. وسميت مناخة الحطب لأن باعة الحطب والفحم كانوا يشغلون جزءا منها ــ واذا زادت قوافل الحجاج نزلوا في رحبة باب الشامي الى سفح جبل سلع.

وقد اعتاد الجمالة أن يضعوا شقادفهم في المناخة على شكل دوائر لكل شيخ من مشايخ الجاوي، أو دليل من أدلاء الجاوي.. دائرة وتسد هذه الشقادف الدروب والطرق.. فلا يستطيع سكان المناخة الذهاب الى المسجد النبوي أو السوق الا بصعوبة كبيرة.

وأقل مايبقى فيه الحجاج بالمدينة ثمانية أيام ليتمكنوا من أداء أربعين فرضاً متوالية بالمسجد النبوي لما في الأثر عن الأجر العظيم لمن يؤدي بالمسجد النبوي أربعين صلاة متوالية لا تفوته صلاة مكتوبة.. على أن الحجاج الذين يصلون قبل رمضان دائما يصومون رمضان بالمدينة وتزدحم المدينة المنورة بالحجاج في شهر شوال وذي القعدة قبل الحج.. ثم في شهرى المحرم وصفر بعد الحج.. حتى لم يبق مكان لقدم وبعضهم الى ربيع الأول انتظارا لبواخرهم..

* الحج أيام زمان:

لم يكن الحج أيام زمان ـ كما هو عليه الآن من السهولة واليسر ـ بل ان فيه كثيرا من المتاعب والمشاق وماكنا ننال الحج الا بشق الأنفس.

فالمواصلات كانت طويلة ومتعبة ـ كانت المواصلات على الأبل وعلى الخيل والبغال والحمير.. لاعلى الطائرة والحديد كما هو عليه اليوم وكان الطريق الى مكة المكرمة ـ طريق طويل ووعر.. وكانت الطرق على طولها ووعورتها ليست أمنة واذا لم يستعد المرء لمقاومة من يحاول الاعتداء عليه فأنه يكون عرضه للسلب والنهب وربما للقتل ـ أيضا ولم يؤمن الطرقات و يستقر الامن في البلاد الا في العهد السعودي الزاهر.

وكانت كل أسرة من المدينة «تحالف» أحد المشايخ القبائل أو الشخصيات المعروفة بين القبائل يحمونهم من الاعتداء عليهم أثناء سفرهم من المدينة للحج، أو تجوالهم ببادية المدينة وأطرافها.. وكان اذا جاء هذا الحليف للمدينة ينزل على حليفه من أهل المدينة.. ضيفا هو وجماعته و يقوم الحليف المدني بواجب الضيافة مدة اقامته.. كل يوم ذبائح وكساوى وهدايا.. واذا سافر أحد من أهل المدينة وحاول الاعتداء عليه بعض العربان ذكر حليفه أو القبيلة المتحالف معها فيكفوا عنه ويحموه.

وقد اراحنا الله تعالى من هذه المشاكل ـ بعد أن أمنت البوادي والحواضر في عهد السعودي الزاهر وأصبحت هذه الحوادث في ذمة التاريخ ـ تروى كقصص تاريخية.. و يأتي أبناؤنا فلا يكادون يصدقونها لغرابتها لديهم وقد عاشوا في هذه الأيام الآمنة المطمئنة.

* حج أهالي المدينة:

أما عوائد الحج بالمدينة ـ فأني أذكر أن والدنا تغشاه الله برحمته اذ عزم على الحج ـ في عامه ـ بدأ في الاستعداد للحج من شهر رجب و يبدأ في

ارتياد سوق الأبل بعد كل عصر لشراء الراحلة التي يحج عليها.. وبعد أن يشتريها يسلمها لأحد الجمالة.. ليسرح بها في البادية على المراعي التي تشبع منها ـ ويعود الجمال في فترات متقطعة ليتفقدها ـ الوالد.. ثم يعود بها للمراعي في العشرة الاخيرة من شهر ذي القعدة يأتي بها ويبركها أمام الدار. وفيما أذكر أن قيمتها في حدود عشرين مجيديا وهي اما زادت عن ذلك قليلا أو نقصت وكنا نتناوب على ركوبها عصرا أنا وأخواني على حافظ الأكبر وابو السعود الأصغر ـ رحمه الله ـ عندما كان يأخذها الجمال ليسقيها أما من عين المناخة أو من عين باب الشامي.

وكانت دارنا في حوش المرزوقي.. وكان جيراننا في الحوش أذكر منهم الشيخ عبد الكريم الخريجي والد الأخوان الشيخ محمد والشيخ عبدالله وصهره الشيخ عبد العزيز الخريجي.. وجار الجنب كان العالم الفاضل الشيخ محمد العلي التركي.. وكان جارنا المقابل.. الشيخ محمد بنائي موسيقار المدينة وكنا نسمع الليالي الذي كان يحييها ونحن بالسطوح أثناء النوم نسمع الليالي التي كان يحييها.. وكان من أضخم الناس صوتا وأجملهم أداء ويقولون أنه متقن ومجيد للأنغام ويسمونه (الحجة) ممن كان يتردد عليه ويأخذون عنه.. الفنانون ابراهيم سمان وحسين بخاري وعبد الستار بخاري وابو بكر كمال وغيرهم وكان مشهورا في فن الغناء كما هو الآن الموسيقار طارق عبد الحكيم.

* الاستعداد للحج:

ومن شهر شوال يبدأ الوالد رحمه الله بشرا لوازم الراحلة ولوازم متطلبات الحج من أواني وغيرها.. وأول ماكنا نراه من لوازم الراحلة الشداد والجاعد «الفرو» الذي يوضع فوق الشداد والأخراج الكبيرة.. وهي من قطعتين موشاة بالكتل الملونة المدلاة من الجهتين وعندما تشد على الابل تبق هذه الكتل مدلاة أثناء السير وتكاد تلامس الأرض.. ثم الأخراج الصغيرة التي تشد تحت الخرج الرئيسي ومن فوق الشداد اللحاف والسجادة والبطانية

يفرشها أثناء المقيل وأثناء النوم وتوضيب لوازم الحاج ـ اثناء الرحيل.. توضع الحاجات كثيرة الاستعمال في الأخراج القريبة من تناول اليد والحاجات قليلة الاستعمال في الأخراج الداخلية توضع علب المعمول وعلب الغريبة وعلب الحلويات والمأكولات وأواني الشاهي والقهوة وأدوات الشاهي والقهوة كلها توضع في الأخراج الداخلية وتوضع في الأخراج الخارجية الملابس والبقصمات المبسوس بالسمن البلدى الهش ـ أما قرب الماء فتشد تحت الأخراج وتعرض للهواء ما أمكن لتبريدها بالهواء وتتولى الوالدة رحمها الله تحضير الملابس ومناشف الاحرام وصنع تباسي المعمول الذي يحشي بالتمر والغريبة التي ترصع بالفستق والصنوبر والبقلاوات.

ومن العوائد الجميلة ـ أن يقدم أقرباء الحاج والأصدقاء الهدايا فتجد تباسى المعمول والحلويات المختلفة تملأ المنزل و يتبادلون أمثال هذه الهدايا واذا كان هناك «سراره» تتضاعف الهدايا وتتنوع.

أما هدية الحاج بعد قدومه من مكه المكرمه فهي اللبان اللامي واللبان الشجرى وماء زمزم الذي يوضع في زمزميات تصنع خصيصا للهدايا ـ والياف للاستحمام ـ شيء من المستكا والقرنفل والمساويك توضع في تباسي من المعدن الأبيض وتقدم لأصحابها الذين سبق وأن قدموا هداياهم لمن كان حاجا.

عوائد جميلة حلوة تؤلف بين القلوب وتقرب بين الأحباب.

وأهل المدينة كانوا أسرة واحدة.. وجميع الأسر رجالا ونساء يعرفون بعضهم بعضا ـ وحتى من لم تكن صلة بينهم يعرفونهم بوجوههم.. و يتبادلون التحية عند مقابلتهم بالشارع أو بالمسجد النبوي الشريف الذي يجمع معظم السكان في الأوقات الكتوبة ـ أما في الجمع والأعياد فلا يتخلف عن المسجد النبوي ـ الا مريض أو عاجز.

وكثيرا ماكان يسألنا بعض المارة.. ونحن أطفال صغار يسألوننا «يابنى انت ولد مين» فنقول لهم و يرد علينا بأن والدي كان صديقا لهم وكان يسكن في كذا و يعمل كذا وكأنهم يعيشون في منزل واحد.

* الحج على الركوب:

اعتاد أهل المدينة ــ أن يحجوا مع الركوب.. وقليل جدا ــ جدا من يحج مع القوافل على الشقادق والشبارى والهوادج والذين يحجون مع القوافل الأدلاء الذين لهم صلاة مع مشايخ الجاوي.. و يقومون بخدمة حجاجهم وغالبا مايأتي شيخ الجاوى مع حجاجه لز يارة المدينة المنورة و يعود معهم على القوافل.. فيحج الدليل مع القافلة مزاملا شيخ الجاوى صديقه.. أو أى نوع من أنواع الحجاج الاخر ين الذين يأتي معهم مطوفوهم الى المدينة.

أما الركوب وسيرها وعوائدها وعوائد السرارات ونظامهم في الظعن والاقامة فالى العدد ــ القادم ان شاء الله.

ركوب المدينة (الحلقة الاولى)

كنت وعدت قارئى الكريم.. بالحديث عن ركوب «المدينة المنورة» عوائدها سيرها، وعن «السرارات» الأطفال الذين يحجون مع أهاليهم ــ مع الركوب، أو مع القوافل ــ لأول مرة والحديث عن ركوب المدينة.. حديث ممتع فيه طرافه وفيه عوده للماضي البعيد الى ماقبل نصف قرن أو تزيد وكثير من ابناء جيلنا لايعرفون شيئا عن هذه المتع الروحية وعن تلك العوائد الجميلة ــ التي يحلو للانسان أن يستعيد ذكرها ــ وأن ينعم بلياليها وأيامها ــ ولو بعد حين.

وقد اختفت هذه الركوب عن الأنظار بعد أن تأمنت الديار.. وبعد أن عزت السيارات، البيداء والصحراء، وغزت الطائرات الأجواء، والفضاء ــ فلم يبق أى مجال لسفن الصحراء «الأبل» التي كانوا يسمونها سفن البر.

ولقد كانت الأبل هي الراحلة المفضلة لأداء النسك ــ وكانت الركوب تقطع الطريق بين المدينة ــ ومكة خلال ٨ الى ٩ أيام وجاءت السيارات فخفضت هذه المدة الى خمس ساعات، ثم جاءت الطائرات فخففتها الى خمس وعشرين دقيقة.

فسبحان الله من خلق الأبل، وسبحان من خلق الخيل، والبغال والحمير وسبحان من يخلق مالا تعلمون.

وأهل المدينة المنورة اعتادوا أن يحجوا على الركوب «والركب» هو مجموعة من الأهلين يحجون في «عزبة» واحدة متعاونين، متكاتفين، تحت امرة شيخ الركب ولهم نظام مخصوص، وقواعد متعارف عليها.. والمظنون أن سبب هذا التجمع الركبي ــ عدم وجود الآمان في الطريق في تلك الأيام

نشرت في جريدة المدينة في ١٠/١٢/١٣٩٩هـ

بين المدينة ومكة.. فأذا تجمعوا في ركب واحد أكسبهم ذلك قوة ومناعة ورهبهم من يحاول الاعتداء عليهم.

و يقود الركب شيخ يسمى «شيخ الركب» وشيخ الركب هو الآمر الناهي على كل من يحج معه في الركب و يطاع طاعة كاملة في كل شيء في الرحيل والمقيل، والمبيت، والدفاع عن النفس اذ لزم ذلك. و يتولى شيخ الركب المسئولية الكاملة في الركب وأى لازم وأى مطلب لمن يحج في ركبه يقوم به بدون استثناء.

وركوب المدينة المنورة كثيرة اذكر منها ركب الداغستاني ــ ركب الحوالة، وركب اللبان، وركب ابراهيم سيف، وركب الكعكى، وهناك ركوب اخرى، وعزب تشبه الركوب لا أذكرها الآن.. لأن ــ هذه الركوب جميعها قد اختفت ــ بعد غزو الحديد والنار للصحراء والأجواء ــ كما اسلفت

ولكل اسرة من أسر المدينة المنورة ــ ركب اعتادوا أن يحجوا معه من قديم الزمان ومشيخه الركب يتوارثها الأبناء عن الأباء كما يتوارث الأبناء عن الأباء الركب الذى يحجون معه.

ووالدنا تغشاه الله برحمته الواسعة يحج دائما مع ركب الداغستاني «وجميع آل حافظ يحجون مع هذا الركب منذ أن فتحنا عيوننا على الدنيا.
وركب الداغستاني كما يبدو لنا أكبر ركب في المدينة ــ وأكثر الركوب تجمعا واستعدادا. ولكل شيخ من مشايخ الركوب موضع خاص ــ اعتاد أن يضع فيه «بيرق علم الركب» ليتجمع حوله من يريد الحج معه.. ومحل بيرق ركب الداغستاني أمام مسجد الغمامة وركب الحوالة يضع بيرقه أمام مسجد سيدنا علي ــ بالمناخة و بقية الركوب ــ تضع بيارقها بين رحبة باب الكومة، ومسجد الغمامة، و يضع الشيخ بيرق الركب من صباح اليوم الذي يعلن فيه الرحيل الى مكة المكرمة وسفر الركوب يكو دائما من يوم ٢٦ الى

٢٨ من شهر ذى القعدة وقد يسافر ركبان أو ثلاثة في يوم واحد ــ في أوقات متفاوته.

و يبدأ تجمع حجاج الركب من صحوة النهار ــ واتحدث الآن عن شاهد عيان لحركة ركب الداغستاني الذي حج معه والدنا السيد عبد القادر عثمان حافظ ــ رحمه الله تعالى ــ وقد كنا مع هذه الحجة خطوة بخطوة وساعة بساعة الى ان سافر الركب من المدينة المنورة ثم عاد بعد أداء النسك لقد كان ذلك في الثلاثينات للهجرة وقد مضى على تلك المشاهد أكثر من ستين عاما ــ ولكن ذكراها مازالت حية في النفس ــ وكيف تنسى هذه المجموعة الضخمة من الذكريات وقد عشناها بقلوبنا واعصابنا قبل أن نعيشها بأجسامنا وجوارحنا.

و يسعدني أن أتحدث الآن عن تلك الذكريات قبل أن يتسلط عليها «الجديدان» فتختفي هي الأخرى عن الوجود والجديدان وراء الانسان يمحوان «بأستيكا» الاحداث اذا لم تدون واذا لم تسجل وكثير من حلقات التاريخ مفقوده لأنها لم تدون.. وقد بما قال شاعرنا:

ان الجديدان في طول اختلافهما لايفنيان ولكن يفنيا الناس

وأعود الآن ــ الى ذكر حجة الوالد رحمه الله ــ التي كان يقول أنها حجة الوداع.

لقد قضينا ــ ليلة السفر مع الوالد والوالدة رحمهما الله ــ الى الصباح في تهيئة وترتيب لوازم السفر كانت علب المعمول، والغريِّبة، والحلويات وانواع المأكولات من جبن وزيتون وبقصمات ثم بقش الملابس، والمناشف والشراشف تملأ المجلس ــ سهرنا معهم في ترتيب ذلك وتوضيبه على لمبتين من الجاز أحدهما نمرة «٤» للمجلس، والثانية نمرة اثنين للخروج والدخول والطلوع، والنزول، وكنا اطفالا نتفرج، ولانساعد الا في تناول الحلوى والمرطبات اذا طاف بنا طائف الجوع.

وفي الصباح الباكر جاء أعمامي هاشم وابراهيم اخوا الوالد من الأب، وحسين وعبد الجليل اخواه من الأم رحمهم الله جميعا وساعدوا الوالد في شد الأغراض على الجمل بالتعاون مع الجمال ربطوا الشداد أولا على سنام الذلول ـ ثم وضعا بقية الأغراض بنظام وترتيب.

وبعد أن تم تحميل لوازم السفر على الراحلة أخذها الجمال الى المناخة وبركها بجانب بيرق ركب الداغستاني وكنت واخواني ملا زمينها نلف وندور حولها وبعد صلاة العصر ـ جاء الوالد رحمه الله من المسجد النبوي بلباس السفر، وبيده «خيزرانه» معكوفة ووقف بجانب الراحلة.. ثم أقبل الشيخ «شيخ الركب ـ محمد داغستاني «وهو يركب فرسا شقراء وأمر بالرحيل فنادي نقيب الركب «الفلاح» «الفلاح» سمعها كل من كان بالمناخة وتحرك حجاج الركب كل امتطى دابته وأصبحت رحبة مسجد الغمامة على سعتها تموج بالدواب وقد امسك كل شخص بلجام دابته وهي تدور حول نفسها وجاء «شيخ الحمارة» وهو يمتطي حمارا فارها ـ فنسق الصفوف في الركب ـ وجعل ركاب الحمير في مقدمة الركب، ثم ركاب البغال، ثم ركاب الخيول، ثم ركاب الابل، ثم هوادج السيدات، جعلهم صفوفا متراصة منسقة.

وكان الشيخ الداغستاني شيخ الركب يتفقد الصفوف والركاب وهو على فرسه. وأذكر أن لباسه كان مميزا، كان يلبس عباءة وقد وضع احدى طرفيها على كتفه وعليه شال كشميرى عريض لفه على رأسه وتدلى على كتفيه ـ وللشيخ ذلول مسرجة مجهرة بكل شيء، ولكنها كانت تسير دون أن يركبها أحد وتكون في مقدمة الركب ومعروفة أنها ذلول الشيخ، يركبها عندما يجد الركب في المسير ـ والشيخ دائما يصحب معه عدد من الدواب يحمل عليها بعض (القش) واذا لزم الامر حمل عليها من تكون دابته قد انقطعت، أو تخلفت.

* الحـــادى

ومـن ضـرور يـات الـركـب ــ وجـود «الحـادى» ويختـاره الشيخ ــ من بـدري ــ يهـيء لـه الـرحـلـة والزاد، وكل مايحتاجه. و يكون دائما في مقدمة صـفـوف الابـل ــ وللحـادى دور كـبير في الـركـب فهو واسطة العقد.. كما يـقولون ــ ويخبرنا الوالد ــ رحمه الله ــ أن للحادي تأثيرا كبيرا في الركب، ولـيس على حـجـاج الـركـب فـحسب بل أن الابل اذا طلع الحادي بنشيده أثنـاء اللـيـل تـرخـي آذانهـا تـستـوحـي الـصـوت.. ثم «تـدرهم» سرعة مع الحـادي..واذا مـا تـكـاسـل الحـادي في ألحـانـه أو سكت تكاسلت الابل في سيرها.

و يـكـون عـشـاء الـركـب في ذي الحـلـيـفـة.. ومع شروق الشمس يحرم الـركـب مـن ذى الحـلـيـفـة مـيـقـات أهل المدينة المنورة ــ و يغادرها الى بئر المـاشـى أول محطة من المدينة وتبعد عن المدينة حوالي ٥٠ الى ٦٠ كيلو مترا، و يتجه من بئر الماشى في طريقه الى مكة المكرمة عن طريق «سطح الغاير» ــ لم يـقدر لنا الحج على الركوب لنعرف سطح الغاير ــ الذى كثيرا ماكان يتردد اسمه من الحاجين ــ والغاير ــ فيما نسمع جيل مرتفع يطلعه الركب صـعـودا وهـو يختصر الـطـر يـق عـشـرات الـكـيـلـومـتـرات ــ ومنه يتوجه الى «الـقـضـيـمة» ومن القضيمة الى مكة المكرمة عن طريق عنان ــ ولايمر بجدة اختصاراً للطريق. وحادى الركب ــ في السنة التي حج فيها الوالد ــ رحمه الله ــ كان الشيخ محمد بناني وهو جار لنا ودورنا متقابلة في حوش المرزوقي ــ وبحـكـم الجـيـرة ــ كـانـت تربطه صداقة مع الوالد، وكانوا يتزاورون في الاعـيـاد والمـنـاسبات. وكان اذا تحدث فصوته متين وفيه بحة وكان اذا غنى كان آية في الفن والجمال.

ورغـم أن الـشـيـخ الـداغـستاني متحالف مع كثير من العربان، ومشايخ الـقـبـائـل، الا أنـه كـان يحسب حساب الاعتداء على ركبه ــ ولديه بعض الـشـبـاب يـسـمـون ــ بـالـبـواردية ــ يجعلهم الشيخ في مقدمة الركب وفي مؤخرته.. وهؤلاء البواردية ــ يتناو بون على الركب طوال الليل لحراسته.

ولركوب المدينة ــ مواقع مخصوصة في مكة المكرمة ومنى ــ وفي منى ــ حوش كبير مخصوص يسمى حوش ــ المداينة ــ تنزل فيه ركوب المدينة ومن يحج من أهل المدينة على القوافل وأذكر الى وقت قريب كان نزول حجاج المدينة في هذا الحوش حتى بعد ان اصبح الحج على السيارات وقد نزلنا في هذا الحوش عندما حججنا على السيارات في الخمسينات.

أما السيدات ــ اللائى يحججن مع الركب فانهن يركبن هوادج ــ ويشد كل هودج على جمل بخلاف الشقادف ــ فان كل شقدفين يشدان على جمل ــ وعليه فان كل هودج لا تركب فيه الا سيدة واحدة. أما الشقادف فانها معدة لركوب اثنتين كل شخص في شقدف ــ والهوادج والشقادف تستر بالحنابل أو بالزل لتقي سموم الشمس صيفا، ورياح البرد شتاء، وتسير هوادج السيدات في آخر الركب وبعض السيدات يركبن خلف رجالهن ــ فتوضع توصيله في الشداد وتكون مريحه وتمهد وتفرش فتكون مركبا مريحا لبعض السيدات أو السرارات.

واذا ــ أتم الركب النسك قرر الشيخ ــ موعد الرحيل الى المدينة المنورة.. وفي العدد القادم نواصل الحديث عن الركب والسرارات التي تصاحبه.

ركوب المدينة و (الحلقة الثانية)

في العدد الماضي.. تحدثت عن تقاليد الركوب أثناء سفرها من المدينة المنورة لأداء النسك ــ نسك الحج ــ وحديثي اليوم عن عودة هذه الركوب من مكة المكرمة الى المدينة المنورة.. وتبدأ عودة الركوب من مكة المكرمة الى المدينة المنورة في اليوم الثالث عشر والرابع عشر من شهر ذي الحجة.. و يسلك الركوب في الغالب عند عودتها طر يق عسفان.. واذا وصل الركب الى سطح الفاير.. بعث شيخ الركب (نجاب الطواقي).. و يأخذ نجاب الطواقي طاقية من كل سراراة في الركب يوصلها الى أهله بالمدينة المنورة يبشرهم بصحة السرارة و بقرب عودته.. و يقدمون له في المقابل الهدايا والبخاشيش والكساوى.. و يطوى نجاب الطواقي الطر يق في حوالي ثلاثة أيام وتكون فرحة المدينة كبيرة بوصوله و يلتف الناس حوله.. يسألونه عن حجاجهم وعن موعد وصول الركوب.. وهو يطوف حوار المدينة وشوارعها على ذلوله بهيئته الخاصة و يلف على رأسه شال كبير يميزه عن الناس.. وعند منزل كل سرارة يبرك ناقته و يسلم الطاقية لأهل السرارة.. و يلتف الأطفال حول ذلوله.. يشيعونه من حارة لأخرى و يدلونه على بيوت السرارات.. وكان نجاب الطواقي في تلك السنة التي حج فيها والدنا رحمه الله ــ (محمد حسن الخسته) واذا وصل الركب (الى بئر الماشى) قام منها (نجاب المكاتيب ــ.. يحمل كتبا ورسائل ممن في الركب لذويهم ويحدد موعد وصول الركب الى المدينة المنورة.. وشأن نجاب المكاتيب أقل من شأن نجاب الطواقي.. لأن الناس قد عرفوا كل شيء عن الركب وموعد قدومه من نجاب الطواقي.

وأذكر الآن.. وكنا أطفالا صغارا في حدود السابعة أو الثامنة.. عندما جاء خطاب والدنا رحمه الله بتحديد موعد وصول الركب الى المدينة..

نشرت في جريدة المدينة في ١٧/١٢/١٣٩٩هـ

استأذنا والدتنا أنا وأخوى السيدين على، وأبو السعود رحمه الله في مقابلة والدنا في الطريق فأذنت لنا وقالت: (اصحو) تقدموا عن عروة..وعروة تبعد عن المدينة ثلاث كيلو مترات.. ورافقنا جارنا (كامل عبد الجواد) وكان أخوه اسماعيل في الركب.. وحذرته أمه أيضا عن تجاوز محطة عروة.

خرجنا لاستقبال الركب ونحن لانعرف المسافة ولا الطريق.. واتجهنا من باب العنبرية نحو عروة.. جريا على الأقدام.. ولما وصلنا عروة لم نجد أثرا للركب.. وسألنا بعض المزارعين هناك فأخبرونا أن الركب بالاحساء وأن مقيله هناك.. وكنا بين أمرين اما أن نعود الى المدينة، أو نواصل الرحيل الى الاحساء ــ ذى الحليفة ــ وصعب علينا العودة الى المدينة بينما والدنا على مقربة منا.. فواصلنا السير جريا على الأقدام.. وقد بلغ منا التعب والعطش والخوف منتهاه..

ووصلنا ذى الحليفة بعد جهد مضن.. وارتمينا في خيمة الوالد رحمه الله.. وبعد الغداء عدنا الى المدينة مع الركب بعد العصر مترادفين مع من كان بالركب ووصلنا عروة بعد المغرب.. ووجدناها عامرة بالمستقبلين.. أنوار الأتاريك الغازية تسطع في كل مكان.. والذبائح تنحر هنا وهناك لعشاء القادمين.. وأكثر من يذبحون و يضيفون هم أصحاب السرارات.. وعاشت عروة ليلة قدوم الركب في ليلة صاخبة.. مازلت أتخيل تكتل الجماعات في أنحائها.. ولأول مرة ــ رأينا ــ الزير وعوائد الزير والمزمار والصهبات. وكان اللعب في المزمار غير اللعب في الزير.. في المزمار يلعبون بعصيهم و يطوفون في الميدان و يتضاربون بعصيهم مزاحا ــ وفي الزير يكون اللاعبون في دوائر كل دائرة تأخذ دروها في النشيد.. أما (الحادي) فقد كان سيد الموقف.. وكلما طلع بلحن من ألحانه نادى بصوت مرتفع «مغبون يانايم الليل» يرددها عدة مرات.. كانت ليلة ليلاء لا تنسى أبدا وكنا لأول مرة نرى مثل هذه المشاهد لذلك نقشت في الذهن كالنقش في الحجر.

** السرارات

و يستعد السرارات.. قبل دخول الركب من باب العنبرية.. و يلبس السرارة الثياب المزركشة والمقصبة وربما بعض المصاغ يوشى به العقال المقصب، والمشعاب الذي يحمله وهو على الحصان.. كل ذلك يلبس بالقصب و بالاحجار الكريمة.. و يلبس مشلحا مطرزا بأنواع المقصبات.. وتراه عل حصانه كأنه قطعة مقصبة تلمع في الشمس.. وتتقدم السرارات الركب عند دخوله من باب العنبرية ـــ و يركب السرارة حصانا ـــ هو أيضا ـــ ملبس بالحرير المقصب ويمسكه من الطرفين بعض أقارب السرارة.

وتتقدم كل سرارة فرقة موسيقية يسمونها (الطاسة) وتعزف هذه الفرقة ألحانا مخصوصة و يتجه الركب من باب العنبرية الى رحبة باب السلام بالمسجد النبوي عن طريق المناخة فسوق الحبابة فسوق الحدرة الضيق.. والطاسات تدوي في أرجاء المدينة.. وتخرج البلد بأكملها للفرجة على الركب.. الاطفال والكبار في الشوارع والنساء في البيوت التي يمر أمامها الركب.

واذا وصل الركب الى باب السلام نزل السرارة عن حصانة مع بعض أقاربه واتجه الى الروضة المطهرة وصلوا ركعتين ثم سلموا على الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.. وفي رحبة باب السلام يتفرق الكرب كل في اتجاه داره ـــ أما السرارات.. فإنهم يعودون الى أحصنتهم وتزفهم الطاسة الى منازلهم. وتبقى الطاسة فترة من الزمن تعزف أمام المنازل الى أن يأتي وقت الغداء و بعد الغداء ينصرفون الى اماكنهم ـــ و بذا ينتهى موكب الركب.

هكذا كانت مواكب حج الركوب بالمدينة المنورة.. كلها بهجة وفرحة وجمال.. أما حج السيارات الآن.. فإن الحاج يسافر و يعود ولايدري عن أحد.

وأذكر بالمناسبة حجة لنا تاريخية بالسيارات.. كانت هذه الحجة سنة

١٣٦٥هـ السنة التي عينت فيها مديرا لادارة الحج بالمدينة المنورة.. استأذنت معالى المشرف على الحج يوم ٥ من شهر ذى الحجة. وكان الجواب أن لابد من الاشراف على آخر حاج يتوجه من المدينة وفي صباح يوم ٧ من ذى الحجة توجهت آخر قافلة بالسيارات .. وأبرقت لمعالى المشرف بسفر آخر حاج وقد كنت عدلت عن السفر للحج لضيق الوقت.. وتلقيت برقية جوابية من معاليه بعد منتصف الليل تقول البرقية (لابأس من توجهكم) وكنت قررت قضاء العيد بالمدينة لأنه لم يبق أى سيارة من سيارات الشركات وبعد فجر يوم ٨ شاهدت سيارتين تقفان أمام القهوة ولم يخطر ببالى أن هذه السيارات سوف تحج.. وبعد خروجي وجدت الأخوان ــ الشيخ عبد الله خاشقجي والشيخ محماس بن دخيل والسيد ابراهيم الرفاعي وعدد من الأخوان حول هذه السيارات وعرضوا على السفر معهم الى الحج.. وفي تلك اللحظة في ضحوة يوم ٨ ذى الحجة قررنا السفر ومع آذان الظهر كنا على ظهورها حوالى ٢٥ شخصا.. والسيارات كانت قديمة وتعبانة.. وآذن علينا العصر ونحن في المسجد وقد تعطلت أحدى السيارات فأصلحنا واحدة من الاخرى وتوجهنا فوصلنا رابغ بعد منتصف الليل وظهر أن الكربراتير محروق ولابد من تزويده بالماء بعد كل آونة وأخرى ولم نستطع القيام من رابغ الا بعد فجر يوم عرفة.. وواصلنا سفرنا (وايدينا على قلوبنا) ووصلنا تول بعد العصر ولم نتوقف في الطريق لحظة الا لاصلاح السيارة ولم نصل الى جدة الا في الساعة الثالثة غروبي ليلا ــ وكان البنزين قد نفذ ولم نجد احدا يبيعنا بنزينا.. ثم اهتدينا الى قهوة متطرفة واخذنا منه تنك بنزين..

وعندما وصلنا مكة طلعنا من الحجون وكانت الساعة السادسة غروبي ليلا ووصلنا الى عرفات وكانت عرفة فاضية.. نفر جميع من فيها الا قليلا ــ وحمدنا الله أن أدركنا الحج لأننا وصلنا عرفه قبل الفجر بحوالى ساعة أو ساعتين.. وكنا في حيرة لم نجد طعاما ولانعرف أماكن الماء وكنا قد أنهكنا التعب وعدنا الى المزدلفة فمنى حيث رمينا جمره العقبة ثم واصلنا السير الى مكة المكرمة وأخذنا الشيخ عبد الله خاشقجي رحمه الله ــ الى دار ابنه عبد

الفتاح خاشقجي كان هو وزوجته وولديه الصغار وماكان يعلم بحج والده.. دعانا الشيخ عبد الله فلبينا جميعا وملأنا المجلس والصالات ثم ملأنا السلالم.. وكنا نتناوب على الحمام ــ الكل منا يريد فك الاحرام والاغتسال ويريد دورة المياه.

كان الشيخ عبد الله خاشقجي رحمه الله ــ على كثرة ماأتعبناه كان بشوشا ضاحكا وذهب الى السوق لاحضار افطار لنا فوجد الأسواق مغلقة كان يوم العيد والناس في الحج ولكنه دبر لنا خبزا وفولا وشايا ومسحنا كل ماجاءنا لنا يومين لم نتناول زادا وذهبنا للمسجد للطواف ولكن الشيخ ألزمنا بالعودة لتناول الغداء ولم نجد بدا من العودة وعدنا فملأنا غرف الدار ــ فالدار لم تسعنا ولكن كما قالوا (رحب الفلاة مع الأعداء ضيقة سم الخياط مع الأحباب ميدان) وبعد الغداء عدنا الى منى.. فلم نجد مكانا يقلنا ونمنا في القهاوي.. وفي الصباح وجدنا خيمة لدى احدى القهاوي قضينا فيها نهارنا وفي صباح اليوم الثاني كنا في طريقنا الى المدينة المنورة وكنت أبرقت الى معالي الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله وكان المشرف العام على الحج بسفرنا وملاحظتنا وقد زرته عصرا وقال أنه الآن تسلم برقيتي وسألني (عسى ماتعبتو) فقلت له يروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنه قيل لها أن السفر قطعة من العذاب، فقالت لا ــ أن العذاب قطعة من السفر ونحن شاهدنا من التعب مايصلح لتطبيق نظرة السيدة عائشة ــ وكلما رويت له قصة من القصص التى لاقيناها انفجر ضاحكا ــ وهو الذى رتب لنا سيارة العودة للمدينة.

ولو اردت سرد بعض القصص في الحج وما مر بنا في أشهر الحج من نوادر لطال الوقت ولكن الآن الى الملتقى وأرجو الا أكون أطلت فأمللت وأكثرت فأثقلت.. ومرة أخرى الى اللقاء في أحاديث أخرى.

** ماظنك باثنين الله ثالثهما..

كلمة قالها الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبي بكر الصديق ــ وهما في الغار.. وكان صاحبه يوجس خيفة من المشركين الذين يطاردونهم ــ و يتربصون بهم الدوائر.

قالها صلى الله عليه وسلم ــ في اليوم العظيم الخالد ــ يوم الهجرة ــ اليوم الذي بدأ فيه عليه السلام نضاله وكفاحه لنصرة الدين الاسلامى الحنيف.

قالها قبل ألف وثلاثماية وخمس وتسعين عاما ــ ولكنها كلمة خالدة مع الدهر ــ وأى شيء أعظم من أن يكون الله تعالى مع عبده في كفاحه وجهاده.

لقد كان لهذا اليوم العظيم شأن عظيم في تاريخ الاسلام.. فقد غير وجه تاريخ البشرية ــ وأنقذ الانسانية من الضلال والشرك ــ الى الهدى والرشاد.

لقد أراد الله تعالى للاسلام ــ أن توطد دعائمه بهذه الهجرة المباركة.. فقويت شوكة الاسلام بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة وعز جانب المسلمين وانتشر الاسلام في ربوع الارض.. ليعم الخير والسلام و بنشر العدل والامان.

ولنا من هجرته صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة.

أن الاسلام وإن المسلمين يمرون اليوم بمحنة قاسية ــ فقد تألب عليهم

نشرت في جريدة المدينة المنورة في ١٣٩٦/١/١هـ

أعداؤهم فأغتصبوا الارض، وامتهنوا المقدسات وشردوا اخوانا لنا الى مختلف أنحاء العالم ــ يعيشون في العراء.. والأمل معقود اليوم على نواصيكم معشر المسلمين.

إن المسلمين يمثلون أكثر من سبعماية مليون مسلم ــ وإنهم ان تعاونوا وتضافروا وتوحدت كلمتهم فلن يغلبوا اذا ابدا. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول «لن يغلب اثنى عشر الفاً من قله».

إن المسلمين لن يغلبوا من قلة ولكنهم يغلبون اذا تفرق جمعهم واختلفت كلمتهم ــ فعليكم أيها المسلمون بتوحيد الصف وتوحيد الجهد وتعبئة القوى لتنالوا حقكم وتطردوا الغاصب من أرضكم وتثبتوا وجودكم بين الامم.

ان عالم اليوم لايعرف الحق ولايعرف العدل ــ ولكنه يعرف القوة فتى أثبتنا وجودنا بقوة سواعدنا يحترمنا خصومنا ويحترمنا العالم ونأخذ حقنا بأيدينا.. وان كنا لم نأخذ هذا الحق بأيدينا ــ فلن يعطينا اياه أحد.

لقد رأينا ــ كيف كان احترام شعوب الأرض لنا بعد حرب رمضان التي دحرنا فيها قوى الشر والعدوان.. وانتصرنا على عدونا.. ورأينا بعد أن اثبت الفلسطينيون وجودهم في المحافل الدولية والمعارك العسكرية ــ كيف اعترفت شعوب ودول العالم بهم وأصبحت منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة في مختلف المحافل والمنظمات الدولية ــ رأينا كيف اعترف بهم من كانوا لهم أعداء بعد ان أسمعوا أصواتهم للعالم ووقفوا يناضلون و يدافعون عن حقوقهم بقوة السلام و بقوة الكلمة.

فعلينا أن نتخذ من هذا اليوم العظيم ــ يوم الهجرة ــ دستورا لنا في كفاحنا وجهادنا ــ والله ناصرنا لأن الله تعهد بنصر من ينصره.. والله ولى التوفيق.

ذكرى بدر .. دستور الكفاح

من الايام الحاسمة في تاريخ الاسلام يوم بدر الكبرى.. هذا اليوم العظيم الذي انتصر فيه الحق على الباطل.. وارتفعت راية الاسلام في ارجاء الكون.. فعز الاسلام وقويت شوكته.

انتصر المسلمون في يوم بدر.. وهم قلة.. انتصروا على جيوش الكافرين — وهم كثرة — تجمعوا من اطراف الجزيرة العربية — وقد قذفت بهم — مكة — وكانت قاعدة تجمعاتهم.. وسوقياتهم العسكرية.. ووطن امداد الجيش بالمال، والعتاد، والسلاح، والرجال.. قذفت بهم مكة في يوم ١٧ رمضان من العام الثاني للهجرة.. بأبطالها وصناديدها ورجال الحرب والسلاح فيها— الى وادي بدر يختالون على خيولهم.. ويلوحون بسيوفهم، ورماحهم — يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

كان المسلمون قلة في العدد والعدة — كانوا أقل من ثلث جيش الكفر والضلال.. ولكنهم كانوا كثرة بايمانهم بالله وبعقيدتهم واتحاد كلمتهم، وتضامن قلوبهم، وصفاء نفوسهم.. والتضحية في سبيل اعزاز كلمة الحق وازهاق الباطل.

كانوا يطلبون الموت في سبيل الله.. فوهب الله تعالى لهم الحياة والعزة.

لم تستطع السيوف المشرعة، ولا الرماح اللامعة، ولا السواعد المفتولة — أن تنال من قوة الايمان والعقيدة.. فالنصر من عند الله يهبه الله تعالى للذين اتقوا والذين هم مؤمنون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٢/٩/١٧هـ

ومـاأشبـه يـومـنـا بـأمـسـنـا.. ان المسلمين يعانون اليوم اشد انواع الظلم والـطـغـيان من تألب الكفر والصهيونية الباغية عليهم، وان قوى الشر والبغى الـعـالمـيـة تساعدهم وتؤ يدهم.. وتمدهم بالسلاح والعتاد.. وكما كان الحال يـوم بـدر الـكـبرى.. يوم تألبت قريش على المسلمين.. وأجمعوا امرهم ــ ان يمحوا هذا الدين الاسلامي من الارض.. ولكن الايمان والعقيدة كانت أقوى مـن تجـمـعـهـم وأقـوى مـن سـلاحـهـم وعتادهم.. فتحطمت أصنام قريش، وطـاحـت رؤوسـهـم على صـخـرة الـعـزيمـة الصادقة التي تستمد قوتها من قوة الايمان ومن نصرة دين الله.

ومـاأشـبـه وضـعـنـا الـيـوم ــ بـوضـعـنـا بالامس لقد استباحت الصهونية مـقـدساتنا وامتهنت كرامتنا وأخرجت أخواننا في فلسطين من ديارهم وقذفت بهم في الوهاد والجبال.

ومـاأحـوجـنـا أن نـتخذ من هذه الذكرى الكريمة ذكرى يوم بدر الكبرى ذكـرى يـوم الـفـرقـان التي نـفـر فـيـه المـسـلـمون لصون كرامتهم وللدفاع عن مقدساتهم التي استباحها المشركون.

ومـاأحـوجـنـا أن نجـعـل مـن هـذه الـذكـرى دستورا لنا في كفاحنا ضد الـصـهـيـونـيـة الـعـالمية وضد الشيوعية البغيضة ــ فنرجع الى بارئنا ونجعل من تـوحـيد كلمتنا وصفاء نفوسنا وتضامن قلوبنا، واعتصامنا بالله سلاحا لنا في كفاحنا ونضالنا ضد اعدائنا اعداء الله والاسلام.

المدينة المنورة .. البداية ــ الوداع

في الشهر الرابع من عام ١٣٥٥هـ الموافق للشهر التاسع من عام ١٩٣٦م ــ في رحلتي للقاهرة ــ لشراء مطبعة لاصدار جريدة (المدينة المنورة).. كنت اقف خلف مطبعة (خاطر).

وخاطر (بك) المسمى باسمه هذه المطبعة ــ هو مدير مطابع شركة مصر للطباعة احدى مؤسسات بنك مصر الذي كان يرأسه اقتصادى مصر الاول في ذلك الحين طلعت حرب (باشا) وكنت احمل لطلعت حرب باشا خطابا من معالى الشيخ محمد سرور الصبان ــ ورحمه الله يوصيه على مشروعى الطباعي، وهو بدوره اوصى خاطر بك ليساعدني في هذا المشروع.. بحكم اختصاصه.

كنت اقف خلف هذه المطبعة.. وهي تعمل بصوت خافت ونظام رتيب.. اشاهد ولأول مرة ــ كيف تسحف شفاطات الهواء الورق من طبلية المطبعة العليا ــ وتسلمها برفق الى الالات التي تمر بها على طوق الحروف.. فتخرج هذه الاوراق من الخلف مطبوعة منسقة مصفوفة.. دون ان تمسها يد.. ودون ان يكون اى عامل على المطبعة.

سرحت مع خيالي.. وانا اقف خلف مطبعة خاطر.. وانتقلت من واقعي الذي اعيش فيه.. واقع المغامرة بالسفر الى مصر.. الى عالم اخر مملؤ بالاماني والامال.. وتمنيت على الله تعالى ان ارى هذه المطبعة أو مثيلاتها بالمدينة.. وهى تتحرك بمثل هذه الحركة ــ وانا اقف هذا الموقف منها.. اشاهد جريدة المدينة المنورة .. وهى تصف على هذه الطبلية.. كما تصف هذه

نشرت في جريدة المدينة في عام ١٣٩٦هـ

الاوراق.. تمنيت ذلك ــ وهى ــ منى ان تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا ــ وقلت : في نفسي ــ ان الله يعطى اكثر من هذا.. يعطى الجنة ونعيمها.

ونقلنى من هذا الخيال العذب.. صوت خاطر (بك) وهو يربت على كتفي و يقول.. يبقى لى عندك رجاء ــ ياعثمان.. اذا اخذت هذه المطبعة للمدينة الا تغير اسمها (انا عاوز) اسمى يكون بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا الموقف من المواقف التي لاانساها ــ ابداــ لاني كدت اصاب بخيبة امل ــ وتتحطم امالي في شراء المطبعة.. فخاطر بك طلب منى ساعتئذ قيمة لهذه المطبعة مبلغا فوق احتمالي.. وفوق طاقة المبلغ الذي لدى.. والمبلغ الذي عندى محدود.. ولا روافد له الا في حدود ضيقة جدا.. وفوق هذا ــ فالمطبعة تحتاج الى ادوات اخرى.. حروف وتواظيب ومكائن، معاونه، للقص، والحزم، والتخريم ــ لا تقل قيمتها عن قيمة المطبعة.

وانا قدمت الى القاهرة.. دون تخطيط او تقييم لاقيام المطابع أو الحروف أو الادوات اللازمة لاصدار جريدة.

ولكن الله تعالى يسر.. واشترينا مكنة طباعة لا تقل كثيرا عن مطبعة خاطر.. مع جميع مايلزم من حروف ومكائن اخرى معاونة.

و يسر الله ــ ايضا ــ وركبت المطبعة بعد عناء و بعد ان اضطررت للسفر الى مكة المكرمة لارى بعض ماخفى على من تركيبها.. لانى كنت (مهندس المطابع الوحيد بالمدينة).. وكنت ايضا رئيس قسم الصف، ورئيس قسم التوضيب والطبع، والنشر والتنظيف ــ وللضرورات احكام.

هذه القصة وغيرها.. من قصص مشروع المطبعة والجريدة.. كتب عنها بتوسيع اكثر.. في الجزء الثاني من تطور الصحافة.. فمن اراد المزيد ــ فهو ــ هناك ــ في ذلك الكتاب.

ووفق الله تعالى.. وصدرت (جريدة المدينة المنورة) في ٢٦ المحرم ١٣٥٦هـ ــ الموافق ١٨ أبريل عام ١٩٣٧م وذكرت.. وانا اقف خلف المطبعة.. وهي تصدر العدد الاول من جريدة المدينة المنورة.. تذكرت ذلك الوضع المضطرب.. الذي كنت اعيشه.. بين الامل والرجاء.. وشكرت الله تعالى على فضله.. وازددت يقينا بالله.. بانه هو وحده الفعال في الامور كلها.. وانه اذا اراد امرا.. هيأ اسبابه.. وان النجاح من الله تعالى.. ومن الاتكال عليه.. لابالمال.. ولا بالحساب.. ولابالتخطيط.. وان ماكان لك ياتيك على ضعفك.. وماكان لغيرك.. لن تناله بقوتك.. وان من توكل على الله كفاه..

مطبعة النهار:

وأعاد التاريخ نفسه.. بعد ٣٠ عاما من موقفي خلف مطبعة خاطر.. حيث كنت اقف خلف مطبعة النهار ــ الاوفست ــ عام ١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٦م مع الاستاذ غسان التويني صاحب جريدة النهار.. وهو يطوف بنا على اقسام المطبعة.. وهى تطبع جريدة النهار.. في ١٢ صفحة ــ مصفوفة.. مقصوصة.. مطبقة جاهزة للتوزيع ــ وقلت لنفسى ــ متى تطبع جريدة المدينة المنورة على مثل هذه المطبعة.. ولكنني تذكرت ماخطر لى بالامس.. وهو ان الله تعالى يعطى اكثر من هذا.. يعطى الجنة ونعيمها.

هذا طرف ــ من بداية تأسيس المطبعة والجريدة.. التى كان تأسيسها اشبه بأسطورة.. ومن لم يعاصرها.. و يعاصرنا قد يرتاب في احداثها.

مطابع جريدة المدينة:

والان ــ الان.. وبعد ٤١ عاما على موقفي خلف مطبعة خاطر.. بالقاهرة ــ وبعد ٢٠ عاما على موقفي خلف مطبعة النهار في بيروت ــ الآن ــ أقف خلف مطابع جريدة المدينة المنورة..(الاوفست) من احدث ماأخرجته مصانع المطابع في العالم ــ والى جانب المطبعة.. قسم الصف

والتصحيح والتصوير (الالكتروني) اخر مااخترعه الانسان لتطوير الصحافة وتقدمها.. وهى احدث من مطابع النهار، وكانت مطابع النهار ــ واعتقد ــ مازالت تصف حروفها وتوضب بالرصاص اما مطابع المدينة فهى تصف وتوضب بالالات الالكترونية.. دون ان يدخل الرصاص في نظامها. اقف هذا الموقف.. وانا ــ احمد الله تعالى.. ان اقر عيني.. بما وصلت اليه جريدة (المدينة المنورة) من تقدم ونجاح.. فبعد ان كانت خيالا تدور في الاذهان.. صدرت جريدة اسبوعية في ٤ صفحات.. وليس لديها شيء من الاجهزة الاعلامية المختلفة.

أو الاختصاصات الصحفية، أو الوكالات الاخبارية ــ وكان يدير ادارتها وتحريرها.. وكل شيء فيها شخصان فقط ــ هما ــ علي وعثمان حافظ ــ وقد تنقصهما الخبرة الصحفية.. ولكن لاينقصهما بذل الغالى والثمين.. من الجهد ومن العرق ومن المال في تدعيم الجريدة واضطراد نموها.. وقد اصبحت اليوم بفضل الله وعونه تصدر في ١٢ صفحة.. وهي في تقدم ونمو مضطرد..

ومن وراء هذه المجموعة.. من الات الطباعة، والات الصف والتصوير.. ادارة نظيفة، امينة، مخلصة.. وجهاز تحرير على خير المستويات.. دراية وفهما وثقافة صحفية ممتازة، ولا ابالغ اذا قلت انها الجريدة الاولى في المملكة العربية السعودية او هكذا يخيل الي.

الوداع:

واقف ــ اليوم ــ لاودع جريدة المدينة.. اودع قرائي الاعزاء بعد هذا العمر الطويل.. الذي قضيته معهم ومعها.. اكثر من ٤١ عاما وقد كان في مبدأ تأسيسها ــ على طاولة.. ذات درجين.. وعليها شرشف اخضر يتدلى من اطرافها ــ ومساحة ارض المكتب لاتزيد على ٣ × ٣ مترا ــ وبه دكاك ــ كنت شبهتها ــ فيا نشر في كتاب تطور الصحافة بدكاكين الحلاقين في زماننا.. وهى الان بمكاتبها الفخمة.. وما بها من (ديكور)

منسق لا تقل عن كبريات الصحف العربية ـ في الشرق الاوسط وهي اليوم ـ وبعد ان بلغت اربعين عاما.. وهو سن الرشد.. في عنفوان مجدها الصحفي ـ ادارة وتحريرا، واخراجا ومادة.

وقبل ان اترك القلم.. احب ان اشيد بجهود معالى مديرها العام الشيخ احمد صلاح جمجوم.. الذى كان له الفضل في تأسيس هذه المطابع الحديثة للجريدة ـ وكان حزمه واقدامه ونبل اهدافه.. الاساس ـ الذي قام عليه مشروع مطابع المدينة ـ كما انه كان ـ خير معوان للتحرير ـ وتأمين جميع متطلباته الفنية، والوظيفية ـ وهو يؤمن ان نجاح الجريدة.. يتوقف على دعم تحريرها وتوفير متطلباته ـ واحمد جمجوم ـ فيما عرفته ـ نظيف القلب والضمير واللسان.. وهذا التعاون بين الادارة والتحرير جعل للجريدة.. هذه المكانه السامقه.. والتقدم والنجاح المرموق.

كما اشيد ـ بنائب المدير العام الاستاذ الابن محمد على حافظ ـ الذي تولى الشئون الفنية للمطابع، والالات الالكترونية ـ واشرف على انتقال الجريدة من الطباعة على (الدبلكس) والجمع والتوضيب بالرصاص.. الى الطباعة على (الاوفست) والجمع والتصحيح والتصوير على الالات الالكترونية..

ومحمد علي حافظ.. ذو خبرة واسعة في الشؤون الصحفية والادارية والتحريرية.

وكان يسهر الليالى الطوال في مبدأ انتقال الجريدة من عهدها الاول (الدبلكسى) ـ الى عهدنا الثاني (الاوفستى) ولم يترك الموقف حتى سارت الجريدة خطواتها الموفقة الناجحة فى عهدها الجديد ـ ومحمد ـ ليس غريبا عن الجريدة فقد كانت ولادته مع ولادة الجريدة ولدا في يوم واحد.. فهو ربيب الجريدة نشأ معها وربى في احضانها وزاملها حتى بلغت هذا المستوى العالى من التقدم والازدهار فهى جزء منه وهو جزء منها وقد هيأه اختصاصه دراسة الصحافة وخيرته لأن يكون بطل هذا التطور الفنى يدعمه المدير العام

الاستاذ احمد جمجوم وان مايكتبه يوميا تحت عنوان صباح الخير يكاد يكون خير ما يكتب في الجريدة..

ولاارید ان اغادر هذا المكان حتى اقدم لقرائى الاعزاء الاستاذ رئيس التحرير احمد محمد محمود.. فقد كنت عرفته قبل اكثر من عشرة اعوام.. وعرفت فيه الاتزان، والاستقامة، والاخلاق الفاضلة.. والتمسك بأهداب الشريعة الاسلامية المطهرة المبدأ الذى سارت عليه الجريدة منذ نشأتها فهو خريج كلية الشريعة.. الى جانب خبرته الصحفية الممتازة فقد سبق ان سافر الى بريطانيا لدراسة اللغة الانجليزية — والشئون الصحفية.. ثم سافر الى الولايات المتحدة الامريكية للتدريب على الشئون الصحفية الحديثة تحريرا واخراجا وتبويبا.. وعاد لوطنه مزودا بكل جديد مفيد.. واني مطمئن كل الاطمئنان باسناد رأسة التحرير — للابن احمد محمود — واعتبر اسناد رأسة التحرير اليه ربحا اكبر للجريدة وللمؤسسة.

كما اذكر بالتقدير الجهد المشكور للاستاذ عبد الله القصبي عضو مؤسسة المدينة ومديرها العام السابق — فقد تعهد بتغطية جميع الاسهم المكشوفة التي طرحت لبناء وتأسيس المطبعة الحديثة وقد غطاها فعلا مما عجل بتأسيس المطابع.. وكان من اكثر الاعضاء حماسا لتأسيس المطبعة والاستاذ القصبى.. ذو ذوق صحفي رفيع وله قلم شحذته السنون والاحداث ولو تفرغ لمهنة المتاعب والمشاكل — لانتج فيها انتاجا ذا شأن يذكر في عالم الصحافة.. ولكنه آثر التخلى عنها والانشغال بالارقام والارصدة فاستراح ولايفوتنى وانا اودع القلم (الرسمى) في الجريدة.. ان اثنى ثناء جميلا على الاخوة الزملاء في التحرير والادارة — الذين تعاونوا معى.. وكنت اشعر باخلاصهم وحبهم للعمل — وارجو ان يسامحوني ان اخطأت عليهم — والعشرة الطويلة — لابد فيها من شروق وغروب واصباح وغلس.. كما انى اشهدهم بأني قد سامحت — ومن القلب — يعلم الله — كل من اساء الى سرا أو علانية كتابة أو كلاما والقلوب روائد.. والرائد لايكذب أهله.

واذكـر بـالشكر الأخواة الزملاء الذي تعاونت معهم في الفترة الثانية بعد ان عـدت الى رأسة الـتحـر يـر في عـهـد المؤسسـات الـصحفية وهم السادة الأسـاتـذة محـمـد صـلاح الـديـن، وهاشم عبده هاشم ، أحمد محمود، سباعي عـثـمـان، عـبـاس عبد المجيد علي، سعيد العامودي فقد كانوا خير عون لي في الادارة والتحير ير والرأى.

هـذا وفي الوقت الذى اودع فيه (جر يدة المدينة المنورة) كموظف رسمي فيها.. فأني لاأزال اعتبر نفسي.. جنديا من جنودها المخلصين..

ولـقـد اديـت واجبي نحـوهـا.. واعـطـيتهـا زهـرة الـشباب ور بيع العمر.. واتـمـامـا لهـذا الـواجـب ــ اعـطيهـا الان ــ الفرصة ــ ليتولاها من سيكمل رسـالتهـا الـصـحـفية ــ وكما يقولون (الصنعة شباب) واستودع الله اخواني في الجر يدة وسنلتقي دائما في ميدانها وعلى صفحاتها ان شاء الله وهو الموفق.



** ماضي المدينة المنورة العريق وحاضرها المتطور

ليس أحب الي من الحديث عن بلد المصطفى صلى الله عليه وسلم (المدينة المنورة) ومآثرها، ومغانيها، ومتطلباتها، وحاجاتها — فهي الوطن الام بحكم المولد والنشأة — وهي التي سماها الرسول الأعظم عليه السلام (المحبوبة).

ولاأعرف مسلما زارها — على كثرة من زارها من مختلف انحاء العالم الاسلامي وفي كل عام — الا وفتن بها وتمنى لو ييسر الله الهجرة اليها، والممات فيها — كيف لا!! — وقد اختارها الله تعالى لهجرة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم — فهي احب البقاع الى الله.. (اللهم كما اخرجتني من احب البقاع الي فأسكنني في احب البقاع اليك).

ولقد تطورت المدينة.. تطورا كبيرا.. بتطور النهضات العمرانية، والثقافية، والصناعية، والزراعية في المملكة — وقد اولتها الدولة الكثير من عنايتها ورعايتها — والمشاريع تجرى الآن على ساق وقدم.

وللمدينة — ماض عريق وحاضر زاهر، ومستقبل مشرق..

أما ماضيها القديم.. فإنها عندما خططت قبل مئات السنين خططت.. على اساس الوضع الطبيعي لحياة سكانها ومعاشهم، وعبادتهم.. وكان الاتجاه في ذلك الحين — ان تكون المساكن، والسكن حول المسجد النبوي الشريف لامكان اداء الصلوات الخمس — في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ليتضاعف لهم الاجر والمثوبة.

نشرت في جريدة المدينة في ١٤/٦/١٣٩٦هـ

لذلك كانت المساكن مكتظة حول المسجد النبوي ــ ومتداخلة بعضها ببعض سيما القريبة من المسجد.. كذروان، وباب الرحمة، وباب السلام، وباب النساء، وحارة الاغوات، وسوق الحدره، وكومة حشيفة، وسقيفة الرصاص.. وغيرها من الازقة والشوارع المحيطة بالمسجد بالمدينة.. كانت في حدود متر ونصف أو اقل من ذلك.

ولم تكن ساعتئذ حاجة لتوسعة الشوارع.. الا بقدر مرور الانسان أو الدواب ــ لذلك لم تكن في تلك العهود اي فكرة لتوسعة الشوارع، وازقتها.. ولم يشتك احد من ضيق الشوارع او ازدحامها.

وكان يحيط بالمدينة المنورة (سور) قوى ــ يزيد ارتفاعه على اربعة عشر مترا بسمك مترين من الحجر الاسود القوى.. اقامته الحكومة العثمانية في القرن التاسع الهجرى.. وكان هذا السور يضم رقعة المدينة القديمة.. ويمتد من الباب الشامي.. من قلعة المدينة الكبرى.. فيحتضن الحماطة فباب المصري ثم مقعد بني حسين فالشونة ــ ثم يضم ذروان، فباب الجمعة فحارة الاغوات، ويلف بعد ذلك زقاق الحبس فالساحة.. ويصل الى الباب الشامى.

وكان المسجد النبوي هو المركز الرئيسي ــ التي تتفرع منه الشوارع والازقة.

وكان لهذا السور خمسة ابواب سميكة جدا ــ ومصفحة بالحديد.. وتغلق هذه الابواب ــ ليلا من الساعة الثالثة مساء بالتوقيت الغروبي ــ ولا تفتح الا مع الفجر.

وهذه الابواب ــ هي (باب المصري) ويقع في غربي المدينة وهذا الباب الوحيد الموجود حتي الان ــ وهو الباقي من آثار ذلك السور ويعطي فكرة عن قوة السور، ومتانة بنيانه ــ وبداخله وبأعلاه مركز لرجال الامن ــ وكل باب من ابواب السور ــ كان به مركز للشرطة للعمل والسكن.. ويأتي بعد باب المصري الباب الشامي ويقع في شمال المدينة ــ ثم باب

الجمعة ويقع في شرقي المدينة ثم باب المجيدي ويقع في الشمال الشرقي للمدينة. وباب العوالي وهو في الجهة الجنوبية الشرقية وباب قباء وهو في الجهة الجنوبية.

واذكر ان فخرى باشا ـ حاكم المدينة العسكرى في العهد العثماني ازال بعض مواقع هذا السور وفتح بعض الابواب.. فقابله بعض رجالات المدينة وقالوا له ان هذا السور هو حصن المدينة ضد الاعداء ـ فقال ـ ان الحصون يجب ان تقام في الجو ـ وان العدو اذا وصل باب السور وطرقه ـ لابد ان يدخل.. كل ذلك اثناء الحرب العالمية الاولى عام ١٣٣٣هـ.

كانت تلك الاوضاع قائمة ـ الى حياتنا الاولى بالمدينة والى مابعد الحرب العالمية الاولى.. ولما قامت بعض المساكن في المناخة، وباب العنبرية، وخارج باب المجيدي ـ اعتبرت هذه المساكن في فناء المدينة.

وماكنا نرى ـ اى عجلة داخل سور المدينة ـ الا (العربيات الكرو).. التي كانت المركب الوحيد للعوائل اثناء طلوعهم الى بساتين المدينة.. وماكانت تصل هذه العربات على صغر حجمها الا في اماكن قليلة جدا.

* شارع العينية:

اما شارع العينية.. فقد فتحه فخرى باشا اثناء الحرب العالمية الاولى.. ومازلت اذكر الازقة الضيقة جدا والمساكن التي بين باب السلام وباب الرحمة والتي لايمكن المرور منها الا بكل صعوبة لضيقها ـ اما موقع هذا الشارع ـ فقد كان بستانا يسمى (بالعينية) واقام صاحبه السيد العيني حوله مساكن تطل عليه ـ وتسمى تلك المنطقة بوقف العيني ـ وقد فتح الشارع من جهة باب السلام حتى نفذ الى المناخة ـ وكان تخطيطه ليصل الى محطة السكة الحديد ـ بباب العنبرية ـ وبعد فتح هذا الشارع مد فخرى باشا شريطا للسكة الحديدية منه تصل الى رحبة باب السلام ـ وكانت تقف فراقين السكة الحديدية في رحبة باب السلام ـ وكانت في شارع العينية

(فراقين) من عربات الخط الحديدي ــ وهي مملوءة من البضائع بأنواعها النقل والمؤن ومختلف الحلويات والمأكولات ــ وبعض الاقمشة والاواني ــ يأتي بها تجار الشام لبيعها بالمدينة ــ واذكر ان الزحام لاينقطع عن هذه الفراقين للشراء منها.

وشارع العينية ــ هو الشارع الوحيد المستقيم بالمدينة وبنيت على جوانبه دكاكين بتقدمات يمتد امامها رصيف مسقوف بعرض متر ونصف تقريبا ــ وقد ازيلت معظم الدكاكين التي بالجهة الشمالية في التوسعة الجديدة.

اما شارع قباء ــ فقد كان شارعا ضيقا يلف ويدور بين البساتين التي تبدأ من باب قباء تقريبا ــ ولايزيد سعة الشارع في اغلب الاماكن عن مترين ــ وقد سحقت عربات الفلاحة الذين ينزلون منتوج بساتينهم الزراعية ــ سحقت اتربة الشارع حتى جعلته كالغبار يتطاير اذا مسته ارجل الدواب أو الانسان.

وقد وسع شارع قباء وفتحه باستقامة من باب قباء مما يلي: المدينة الى مسجد قباء الامير عبد العزيز بن ابراهيم رحمه الله امير المدينة وكان ذلك في عام ١٣٤٧هـ أو ٤٨هـ ــ وجعله بعرض ١٢ مترا فكان من يقف بباب قباء بالمدينة يرى قباء ومآذنه ــ بعد ان كان سدا منيعا من البساتين والملفات.

وكان فخرى باشا قد حاول فتح هذا الشارع وخططه بعد ان خلت المدينة من سكانها ايام الحرب العالمية الاولى ــ ولكنه لم يوفق لفتحه بالكامل ــ ومازاله من بساتين في الشارع عاد اصحابها فاقتطعوها.

اما الان فقد اتصل العمران من باب قباء الى مسجد قباء ــ وفتح في العهد السعودي شارع مواز لهذا الشارع وجعل للذاهب كما جعل الشارع الاول للعائد من قباء.

وبعد ان دخلت السيارات بالمدينة على نطاق واسع تغير الوضع في المدينة والى الحديث آخر عن تطورها وتوسيع شوارعها ومشاريعها.

** المدينة المنورة في حاضرها

تحدثت في كلمتى السابقة عن المدينة المنورة في ماضيها.. وحديثى اليوم عن حاضرها. وحاضر (المدينة المنورة) — هاهو شاهد — عامر بالاصلاحات والرعاية من الدولة.. ولكن رضا الناس غاية لا تدرك (مايعجبهم عجب ولا الصيام في رجب).. خلق الله الناس — وخلق معهم — اختلاف افكارهم، ومذاهبهم، واختلاف امزجتهم.. فما يعجب هذا — قد لايعجب الآخرين — بل قد يؤذى بعضهم — ومصائب قوم عند قوم فوائد — والناس لايزالون مختلفين الا من رحم ربك.. هذه المقدمة اقتضاها الموضوع الذي سأتحدث عنه.. لقد اقبلت على المدينة المنورة.. فسررت كثيرا — وانشرح صدرى عندما وصلت الى الشارع الرئيسي لدخول المدينة — من ناحية (ذى الحليفة) — وهو على خطين — احدهما للذاهب — والاخر للآيب وبينهما جزيرة — قد غرست بها الاشجار والزهور — لتلطيف الجو وجمال المنظر — ويبدأ هذا الشارع من (ذى الحليفة) الى شارع العنبرية — ويبلغ طوله حوالى ١٠ كيلومترات.

وكان مدخل المدينة في هذه المنطقة يمر بعضه من مسيل وادى العقيق — وكله رمال تغوص فيه عجلات السيارات — واذا ماسال الوادي — انقطع الخط — فلا يستطيع احد دخول المدينة او الخروج منها — وبعضه كان يمر بحرة ضيقة — ترتفع وتنخفض في اماكن عدة..

وجاء الشارع بهذه الدقة.. وهذا التنسيق — لائقا لمدخل مدينة كمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

نشرت في جريدة المدينة في عام ١٣٩٦هـ

ولم تقتصر العناية بهذا الشارع ــ فمعظم الشوارع قد سفلتت. ولايزال العمل مستمرا في توسيعة الشوارع التي تحتاج الى اسفلت.
وحتى الاحوشة ــ التي كانت عبارة عن (علبة) مقفلة ــ بها ابواب تفتح نهارا وتغلق ليلا ــ ولايستفيد منها الا ساكنوها.. اصبحت متنفسا للبلد ــ واصبحت ميادين مخططة تخطيطا هندسيا رائعا يستفيد منها الزوار والاهلون على السواء.

هذا انطباعي اول مادخلت المدينة المنورة ــ بعد غيبة طويلة.. ولكن صاحبي الذي صليت معه الفجر بالمسجد النبوي.. قال لي ــ وهو يحاورني ــ شفت كيف صارت المدينة ــ لقد اصبحت عبارة عن (خرابة كبيرة) ــ وحاول ان يأخذني الى الاماكن الذي جرى هدمها بأطراف المسجد النبوي ــ أو لتوسعة الشوارع.

وقلت لصاحبي ــ ان الحياة تتطور من يوم لاخر بسرعة كبيرة.. ويتطور معها العمران ــ وقد اصبحت السيارات هي الوسيلة للمواصلات داخل البلد ــ فلابد من لحاق الزمن ــ ولابد ان تسير المدينة مع هذا التطور ــ ومتطلبات الحياة.. ولابد من توسعة الشوارع ــ سيما الموصلة للمسجد النبوي الشريف ــ الذي تشد الرحال اليه في كل عام من كل جانب عدد كبير من المسلمين.. ويزداد عدد زوار المسجد في كل عام زيادة كبيرة مع سهولة المواصلات والامن والاستقرار الذي يشمل المملكة السعودية.

وبعد الخطوة المباركة التي خطتها الدولة بتوسعة المسجد النبوي ــ اصبح من الضروري ــ توسعة اطراف المسجد والشوارع المؤدية له ــ لافساح المجال للسيارات التي تؤمه.. وليتسنى للزوار والحجاج اداء الصلوات الخمس في يسر وراحة.

وسيكون المسجد النبوي ــ فيما اعلم ــ هو المركز الرئيسي الذي تنطلق منه الشوارع ــ واذكر ان بعض المسئولين قد اقترح منذ زمن بعيد ــ ان يكون المسجد النبوي هو المركز لالتقاء الشوارع ــ وان تزال جميع المباني من

جهاته الاربعة بمقدار ثلاثمائة أو خمسمائة متر ــ نسيت الرقم الان ــ ثم يبدأ تخطيط المباني من بعد هذا الحزام الفضائى.. وفي ظني ان هذا الرأى لابد ان يتحقق ــ ان لم يكن اليوم ــ فسيكون غدا.. لأن الدولة عندما تخطط لمشاريعها واصلاحاتها ــ دائما.. تختار الافضل، ولان الاصلاحات والتوسعات تسير في المدينة بسرعة لاتعرف التوقف ــ ولابد ان تتعاون البلدية مع مكتب تخطيط المدن على انفاذ الاحسن والاجمل.

واذا كان بعض الكتاب ــ وانا منهم ــ قد طالبوا بايقاف عمارة الاوقاف التي اقيمت بالقرب من جدار المسجد النبوي من الجهة الشرقية ــ فإن لهم كل الحق في ذلك ــ لان هذه العمارة لاتتفق مع تطور الزمن.. ولاتتفق مع الاصلاحات الشاملة والتوسعات التي تقيمها الدولة.. ولابد من ازالتها وازالة ماحولها ان عاجلا او اجلا ــ ولابد من توسعة الجهة الشرقية للمسجد النبوي لان بقاء العمارات في تلك المنطقة ــ هكذا تكاد تلتصق بجدار المسجد النبوي اصبح غير ذي موضوع.

واخيراً.. قلت لصاحبي ــ ان ماقلته من ان المدينة خرابة كبيرة ــ قد يكون لك وجهة نظر ــ ولكن هذا طبيعة العمل (ومايمكن حلاوة بلا نار) وان في استطاعتك ان تهدم اكبر عمارة في مدى سبعة او ثمانية ايام ــ اذا سلطت عليها الفؤوس والدركترات.. ولكنك لاتستطيع ان تبنى مثلها الا بعد شهور او سنين ــ فالهدم لايحتاج الى زمن ولكن العمران لابد فيه من عامل الزمن.

ان الخطوط الاسفلتية قد انطلقت في ضواحي المدينة وقد طوق المدينة الحزام الاخضر الجميل.. وهو ليس بعيدا عن المسجد النبوي فيجب ان ينتقل العمران الى تلك المناطق.. وفي المدينة متسع كبير من جهاتها الأربع لتقام فيها المساكن والعمارات على احدث الطرق الفنية الهندسية.

يجب ان نسير مع الزمن ــ ولانتخلف عنه.. اننا ان تخلفنا عنه سبقنا وبقينا حيث كنا.. والزمن لاينتظر احدا فمن تقاعس عن اللحاق به تخطاه.

** المدينة المنورة اليوم

ماشعرت أنني غريب في بلدي المدينة المنورة.. الا يوم زرتها أخيرا في أيام عيد الأضحى المبارك.. لم يقدر لى اداء نسك الحج هذا العام.. ففضلت ان أقضي أيام العيد ــ في الجوار الكريم ــ بالمدينة المنورة لأتمتع بالصلاة في مسجدها الشريف والسلام على سيد المرسلين عليه افضل الصلاة وازكى التسليم.

وكنت أعتقد أن المدينة خالية ــ كالعادة ــ ماذام الناس في الحج، وأن الطرقات المؤدية للمسجد النبوي لازحام فيها ولامتاعب.. وحبب الى بعض الأصدقاء النزول في فندق (الرحاب) لقربه من المسجد النبوي.

وكنت أنزل في فندق بهاء الدين، أو فندق التيسير، أو فندق قصر الحجاز.. وكلهم بجوار المسجد النبوي.. والاقى من أصحاب هذه الفنادق السادة بهاء الدين خاشقجي، وسمان بخيت، واحمد بكرى.. الاقى كل عناية وتكريم وترحاب ــ وكلهم أخوة أعزاء وأصدقاء كرام.. وقد اضطررت للموافقة على النزول في قصر الرحاب لظروف عائلية ــ فقط ــ.

التوجه الى المدينة

وفي يوم الثلاثاء ــ يوم الوقفة ــ توجهت الى المدينة المنورة، تأخرت ليوم الوقفة لأسلم من الزحمة.. الذى قالوا أن الطريق الى المدينة قبل العيد مشحون بالسيارات السير فيه (بالسرى) من شدة الزحمة.

وفي الساعة الثانية بعد الظهر.. كنا على مدخل شارع الساحة.. المؤدى

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/١٢/٢٨هـ

الى فندق الرحاب.. فمنعنا الجندي من دخول الشارع ــ وكان الشارع خاليا ــ لاحركة فيه، لامن السيارات، ولا من المشاة.. وسألناه لماذا هذا المنع والشارع فاض والناس في الحج.. فقال هذه الاوامر.. ثم سألناه عن الطريق الموصل الى فندق الرحاب ــ وكان الفندق أمامنا ــ فقال.. (روحو من الشارع الثاني يمكن يدخلوكم).. وتقدمنا للشارع الثاني ــ شارع السحيمى ــ ودخلنا فيه قليلا، واذا بجندي المرور يصفر لنا و يوقفنا بعنف، يطالبنا بالرخصة وسألناه لماذا فقال (بس هات الرخصة).. وسلمناه الرخصة والاستمارة.. سحب الرخصة وأعاد الاستمارة واضطررت ان اترك السيارة.. لاسأله عن سبب سحب الرخصة فقال.. انت ماتعرف ان الدخول من هنا ممنوع.. فقلت له.. انني قادم من جدة الان.. ولو عرفت أنه ممنوع ــ ما دخلت ــ ونحن دائما نحض على أتباع النظام، لا أن نتخطاه.. فرد الى الرخصة.. وقال لو كنت من أهل المدينة لما أعطيتك الرخصة الا في المركز.. وقلت في نفسي انني والله ــ من صميم اهل المدينة، وماشعرت بالغربة فيها الا اليوم.. وسألته عن الطريق المؤدي الى فندق الرحاب.. وكان الفندق على مقربة منا، فقال من هناك.. واشار الي رجعة باب الشامي.

وتقدمنا.. وكلما وصلنا منفذا للفندق أو المسجد النبوي وجدناه مغلقا.. الى أن وصلنا الى شارع الساحة.. مرة ثانية.. وقلنا للجندى المكلف بمنع دخول السيارات.. اننا لم نجد منفذا للفندق ومعنا سيدة تعبانة) لا تستطيع السير الى الفندق.. فأذن لنا بالدخول.. و بعد كل هذا التعب.. لم نجد في الفندق غرفا مناسبة على الواجهة.. وبحثنا عن صاحب الفندق السيد الصديق (محمد حسن) فلم نجده لاشخصيا، ولا تليفونيا.. وكنا اتصلنا به قبل سفرنا من جدة فرحب بنا ووعدنا خيرا.

و بعد ان مسنا التعب، ومن المضايقة مامسنا اضطررنا الى الذهاب الى فندق (شيراتون المدينة) الذي قالت الصحف انه افتتح أخيرا.. وهو في سلطانه.. (اخر الدنيا).. و برغم بعده عن المسجد النبوي.. ووجدناه على

مستوى رفيع من التنسيق والنظافة والسعة وسألناه عن وجود غرف فيه فقال موجود بـ ٤١٣ريالا.. ثم سألنا ــ ماشي فقلنا له ماشي.. والسيارة تقرب البعيد.

وعجبت لماذ اغلاق الشوارع الموصلة للمسجد النبوي وحرمان الناس من الوصول اليه.. ولا زحام ولا مشاكل ــ ابدا ــ في الشوارع أيام العيد.. وقد يكون معقولا ذلك.. عندما تمتلىء المدينة بالحجاج والشوارع من السيارات.. أما والشوارع خالية ولاحجاج ولا زحام فلا ارى مبررا لغلق الشوارع.

ولكنهم فيما يظهر ــ جعلوا النظام المتبع قبل الحج وفي ايام الزحمة ــ سارى المفعول في أيام العيد.. حيث لازحام ولا حجاج.

نزلنا في فندق (شيراتون) المدينة.. وهو لايقل فخامة عن ارقى الفنادق التي رأيناها في أوربا وغيرها.. ولكن ــ كما يقولون ــ (الزين مايكمل).
كل شيء طيب وجميل في الفندق الا أسعار الطلبات فإنها مرتفعة.. ارتفاعا لايطاق.. وكل شيء في حدود المعقول.. مقبول.. والدنيا مملؤة من الفنادق.. ولابد من السير مع الركب.. لئلا يفسر ذلك تفسيرا غير مرضى.

واضرب مثلا بسيطا ــ لأرتفاع أسعار الطلبات في الفندق.. لقد كلفني فنجانا ــ اثنان ــ من الشاهي حوالي ٤٠ ريالا فمن يصدق هذا؟.
ولقد أعتدت أن أتناول فنجانا من الشاهي ــ على الريق ــ صباحا.. وفي قائمة الاسعار.. الموضوعة في الغرفة ان فنجان الشاهي بـ ٥ ريال.. ومااستكثرت ذلك.. وانا في هذه البلكونة الجميلة والهواء العليل في هذا الوادي المبارك.. وادى العقيق.. والشمس تبدأ في ارسال خيوطها الذهبية.. منظر فاتن رائع جميل.. يكمل جماله وروعته فنجان الشاهي.. واخذت فنجان الشاهي.. في ذلك الصباح وسرحت معه.. في ذكريات عزيزة غالية اعادتني الى نصف قرن الى الوراء.. تذكرت.. ايام كنا نقضى الأعياد في هذا الوادي الجميل ــ وادي العقيق ــ في خيام تضرب هناك.. وكثيرا ماكنا نستقبل شروق الشمس.. كما كنا نودعها في المساء.. وكان يقوم

امامنا (جبل احد) الجبل الذي يحبنا ونحبه.. وتحضننا الجماوات التي ابدع الشعراء في وصف جمالها والتي كان (ابن عائشة) يرتادها وتخرج لسماعه المدينة كلها أو معظمها.

تذكرت تلك الأيام الحلوة الجميلة.. أيام الصبا والجمال.. التي كانت كلها هناء ومرح مع (شلة) من الأخوان الكرام الأعزاة.. وقد مضى الأن معظمهم الى الدار الآخرة.

وتذكرت ــ بكل حسرة ــ مصطفى عطار ــ وفهمي الحشاني ــ وعبد العزيز برى ــ وعبيد مدني ــ واسعد عويضة ــ وحلمي الدقاق ــ وناصر غوث ــ وعارف براده ــ وحمزة خليل ــ وعارف اسعد ــ وحامد سمان وحسن خشيم ــ وحسن طاهر ــ واديب صقر ــ وعبد العزيز عبد الجواد رحمهم الله ورحمنا اذا صرنا اليهم.

تذكرت هذه (الشبكة) التي قضينا معها أجمل أيام العمر وأبهاها كل هؤلاء الأخوان فارقونا الى الدار الآخرة.. وفارقنا معهم تلك الوجوه المشرقة النيرة، والثغور الباسمة الضاحكة، والقلوب النظيفة الطاهرة.

كنا نقضي الأيام الأربعة أو الخمسة من أيام العيد في سرور وبهجة.. وأذكر أننا في سنة من السنين دفعنا مبلغا قاسيا (في الأرطة) مانتنساه أبداً.. فقد دفع كل واحد منا (جنيها ذهبيا) وكان الجنية بعشرة ريالات.. وماكنا تزيد الأرطه عن خمس ريالات الى ستة.. وكنا لانبالى نذبح خروف كل يوم للغداء والعشاء.

أيام حلوة وجميلة رخية.. أثارها هذا الفندق (فندق الشيراتون) في هذا الوادي المبارك.. وبعثها هذا الفنجان من الشاهي.. الذي قلت في أول الحديث ــ إنه كلفنى مع الفنجان الثاني ٣٤ ريالا ــ نعم لقد كلفنى ٣٤ ريالا... فكيف؟؟.

لقد وصلنى مع فنجان الشاهي فاتورة بحوالى ١٢ ريالا وقلت للساعى..

ان قيمة الفنجان في بطاقة أسعار الفندق ٥ ريالات.. فقال نعم ولكن تلحقه ٥ريالات تقديم الطلب و١٥٪ خدمة.. ثم وقف امامي وقال (عازة خدمة ثانية) وفهمت كل شيء.. فقدمت له (البخشيش) وخجلت أن أقدم له ريالا.. وأنا بطولي وعرضي (ونفشتي) وأنا داخل الفندق، فقدمت له ورقة بـ٥ ريالات.. فأصبح فنجان الشاهي بـ ١٧ ريالا.

ولم يكن البخشيش لازما فندقيا... ولكنه لازم أدبيا وتقليدا.. والا أهملنا الفراشون.. وما (طالعوا في وجوهنا) وأقول هذا عن تجربة.. فاذا نسينا البخشيش نسينا الكل.. وأهملنا الكل.

وعندما قامت ام البنين طلبت هى الاخرى فنجان الشاهي وتكاليفه مثل تكاليف سابقه وعليه فقد كلف الفنجانان ٣٤ ريالا.
مع ان هذين الفنجانين لايكلفان اكثر من ١٢ الى ١٥ قرشا لأنهما عبارة عن قرطاسين من شاهي لبتون، وقالبين من السكر مع شوية ماء مغلى.

ثم لاأدرى ماهو الفرق بين ال ١٥٪ الخدمة وبين وضع ٥ ريالات لكل طلب ـــ وهي من نوع الخدمة أيضا.. ولماذا لاتخضع هذه الـ ٥ ريالات للنسبة المئوية..

وقد كان معقولا بعض الشيء.. وضع ٥ ريالات للطلب على فاتورة الغداء التي بلغت ١٢٠ ريالا لشخصين.. لأن الصينية التي قدمت للغداء تحوى أكثر من عشرة أطباق.. والمبلغ يتحمل ذلك.. أما أن يفرض على فنجان الشاهي خدمة أخرى مثل قيمته مرة وربع.. فهذا غير معقول ولامقبول. والريالات الخمسة بسيطة لاقيمة لها.. ومن يدفع أجرة الليلة الواحدة في فندق أكثر من ٤٠٠ ريال لاتهمه الخمسة ريالات ـــ ولكن الشيء الأعوج لايستطيع المرء ازدراده.

العودة من المدينة

وغادرت المدينة الحبيبة.. في صباح السبت، رابع أيام العيد على أمل أن

يكون ذلك قبل الزحمة.. ولكنني وجدت الطريق مزدحما بالسيارات.. وبدأ سرى السيارات من باب العنبرية على اختلاف أحجام السيارات.. ومن سوء حظنا أن صادفنا أمامنا سيارتين تحملان أطنانا من الحديد من نوع (التريلا).. وماكنا نستطيع السير أكثر من ١٨ الى ٢٠ كيلومتر في الساعة.. لازمتنا هذه السيارات الى الفريش ولم نجد منفذا لتجاوزها لكثرة السيارات القادمة من مكة.. وبعد تجاوزها في الفريش صادفتنا وايتات أخرى كبيرة فعاقت سيرنا.. وقطعنا الطريق الذي كان مقررا له من ٤ الى ٥ ساعات في أكثر من ٧ ساعات.

ولقد وجدنا من تهور السواقين واستهتارهم بالسير ماأذهلنا.. وملأ قلوبنا فزعا ورعبا.. فكثير منهم يتجاوزون السيارات بدون مبالاة.. بينما الخطوط مملوءة من السيارات الذاهبة والعائدة.. وفي بعض الأماكن اوشكوا أن يشكلوا خطا ثالثاً في هذا الطريق الضيق.. لولا أن بعض سيارات الشرطة كانت تعقب الطريق من حين لآخر.

وقد رأينا في طريقنا ــ حادثتين اثنتين ــ احداهما حريق وايت بنزين وبقربة سيارة صغيرة وكلتاهما قد احترقا نهائيا.. وقد سدت هاتان السياراتان الطريق وسببتا تحويلة خطرة في الخط .. والثانية صدام بين سيارة نقل كبيرة وأخرى صغيرة.. ومن حولهما عدد من سيارات الشرطة للتحقيق في الحادث ولاأدرى هل هناك حوادث أخرى أم لا.. ان الطريق بهذا الوضع.. وبهذا التهور من السائقين مدعاة لحدوث كثير من الحوادث.

** ازدواجية الخط

ولاسلامة من هذه الحوادث الا بازدواجية خط المدينة جدة ــ والسلامة من الله تعالى.

لقد تحدث كثير من الكتاب عن ضرورة ازدواجية الخط.. وأذكر أن دراسات قديمة وحديثة قد اجريت اذاك. كما أذكر أن معالى وزير

المواصلات قد أشار لذلك في الصحف.. وأن هذه الازدواجية وشبكة التنفيذ، واني لأرجو من معاليه الاهتمام بذلك لأنني أراه من الضروريات.. وكم تمنيت أن يمر معاليه أو أحد المسئولين الكبار من هذا الخط ليروا خطورة هذا الخط وضرورة ازدواجيته.

وطريق المدينة في مواسم متلاحقة.. اذا انتهي موسم الحج، يأتي موسم زيارة الآهلين من مكة وجدة والطائف وغيرها.. وغيرهم في ربيع وربيع ثم في رجب وشعبان.. ثم موسم رمضان.. وهكذا المواسم لا تنقطع عن هذا الطريق لذا لزمت ازدواجيته.

وأدركتنا صلاة العصر ونحن مقبلون على تول.. فقصدنا مسجدها لأداء صلاة العصر ولقد وجدنا ماسورة ماء للوضوء على مقربة من المسجد يسيح ماؤها على الارض فيحدث شبه مستنقع.. ولم يكن أمامها حوض أو مصرف بل كان ماؤها يمشي كيفما اتفق.. أما المسجد فكل مافيه غير مرض.. الفراش معظمه رديء وبعضه ممزق وأظن أن له (كذا) يوم لم ينظف.. وبالمسجد قليل من المصاحف الشريفة على بعض الادراج معظمها ممزق.. أما سقفه وجدرانه فقد تساقطت منها اللياسة والبياض وبدت بلوكات الاسمنت ظاهرة من أماكن كثيرة.. انني أعرض هذه الصورة على معالى وزير الحج والاوقاف الذي عرف بعنايته ببيوت الله وتحسينها وتجميلها وجعلها في مستوى يليق بمستوى مساجد لله.. وأرجو أن تجد هذه المساجد من عنايته واهتمامه مايصلح شأنها ويجعلها على خير مايرجى.. كما أقترح على معاليه تشكيل لجنة تطوف بالقرى والطرق النائية لتفقد مابها من مساجد.. وتقديم تقارير لمعاليه عن كل مسجد تمر به.. فاني أعتقد أن معظم المساجد في الطوق والقرى تحتاج الى ترميم وفرش ونظافة وايجاد دواليب لحفظ المصاحف.

وبالمناسبة.. فقد كنت رأيت بالمسجد النبوي الشريف عددا كبيراً من المصاحف وبأحجام مختلفة وطبعات مختلفة أمام دكة الأغوات على شباك

الحجرة الشريفة من الجهة الشمالية.. أعدادا كثيرة جدا من المصاحف الشريفة لاتحصى ولا تعد.. بالألوف ان لم تكن بعشرات الألوف.. وسألت صاحبي الاستاذ (الشيناوي) ــ حمامة المسجد ــ عن تكدس هذه المصاحف بلا نظام أو ترتيب.. المصحف الكبير فوق المصحف الصغير والصغير فوق الكبير.. ورصات منها طالعة ورصات نازلة بلا تنسيق ولانظام فقال: ايش نسوى المستودعات كلها مليانة.

وأرى ضرورة حفظ هذه المصاحف وتبويبها وتنسيقها وتوزيع ماأمكن منها على المساجد لاستفادة المسلمين منها وأن يوضع في كل مسجد ماأمكن من الدواليب لحفظها في مساجد المدينة وفي غيرها من المساجد للاستفادة منها.. وكذا توزيعها على المدارس والمعاهد والمساجد الاخرى في بلاد المسلمين.. وقد علمت أن مصاحف كثيرة جدا جدا موجودة في المستودعات.. وهي تزداد مع الايام.. من هدايا وأوقاف الحجاج للمسجد النبوي.. فيجب حفظها وعمل دواليب لائقة بها واستفادة المسلمين منها في كل مكان.

هذا الموضوع أتركه لمعالى وزير الحج والاوقاف وأرجو أن يجد من عنايته واهتمامه مايحقق رجاء المسلمين في ترميم وتحسين بيوت الله.. ووفق الله الجميع لما فيه رضاه.

أغرب الذكريات في حياتي

قبل الوداع

منذ أن تلقيت دعوة الصديق الحبيب عبد المجيد شبكشي الى التحدث عن الذكريات وانا اعتبرها توريطة لأن الحديث عن الذكريات لابد أن يجر للحديث عن النفس.

والمرء اذا تحدث عن نفسه ــ أما أن يكون مفرطا منتفخ الأوداج ــ يعطى نفسه أكثر مما تستحق ــ ويجعل من الحبة قبة.. (وقد يركبها ملطه) كما يقولون..

واما أن يكون متواضعا يكره الظهور و يكره الحديث عن النفس و يعتبر نفسه مقصرا ولم يوءد ماعليه من واجب.. فلا يعطى الصورة الواضحة عن الحقيقة.

وفي كلا الحالتين ــ فأن الحقيقة سوف تكون ضائعة بين الافراط والتفريط..

ولايدري هؤلاء وأولئك..؟وقد يدرون أن الناس لهم عقول يميزون بين الغث والثمين.. وعلى المرء أن يقول عن نفسه مايشاء وعلى الناس أن يدركوا كل شيء..

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفي على الناس تعلم

لقد حاولت في كلمتي السابقه أن أتحدث عن ذكريات طفولتي ــ وابتعدت ــ جهدي ــ عن الحديث عن نفسي ــ ولكن صدقني أيها الأخ

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٧/٥/١٩هـ

الكريم ــ القاريء ــ أن الكلمة بعد نشرها ــ لم تعجبني.. واذا كانت ما أعجبتني أنا ــ فيا هل ترى ستعجب مين..؟؟

وقلت في نفسي.. ماالذى يهم الناس من سفرى واقامتي.. وماالذي يستفيد ــ الجيل الصاعد ــ على رأى الأستاذ الشبكشي من الدراسة في الكتّاب ــ بتشديد التاء ــ وطريقة الدراسة فيه..

وتذكرت بعد أن نشر الحديث السابق كلمة قالها الأستاذ الزيدان وهو يخطب في حفل وأظنه حفل زواج بدار الخريجي.. تذكرت الكلمة التي افتتح بها خطابه وهي.. «ثرثارة في كل ناد يخطب» وضربت هذا المثل على نفسي وقلت: (ثرثارة في كل واد يكتب)..

ورأيت أن أترك الحديث ــ عما بقي من ذكريات الطفولة ومابعدها ــ وأن أتحدث عن ناحية واحدة هي ذكريات اصدار (جريدة المدينة المنورة).. وماقابلته من مشاكل وعقبات.. وما نالته من عون ومساعدات.. ولكن عندما مسكت القلم لأكتب عن هذه الذكريات وجدت نفسي في خضم من الذكريات لا أول لها ولا أخر.. يسابق بعضها بعضا.. وكنت قد حاولت أن أكتب عن هذه الذكريات من قبل فكتبت أكثر من ٢٦ حلقه استوعبت كل حلقة صفحة من صفحات الجريدة.. وقد جمعتها في سفر فكانت ٣٠٠ صفحة ولم أبلغ بعد غايتي من الحديث عن ذكريات الجريدة وقد يكون مابقي من الذكريات أكثر مما نشر!.. فهل أختصر كل تلك الصفحات ــ في مقال أو مقالين ــ وأين هي القدرة على هذا الاختصار؟.

ومازال في ورطة من الحديث عن ذكرياتي، ولابد من الخروج من هذه الورطة ــ ليستريح الخاطر ــ وليسامحنى القارىء العزيز ان رأى ما لايعجبه.. فهذا جهد المقل.

وذكريات جريدة المدينة المنورة مشحونة بالمغامرات والارتجال.. لأنها ماكانت تستند الى تخطيط أو حساب.. بل أقدمنا عليها دون أن نفكر فيما

تتطلبه من مادة نقدية.. أو علمية أو صحفية.. أو هندسية.. ولو أردنا ـــ أن نضع في كفه ـــ مايتطلبه تأسيس الجر يدة من مطبعة وعمال طباعة وأدوات طباعية وأحبار وهندسة طباعية، وادارة تحر ير، ومااِلى ذلك مما يتطلبه اصدار جر يدة.. ووضعنا في الكفة الثانية ـــ طاقتنا من المادة ومن علوم الصحافة، والأدب.. لما خطونا خطوة واحدة في المشروع لأن التكاليف المادية والأدبية والهندسية فوق طاقتنا، وفوق احتمالنا.. لذا كنت أقول: أننا كنا نفكر بعواطفنا وأحاسيسنا عندما أقدمنا على تأسيس المطبعة والجر يدة.. لابعقولنا وأدمغتنا.. ولكن الله يسر فكانت المطبعة وكانت الجر يدة في ظروف أشبه بالخيال ـــ والا.

فمن يصدق.. أن المهندس الذي ركب المطبعة في المدينة لم ير مطبعة في حياته، وأنه مهندس طلمبات ماء تعلم هندستها نظر يا لادراسيا.. كما قال عن نفسه عندما دعيته لمساعدتنا في تركيب المطبعة

ومن يصدق.. أن شخصا يتعلم هندسة المطابع في أربعة أيام.. وهو لايفرق بين الزرادية والمفتاح.. و يضع «فنه» بأجزاء المطبعة وطر يقة تركيبها.. ثم يتعاون مع مهندس طلمبات الماء.. وتركب المطبعة وتعمل كما لو كان قد ركبها مهندسها المختص ؟

ومن يصدق.. أن شخصين يعملان في وظائف الدولة سحابة نهارهما.. و يعملان فيما فضل من وقت في أصدار جر يدة أسبوعية.. و يستمران على هذا الوضع ٢٨ عاما.. دون كلل أو ملل.. ودون أن ينالا أى ربح مادي من الجر يدة.. بل أنهما يقتران على أبنائهما وأسرهما.. و ينفقان على الجر يدة بسخاء ورضا.

من يصدق.. أن هذين الشخصين هما كل شيء في الجر يدة.. يعملان في الادارة.. والتحر ير.. يستقبلان البر يد و يردان عليه.. و يكتبان الأخبار المحلية والخارجية ـــ دون أن يكون لهما أى مصدر لتلك الأخبار ـــ فلا وكالات أنباء ولابرقيات ـــ ولا وزارات أو دوائر حكومية رئيسية يستمدان

منها الأخبار.. وكان عليهما أن يملآ في كل أسبوع حوالي صفحتين من هذه الأخبار.

من يصدق.. أن مع هذه الأعمال الكثيرة كانا يدققان الكلمات التي تنشر، وكانا، يصححان الجريدة ويوضبانها.. ثم يقومان بتطبيقها وكتابة عناوين المشتركين بالقلم، ثم يحزمان أعداد كل مدينة من مشتركين ووكلاء.

فهل يوجد في الجيل الصاعد من يتحمل هذه المتاعب والمشاق ــ الا ان يقرأها لازجاء الوقت والتسليم.

ذكريات ومفارقات بين الامس واليوم

الذاكرة ـــ هي الشريط الذي يسجل حياة الانسان.. يسجل كل ما يمر به من احداث .. صغيرها وجليلها.

وتختلف الذاكرة قوة وضعفا لدى الانسان.. كما يختلف الذكاء والغباء من شخص لاخر.. فالبعض يذكر تفاصيل كبيرة لما مر به من احداث في محتلف مراحل حياته.. والبعض ينسى غداء امسه.

هكذا الناس خلقهم الله اطواراً وأنماطاً.

اذكر انني سمعت من فضيلة الشيخ محمد العلى التركي رحمه الله من علماء المدينة المنورة.. وكان يحفظ كثيرا من الدواوين الشعرية، ولا تكاد تأتي مناسبة في الادب الا و يستشهد ببيت من الشعر.. قال.. انني عندما اقرأ قصيدة مرة واحدة فأني احفظها ولااعرف اني قرأت ـــ قصيدة مرتين ولم احفظها ابدا مهما كانت معقدة.. وروي عن ابى العلاء المعرى ـــ القصة المشهورة ـــ وهي ان شخصا طرق دار جاره ولما لم يجده.. تكلم بكلام بلغته التي لايفهمها ابو العلاء المعرى.. وذهب لسبيله.. ولما جاء جاره اخبره ابو العلاء المعرى بالخبر.. وذكر له ماسمعه باللغة التي لايعرفها.. فبكى جاره.. لان فيما قاله وفاة عزيز عليه.. و يروى عن الامام الشافعي. انه اذا اراد قراءة كتاب ماغطى بيده الصفحة المقابلة لئلا يقع نظره عليها فيحفظها قبل التي كان يقرؤها.. هذه مواهب من الله تعالى.. وهي ان كانت نادرة.. فان التاريخ الادبي يروى الكثير من هذه القصص.

والاغلب الاعم.. ان تحتفظ الذاكرة بالاحداث الهامة.. التي لها شأن

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٧/٣/٢٧هـ

في حياة الانسان.. أو التي غيرت مجرى حياة الانسان.. سواء كان ذلك في طفولته او مابعد الطفولة. على ان الجديدين.. اذا تعاقبا على المرء انسياه معظم الذكريات.. وقد يضعفها الى حد كبير و يلاشى اكثر ماعلق بها ان لم يكن قد مسحها مسحا.

و يشبه بعض علماء النفس الذاكرة بالغربال كلما تقادم العهد به.. ارتخت خيوطه واتسعت ثقوبه وتساقط منه ماكان يحتفظ به.. حتى لايبقى الا الجراو يل.

وعندما تلقيت خطاب الصديق العزيز.. الاستاذ عبد المجيد شبكشي.. والذى طلب مني فيه.. الكتابة عن ذكرياتي.. وجدته يقول: الذكريات تنفع الجيل الصاعد بما بذل من جهد ومعاناة في شق طريق الحياة.

عندما طلب مني ذلك.. وجدت شيئا من الاحراج.. وعدت الى الذاكرة استجديها.. وانبش مافيها من ماض عريق وحاضر طرير.. فلم اجد الشيء الدسم الذي يمكن ان يفيد الجيل الصاعد.

لقد تفتحت امام الجيل الصاعد الحياة بأوسع معانيها.. وبما فيها من امكانيات كبيرة.. علمية، وثقافية، وادارية.. وبسطت ذراعيها لتعطيه كل مايطمح اليه.. فأصبح كل شيء متوفر لديه.. واصبحت الطريق امامه مفروشه بالورود والرياحين ووجد في عصر زاه قد لايفيده تجارب عصورنا المليئة بالمتاعب والمشاكل والعقد.

لقد كانت للفترة التي عشناها قبل نصف قرن أو تزيد.. فترة عصيبة قاسية.. و يكفي أنه تخللها حربان عالميتان.. كل حرب دامت حوالى خمس أو ست سنوات كما أنها أكلت عدة سنوات قبلها للتأهب للحرب.. وأكلت عدة سنوات اخرى بعدها.. للتخلص مما حل بالعالم من دمار وخراب بأسباب تلك الحروب.

و يعيش الجيل الصاعد ــ اليوم ــ بحمد الله ــ في رخاء واستقرار

وحياة رتيبة هادئه.. وشتان بين حياة الجيل الصاعد ــ اليوم ــ والجيل المتخلف بالامس.

لقد كان التعليم.. الذي هو اساس نهضات الشعوب في العالم ــ في زماننا ــ ينتهي عند التعليم الابتدائي ــ فقط ــ ثم يخرج الطالب الى الشارع.. و يترك لجهده تيسره الايام كيفما اتفق.. والطالب حديث السن.. اذا لم يجد دوافع قو ية تدفعه للعلم وطلبه.. استمرأ الراحة والدعة.

أما اليوم فقد قفز التعليم قفزته الكبرى.. قفز الى الشهادات الجامعية.. والدراسات العليا.. وأصبح طالب اليوم لا تقنعه الشهادة الجامعية.. بل لابد من الشهادات العليا.. وكنا نسمع في الكتب بالدراسة الثانو ية والجامعة.. فأين الجو العلمي اليوم من الجو العلمي بالأمس

أظن انني شطحت كثيرا أو خرجت عن الموضوع ولو اردت أن أعطى القلم مداه.. لأطلت اطالة قد يملها القارىء.. وانا احاول جهدى.. الا اكون ثقيل الظل ــ أحاول ــ ولكن هل كل محاولة مجدية.. ومتى اعطى المرء ماتمنى.

ولأعود لموضوع الذاكرة.. التي هي صلب الموضوع ــ وأمري لله.

برغم ماذكرته من مفارقات بين الأمس واليوم.. و برغم ان ذكر يات الأمس لاتفيد رجال اليوم.. فقد عولت أن أكتب شيئا من الذاكرة.. استجابة لطلب الصديق الغالي.. ولكني بعد أن أقدمت على الكتابة.. احترت ابدأ منين.

نعم احترت من أين ابدأ ..ستين عاما أو تز يد وأكثر من عشر ين ألف يوم.. والاحداث يلاحق بعضها بعضا.. والصور متشابهة، ومتشابكة، ومتداخلة.. بعضها يطرد بعضا.. والأيام تهز الذاكرة هزا عنيفا.. فيتساقط منها معظم مابها ولايبقى الا النذر القليل.

والغريب.. ان النسيان قد غطى جزءا كبيرا منها.. ومن أسوأ مامنيت به الذاكرة. أنني اشتبهت في كلمات كتبتها، وآراء نشرتها في جريدة المدينة المنورة قبل ربع قرن أو ثلث قرن.. فعندما ماعدت اليها لم أذكر منها شيىء.. وأصبحت أقرأها كما أقرأ لأى كاتب اخر.. مع ان عليها توقيعى فهل بعد هذا يمكن ان يعول الانسان على الذاكرة.

وحلا للمشلكة ـ فقد رأيت أن آخذ من كل بحر قطرة.. كما يفعل الاستاذ (عوده)في برنامجه الاسبوعي وان اختار من الذاكرة.. مافيه شيء عن تاريخ البلد وذكر ماعفى الزمن من عادات وتقاليد لها اثر في تكوين البيئه وتقييم الحياة في زماننا.. أو مافيها شيء مما غير مجرى حياتي شخصيا.. ان لم يكن فيه فائدة لأحد.. فإن فيه تاريخ للبلد.

رفقا بجيران المصطفى

كنت أريد أن أتحدث عن طريق المدينة ومالاحظته فيه من مشاكل ومتاعب.. ولكن وجدت ماهو أهم من الطريق وماهو أجدر بالحديث.

لقد رأيت.. أن مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم.. في حاجة الى عناية كبيرة من مختلف الوزارات والمصالح.

فالمنطقة التي نكبت بالحريق في العام الماضي ــ المجاورة للمسجد النبوي الشريف ــ والتي التهمت النيران كل مابها من أثاث وفراش، وأمتعة، وأموال، وبضائع بالمحلات التجارية وكذا المنطقة المجاورة لها التي هدمت من أجل توسعة المسجد النبوي الشريف وايجاد ميادين حوله معظم أصحابها من الملاك لم يعوضوا عن أملاكهم ولم يجر تخطيط أو تنسيق الميادين حول المسجد الشريف فأصبح الوضع حول المسجد النبوي مشوها مساحات كبيرة من بعض الجهات ومن حولها انقاض أو مظلات مؤقته.

وجدير بهذه المنطقة أن تخطط وتنسق ويجرى توسعة المسجد النبوي التي هدم كثير من تلك الأماكن من أجل توسعته والتي رددتها الصحف المحلية في كثير من المناسبات.

ولاشك أن مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في أمس الحاجة الى التوسعة الحديثة التي أعلن عنها من قبل فلقد ضاق المسجد بالمصلين في الأيام العادية يمتلىء وماحوله واطرافه بالمصلين فكيف في أيام المواسم الذي يؤمه الألوف بل عشرات الألوف إني اترك ذلك لحكومة صاحب الجلالة ورجالها الأمناء المخلصين.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٨/٤/١٢هـ

وأريد أن اتحدث هنا عما لحق المواطنين من متاعب وأضرار من عدم تعويضهم عن الأماكن التي نكبت بالحريق والأماكن الأخرى التي هدمت من أجل التوسعة حول المسجد النبوي الشريف.

لقد سمعت كثيرا من شكوى الناس من عدم تعويضهم عن الأملاك التي حرقت أو هدمت ــ ولايمكن لهؤلاء الذين حرقت أماكنهم أو هدمت ــ أقامة أماكن تأويهم ــ الا اذا عوضوا بأقيامها ــ وأن كثيرا منهم الآن عالة على ذويهم وأقربائهم ــ وهم في حالة يرثى لها من الفاقه والضعف وقد علمت أن المشكلة القائمة دون صرف التعويضات عدم معرفة وتحديد الأماكن التي التهمتها النيران.. واذا كان المسؤولون يطلبون من أصحاب الأملاك تقديم حجج وذرعه لأماكنهم التي حرقت حسب الأصول المتبعة فأن كثيرا من الحقوق سوف تضيع ــ لأن الأماكن التي حرقت كلها قديمة وبعضها أوقاف على أسر فقيرة.. والمعروف أن الحجج القديمة ليس بها ذرعه للمساكن بل أن تحديدها يكون بأملاك الدور المجاروة ــ من الجهات الأربعة دون ذرعه معينة والدور المجاورة أختلط حابلها بنابلها وضاعت معالمها كما أنها قد فقدت أو التهمتها النيران في المنازل والدكاكين وقد خرج الناس من دورهم ومتاجرهم بأطوالهم طلبا للنجاة بأرواحهم.. ومعظم أصحاب تلك الأماكن ضعفاء لاحول لهم ولاقوة الا بالله العلى القدير العظيم وقد لا تصل أصواتهم وشكواهم الى ولاة الأمور.

وخدمة لجيران المصطفى صلى الله عليه وسلم أرى أن تشكل هيئة من الامارة والمحكمة الشرعية والبلدية والمالية ومن أرباب الخبرة الذين يعرفون الأرض ويعرفوا أصحابها منذ قديم الزمان لدراسة أوضاع تلك الأماكن ومسحها وتحديدها ثم تعين الأماكن لأصحابها حسب الطاقة والحجج الضائعة أو التي حرقت يمكن معرفة أصحابها ومساحات أراضيهم حسب مايراه أهل الخبرة وتضع اللجنة الخرائط اللازمة ومن ثم يجرى تقديرها تقديرا مجزيا ويصرف لكل ذى حق حقه ولا أظن أنه يوجد حل غير هذا يوصل الناس لحقوقهم.

أما بقاؤها بهذه الحالة أو مطالبة أصحابها بإثبات أملاكهم وتقديم حججهم وتعيين أماكنهم فقد يكون ذلك متعذرا لأن جميع معالم المساكن والدور قد ضاعت بأسباب الحريق وتبقى المطالبة بذلك مضيعة للوقت وايضا مضيعة لحقوق الناس سيما الضعفاء منهم والأرامل.

والدولة — لم تأل جهدا في مساعدة رعاياها والعطف عليهم بكل الوسائل — وهي لم تقصر حتى من الناس الأبعدين تساعدهم وتأخذ بيدهم وتعينهم.

واعتقد أن مثل هذا الحريق لو حصل في أقصى الدنيا واستنجد أهله بالدولة لأعانتهم وعوضتهم وأغدقت عليهم العطاء فكيف بأبنائها ورعاياها وكيف بجيران الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وقد يوجد من بينهم من اهل بيته عليه السلام الذي أوصى بهم خيرا.

اعتقد أنه لايحل هذه المشكلة الا تشكيل هذه الهيئة وتعطى صلاحيات للدرس والتعيين والبت..

والى الحديث انشاء الله عن طريق المدينة في كلمة لاحقه.



حول المسجد النبوي

اهل المدينة المنورة كانوا يسمون الأزقة المحيطة بالمسجد النبوي الشريف من جهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية.. يسمونها (فرش الحجر) لأنها كانت جميعها مفروشة بالحجر الأسود المقطوع من جبال المدينة.

وكانت هذه الأزقة قبل التوسعة السعودية للمسجد النبوي ضيقة جدا لايزيد عن ٣ امتار تقريبا.

أما الجهة الجنوبية (القبيلة) فكان قسم منها يسمى (ديار العشرة) والقسم الثاني اتخذته الأوقاف مستودعا لحفظ بعض لوازم المسجد النبوي، وكان يوجد زقاق ضيق في الجهة الجنوبية ملتوي.. لايزيد عرضه عن متر ونصف.. ياتي خلف الحوش المتخذ كمستودع للوازم المسجد، والمنازل التي على هذا الزقاق مبنية على الطراز القديم ومتلاصقة بعضها ببعض.

وأذكر اننا كنا نزور في هذا الزقاق الشيخ محمد على عبد الجواد، كانت داره هناك.. وكنا نرى أخاه الشيخ حسن عبد الجواد وهما من أعيان المدينة وفضلائها رحمهما الله.

وكنا نعجب من ضيق الزقاق والتوائه مما يدل على أن هذه الأزقه، والمنازل التي بها كانت اقيمت (كيفما اتفق) ولعل ذلك كان من أجل توفير الجو البارد.. حيث لاتوجد وسائل لتلطيف الهواء.. ومن مميزات هذه الدور قربها من المسجد النبوي، فقد كانوا يسمعون قراءة الامام الجهرية في الصلاة، ويسمعون تكبيرات المؤذن ولم يكن هناك (مكبرات) للصوت أو مكرفونات.. بل كانت تسمع الاصوات على الطبيعة.

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/٥/٢٢هـ

* دوارق الماء المبرد:

وكـان عن يمين الداخل لباب السلام (زقاق الخياطين) وهذا الزقاق نافذ الى (ذروان) وفيه معظم سبل الدوارق والتي يأتي بها سقاة المسجد النبوي في أوقات الصلاة وكان لمعظم أسر المدينة مكان مخصص بالمسجد النبوي يجلسون اليـه و يضعون الكاسات النظيفة على الدوارق لسقيا الناس. وكنا نخرج من الكـتاب في الظهيرة نبحث عن دوارق الماء المبرد.. فلا نجدها الا عند دكة الأغوات.

ولايـؤتى بهـذه الـدوارق بـكـثـرة الا في أوقـات الـصلاة.. وكان من أكبر الـسبـل مـن هـذه الـدوارق سـبيل الشيخ (حسين جباد) بقرب باب الرحمة، وكـان يـضـع أمـامـه عـدة صناديق من ــ الصناديق المصفحة بالزنك لحفظ الـدوارق.. وجمـيـع الـصـنـاديق التي توضع بها الدوارق داخل المسجد مصفحة بالزنك لألا تلوث بقايا المياه المسجد.

وكان يأتي عند سبيل السيد الجباد عليه القوم وساداتهم أذكر أنني كنت أرى هـنـاك السادة السيد عبد الجليل مدني واخوانه السيد عبد العز يز والسيد ز يـن الـعـابـديـن مدني والشيخ ابراهيم برى والشيخ ابراهيم خر بوتي.. وهناك كـثير مـن الـسـبـل يجـتـمـع حـولها كبار أهل المدينة وممن كنت أراهم السيد ابراهيم هاشم والسيد ماجد هاشم والسيد ادر يس هاشم والشيخ ذياب ناصر والـشـيـخ محـمد حسن السمان والسيد حمزة الرفاعي وابنه السيد احمد والشيخ محـمد زاهد والسيد ماجد عشقي والشيخ محمد داغستاني والسيد ز ين العابدين والـشـيـخ يـوسـف عـبد الجواد والسيد زكي برزنجي والشيخ احمد كماخي ــ رحمـهـم الله جميعا ــ وكنا نصلى المغرب دائما أنا واخي السيد على حافظ مع والدنا غفر الله له في تلك المنطقة.

وكـان الـشـيـخ حـسين جـبـاد يـعـتني بنظافة طاسات الماء الكولندي ــ و يقدم الماء المبرد بيده للذين يقصدون سبيله.

وكانت سبل الدوارق منتشرة في كل مكان بالمسجد النبوي سيما وقت المغرب.. وليس الذ ولاأشهى من ماء الدوارق المبرد.

* قراء العشر من القرآن:

وأذكر أن الشيخ (مصطفى الاكنلى) من الانضول كان يقرأ عشرا من القرآن كل يوم قبل المغرب في تلك المنطقة.. ومن الغريب.. ان هذا الشيخ لايحسن اللغة العربية ــ ابدا ــ ولكنه كان يقرأ القرآن مجودا، وينطق الكلمات من مخارجها ولايلحن ابدا ولكنه لايستطيع أن يتكلم كلمة واحدة بالعربية.

اما فضيلة الشيخ حسن الشاعر شيخ القراء بالمدينة فقد كان يقرأ عشرا مطولا في رحبه المسجد ــ الرملة صيفا وبداخل المسجد شتاء، وكان يجتمع حوله الكثيرون ممن يستمعون للتلاوة.. بينما كان الشيخ صالح عويضة يقرأ عشرا من القرآن بدكة الاغوات أمام بيت السيدة فاطمة الزهراء.. وكل هذه القراءات كانت قبل المغرب.

*حلقات الدروس بالمسجد:

وكانت تنتشر حلقات الدروس بعد صلاة المغرب في جميع انحاء المسجد.. وكان العلماء، والمشايخ يدرسون في مختلف العلوم الدينية والآلية.

وممن أذكر من المشايخ الذين كانوا يتولون التدريس بالمسجد.. قرأت على اكثرهم الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي، والشيخ ابراهيم برى، والشيخ محمد الطيب الانصارى، والشيخ محمد على التركي، والشيخ محمد الخضر، والشيخ محمد الامين الشنقيطي، والشيخ احمد بساطى، والشيخ حمزة بسطاى، والشريف محمد العربي، والشيخ محمد صقر، والسيد احمد الفيضى آبادي، والشيخ عبد الباقي، والشيخ محمود شويل، والخال الشيخ محمد صادق، والشيخ عبد الوهاب ابو خضر، والشيخ ماجد برى، والشيخ عمر برى.

وكان المسجد كخلية النحل من المصلين ومن طلبة العلم الذين يدرسون بالمسجد النبوي ــ كانت أيام حلوة جميلة ماالذها وأمتعها وأمرحها راحت وخلفت لنا ذكريات ننعم بخيالها، ونتحسر على فراقها.

* الازقة الضيقة الملتوية:

نعود الى ذكرى الازقة الضيقة الملتوية التي حول المسجد النبوي ــ والتي كانت ــ موضع حديث اليوم.

لقد تحسنت كثيرا الازقة المحيطة بالمسجد النبوي.. بعد التوسعة السعودية الاخيرة للمسجد النبوي.. في السبعينات.. ووسعت تلك الشوارع وجعلت بين ١٢ الى ١٨ مترا.. وفرشت بالرخام الأبيض اللماع.. ومنع مرور العجلات من تلك الشوارع بأنواعها.. السيارات والموتوسكل والموترسكلات والعربيات البلدي (الكرو) لألا تعوق حركة المرور الى المسجد.. وكانت العجلات ممنوعة بطبيعتها لضيق الأزقة.. وتعذر مرور العجلات منها.. وفتح شارع واسع نسبيا في الجهة الجنوبية يصل باب السلام بباب النساء وفرش بالرخام الأبيض الناصع.

* صيانة الاروقة المحيطة بالمسجد:

وعندما كانت الاروقه المحيطة بالمسجد النبوي مفروشة بالحجر الأسود لم تكن تحتاج الى صيانة كثيرة كانت تنظف دائما.. وفي بعض المناسبات كالأعياد كانت تغسل بالماء.

أما بعد أن فرشت بالرخام فهي تحتاج الى صيانة مستمرة وتنظيف دائم.

ولقد لاحظت في زيارتي الاخيرة للمدينة المنورة أن بعض قطع الرخام مكسورة وباقية في موضعها وبعضها نزع من محله.. وبقي محله على التراب.. وقد يعثر فيها الغافل.. ويوجد شريط منزوع عنه القطع الرخامية في الجهة القبلية وربما نزع لمد مواسير الماء أو التليفون.. وبقي محله ترابا.. وأرى ضرورة اصلاح هذه الأشياء أولا بأول لألا يتسع الخرق على الراقع.

* واقع الازقة الضيقة:

ويجرني الحديث عن الاروقة التى حول المسجد النبوي الشريف الى ماعليه واقع هذه الازقة الضيقة الملتوية التي يرجع تاريخ اقامتها الى مئات السنين.

هذه الازقة على ضيقها وتعرجها وقدم المباني التي عليها.. وعلى قربها من المسجد النبوي ومضايقتها للمرور فأنها مازالت باقية.. ومازال الناس يمرون منها.

ومن هذه الازقة.. الزقاق المتفرع من جهة باب النساء الموصل الى البقيع، والذى كان ممرا للجنائز. والزقاق الذي يمر من جنوب بيت شيخ الحرم، والزقاق الذي يمر من قرب مكتبة عارف حكمت ويمر من تحت سقيفة مظلله وضيقة الى زقاق الحمزاوي وكل تلك الأزقة المتفرعة منها كلها ضيقة وعسيرة وقد يتعذر مرور دكة الجنائز في بعضها.. فهي لا تصلح مجالا للسكني ولا تتفق مع هذا التطور الكبير في العمران وفتح الشوارع وتوسعتها في طول البلاد وعرضها وقد رأينا عمارات ضخمة، وشوارع وأحوشة أزيلت بالكامل من أجل توسيع الطرق وايجاد مواقف للسيارات.. بعد أن تطورت الحياة في البلد وغزت السيارات البلاد.. وكان لابد لها من شوارع واسعة تدور فيها، ومواقف تقف عليها وكان المفروض الا تبقى هذه الازقة الضيقة، والمباني المتهالكة قرب المسجد النبوي لمضايقتها للمسجد وعدم صلاحيتها.

وأذكر الآن أن مسئولا كبيرا كان قد اقترح قبل عدة سنوات.. أن تزال جميع المباني التي حول المسجد النبوي، وأن يحاط المسجد بحزام يقدر بخمسمائة متر من جهاته الاربعة.. وبعد هذا الحزام يخطط للشوارع الموصلة للمسجد تخطيطا يتناسب مع قدسية المسجد النبوي الشريف.. ويتناسب مع حركة المرور للسيارات ومواقفها من اطرافه الاربعة.

أنها كلمة مخلصة أقدمها للمسئولين وأرجو أن تكون محل العناية والدرس

وتـنـفـيـذ مايراه المسئولون من اصلاحات لهذه المنطقة الواقعة في شرقى المسجد وجـنـوبـه فـقـد طـال أمـد انـتظار الناس لذلك، وفق الله تعالى رجال دولتنا المخلصين الى مافيه خير العباد والبلاد.

طبق الصحيفة وقال «في أمان الله»

من يصدق.. ان هذه المطبعة بامكانياتها الطباعية والفنية والصحفية البسيطة.. تصدر أعدادا ممتازة و بثلا ثة ألوان و بصور متعددة للاشخاص وللأحداث وليس في المدينة أى ــ امكانيات للتصوير أو الحفر على الزنك.. وتصدر هذه الأعداد الممتازة في ١٢ و ١٦ صفحة.. والورقة الواحدة من الجريدة تطبع مرتين أو ثلاث مرات.. كل لون يطبع على حدة بعد تغيير الحبر باللون المراد طبعه.. وغسل المحابر والردافات من الحبر السابق.

لقد قالها الأستاذ ــ محمد سالم ــ مدير المطبعة الأميرية بمصر.. وهو واقف خلف مطبعة المدينة وهي تصدر العدد الممتاز في ثلاث ألوان ــ قال.. ــ والله العظيم لو لم أر بعيني أن هذا العدد يطبع بالمدينة وبهذه الامكانيات ماكنت صدقت أنه صدر بالمدينة ــ (١).

من يصدق.. أن دكانا بشارع العينيه مساحتها ٣ في ٣متر.. قد أشغل أكثر من ربعها مكتب ودولاب: تصلح لأن تكون إدارة لجريدة أسبوعية.

ثم من يصدق أن ادارة الجريدة تعجز طول السنين عن تعيين كاتب أو محاسب أو أى موظف يساعد أصحابها.. فيتحمل صاحباها كل مافيها من مسئوليات كتابية وحسابية وأدبية وتحريرية.

كل هذه الألوان وكل هذه الأحداث كان واقع جريدة المدينة المنورة.. وقد خرج أصحابها منها وعليهم لا لهم.
وأرجو بعد هذا ألا يفتخر علينا أصحاب المؤسسات الصحفية بأنهم

نشرت في جريدة البلاد في ١٣٧٧/٥/٦هـ

يصدرون الصحف يومية في ١٢ و ١٦ صفحة.. فلو قارنا بين مالديهم من امكانيات ضخمة ومكاتب وثيرة وغرف مكندشة ومالديهم من أعداد كبيرة من موظفي الادارة والتحرير — وبين ماكان الوضع في أيامنا مكتب الجريدة عبارة عن دكان مساحتها — كما أسلفت — ٣ في ٣ متر والعاملين في الادارة والتحرير هم صاحباها فقط — وكان يعجزهما تدبير ٧٠ ريالا رواتب موظفي المطبعة «بينما تصرف المؤسسة اليوم على الجريدة مئات الألوف شهريا رواتب للموظفين عن سعة والدولة تساعد الصحف بملايين الريالات.. وتسد كل عجز للصحف.. فلا مقارنة بين من كان يمشي على الشوك وبين من يمشي الآن على الورود والرياحين..

وساحاول بعد هذا أن أتحدث عن ذكريات مطبعة المدينة وجريدة المدينة.

تبدأ هذه الذكريات.. بصدور الأمر الملكي الكريم بأعفاء المطبعة ولوازمها من الرسوم الجمركية.. وعندما بلّغنى الأمير عبد العزيز بن ابراهيم رحمه الله أمير المدينة في ذلك الحين الأمر بأعفاء المطبعة من الرسوم.. لم يكن لدى في صندوق مطبعة — طيبة الفيحاء — التي كانت تسمى بهذا الاسم في السابق.. لم يكن لدى سوى ٢٠ ريالا عشرين ريالا فقط.. وكان قدر لى الشيخ عبد الحليم أبو خضير أحد تجار الأدوات الكتابية والطباعية بمصر قدر قيمة المطبعة ومايلزمها من حروف ومكائن معاونة للقص والتخريم والخرم قدرها بألف جنية مصري.. وكان الجنيه المصري يزيد عن الجنيه الانجليزي الذهب بقرشين ونصف القرش.

ولكن الله تعالى اذا أراد اتمام أمر يسر أسبابه.. لقد أراد بعض الأخوان مشاركتنا في المطبعة والجريدة.. ولكن والدنا رحمه الله وأجزل له الأجر والثواب حذرنا من الشراكة.. وقال (أحذروا حروف — الشوك) الشين للشراكة .. والواو للوكالة.. والكاف للكفالة.. فأنها تسبب المشاكل دائما.. فعدلنا عن قبول الشراكة.. رغم حاجتنا الماسة للنقود.. وتوكلنا على الله.. وقررنا أنا وأخي السيد على حافظ أن نقوم بالمشروع وحدنا.. وكان لدى

أخي السيد على دكان بقالة كبيرة صفاها وأعطاني قيمتها نقودا ذهبية.. وكان لمطبعة طيبة ديون استطعت أن احصل على أكثرها.. وصفيت كل ماكان بالمطبعة والمكتبة من كتب وأدوات كتابية.. وملأت الكمر من هذه النقود وتوكلت على الله.

وكنت في أوائل ربيع الثانية سنة ١٣٥٥هـ عدت الى جدة.. ومعي ١٨ طردا هي المطبعة والحروف والمكاين المعاونة لها لاصدار الجريدة.. وقد نزلت في جدة.. وعادت الباخرة ــ لتضع حمولتها من مكائن وأدوات في ينبع أقرب الى المدينة من جدة.

وتحصلت على سيارة لوري من الشيخ حمد السليمان وكيل وزارة المالية اذ ذاك وبمساعدة ــ الشيخ محمد سرور الصبان رحمهما الله. ونقلت المطبعة من ينبع الى المدينة في خمس ردود ــ وسهل الله وركبت المطبعة، وصدرت الجريدة في يوم الاربعاء ٢٦ المحرم عام ١٣٥٦هـ بعد متاعب كثيرة وجهد مضنى..

وذكريات جريدة المدينة أكثر من أن تحصيها مثل هذه العجالة.. ومن أراد المزيد من هذه الذكريات.. فإن الجزء الثاني من تطور الصحافة قد حوى الكثير من هذه الذكريات والغرائب وهو في متناول الجميع.

ولكني سأتحدث عن ذكرى واحدة ــ اذا سمح لى القارىء الكريم ــ وهذه الذكرى أبطالها موجودون وفيها من الطرافة ومن تاريخ الادب والفكر مايدعو للتحدث عنها.

تلك هي: الحوار الذي دار بين الاديب الاستاذ محمد حسن عواد ومعالى الاستاذ محمد عمر توفيق.. لقد نشر الاستاذ عواد مقالا في العدد العاشر من جريدة المدينة المؤرخ ١ ــ ٣ ــ ٥٦هـ تحت عنوان الادب الكاسد ــ تحدث فيه عن الأمثال العربية ومنها ــ القدح المعلى ــ ومارضى أن يكون هذا المثل للرفعة والسمو وقال ــ فيما أذكر ــ ان العرب قبل الاسلام كانوا

يسمون خشبة الميسر بهذا الاسم وكان لها النصيب الفائق من لحم الجزور عند الاقتسام بالازلام.. وانها خشبة مات عنها أصحابها ولايجوز أن تستعمل للرفعة والسمو..

ومما قاله: اننا لاننكر فصاحة الأمثال العربية القديمة ولكن ننكر صلاحية الكثير منها في الادب الحديث.

وناقش الاستاذ توفيق الاستاذ عواد.. فقال: ان مثل هذه الامثال فيه مجاز عن طريق الاستعاره ــ وهي ــ أى الدرجة العالية ــ في الكمال شبهت بتلك الخشبة التي فسرت بالقدح المعلى ــ بجامع أن كلا من الكلمتين يشعر بالعلو والرفعة ثم استعير اسم الخشبة به وهو ــ القدح ــ وأطلق على المشبه وهو الدرجة العالية على سبيل الاستعارة الاصلية.

وكان في المقال شيء من الهجوم على الاستاذ عواد.. وخشينا من حملة مماثلة من الاستاذ العواد ــ على الفتى الشاب ــ فقابلت الاستاذ توفيق بمنزله ورجوته أن يسحب مقاله.. لأن الاصطدام مع الاستاذ عواد قد لايأتي بخير.. ولكن الاستاذ توفيق لم يرقه كلامي وأصر على نشر المقال والا نشره في صوت الحجاز أو جريدة أخرى.. واضطررنا الى نشر مقال الاستاذ توفيق في العدد ١١ في ٨ ــ ٣ ــ ١٣٥٦هـ.

والى هنا والموضوع طبيعي ــ والجديد فيه أن الاستاذ محمد عمر توفيق أثار هذا الموضوع بعد ٢٧ عاما من حدوثه ــ فقد نشر مقالا في جريدة المدينة المنورة في العدد ١١١٧ المؤرخ ٢٣ ــ ٦ ــ ١٣٨٢هـ ولاأعلم الآن مناسبته.. تحدث عن الموضوع كما لو كان وقع بالامس وذكر في مقاله مقابلتي له ورجائي اياه أن يعدل عن نشر ذلك المقال.. وقال الاستاذ توفيق في مقاله الأخير: وأخذ زائري الكريم يناقشني في هجمتي على الاديب الكبير.. وأخذت أتصور خطورتي بمنتهى الغرور كلما تخيلت نفسي موضع الهمس والنقاش بين الاساتذة الكبار يعني ــ هيئة تحرير جريدة المدينة المنورة ــ وقال: وأذكر الآن أنه خوفني مغبة الدخول مع ذلك الأديب.. في

صراع قد أطير بعده كليا من سلم الخلود.. فأصررت أنا وقلت للأستاذ عثمان حافظ زائرى الكريم فليكن مايكون وبدأت أشحذ سكاكيني.. ونشر المقال وظلت أعصابي مشدودة.. وسكت الأديب الكبير.. وكان شعورى بالراحة لصمته تخالطه عزة الانتصار.

هذه من الذكريات التي لاتنسى.. وهي تعطى صورة واضحة لما كان عليه الأدب والصحافة قبل أكثر من أربعين عاما..

ولاأريد المزيد فقد رأيت الموضوع قد طال زيادة عن اللازم ولو أردت الاسترسال في سرد الذكريات لمل القارىء الحديث.. وطبق الجريدة «الصحيفة» وقال في أمان الله.



مجالس الأدباء بالمدينة المنورة

نشأة الأدب بالمدينة:

اذا كان الأدب هو فصاحة اللسان، وقوة البيان، ورصانة الشعر، والقدرة على التعبير عما يختلج في النفس بكلمات سهلة عذبة صافية مقبولة ـ لاعوج فيها ولا امتا.. اذا كان الأدب هو أهداف سامية وخلق كريم وخدمة للصالح العام.

اذا كان هذا هو الأدب.. فإن الأدب قد نشأ بالمدينة المنورة منذ الأزل ـ منذ نشأت الحياة الأولى ولا أستطيع أن أتحدث عن الأدب في السنين الخوالى فهذا محله بطون الكتب والموسوعات الأدبية وسوف أتحدث عن الأدب ـ في عصرنا الذي عشناه وزاملناه.. أتحدث عما سمعناه كثيرا وكثيرا في مجالس الأدباء وأنديتهم من قبل ومن بعد.

لقد كنا نسمع منذ أن عرفنا الدنيا.. أن سوق الأدب رائجة وأن مجالسه عامرة بالمدينة المنورة عامرة بالأدب والشعر، والقصة الأدبية والنكته الفكاهية.

وكانت هناك ندوات أدبية يرتادها الأدباء، و يتطارحون فيها الأدب والشعر، والنقد الأدبي والأجتماعي والفكاهي.

وكان المسجد النبوي الشر يف.. هو الجامعة الكبرى لتخر يج العلماء والأدباء منذ أبعد الأزمان حتى اليوم ـ منذ اليوم الذي كان ينصب فيه المنبر الأدبي لشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حسان بن ثابت الذي نافح عن رسول الله : ولم يكن في مبدأ حياتنا التعليمية والأبية مدارس أو

نشرت في جر يدة المدينة في ١٣٩٩/٣/٢٤هـ

معاهد للتعليم بل كانت هناك (كتاتيب) لفك الحرف وحفظ كتاب الله تعالى وكانت مدارس ابتدائية ـ وليست أكثر من مدارس تحضيرية أو ابتدائيه وكانت هناك دعاية سيئة ضد المدارس ـ سيا في العهد العثماني ـ وهي أن الدولة العثمانية سوف تأخذ أبناء المدارس عسكرا لذلك كان الأقبال على المدارس ضعيفا جدا.. فالطالب ينتقل من الكتاب بعد حفظ المصحف الشريف الى المسجد النبوي الشريف لاكمال دراسته وتعليمه.. وكان الانسان اذا ما أقبل على المسجد النبوي بعد الصلوات أو قبلها أحيانا يجد حلقات الدروس غاصة بالطلاب من مختلف الطبقات وفي مختلف العلوم والفنون العلمية والأدبية.

والرعيل الأول من العلماء والأدباء مدينون بالفضل للمسجد النبوي الشريف فكلهم أبناء مدرسته وكلهم طلبة أروقته.

مجالس الأدب بالمدينة:

كانت الأجتماعات المسائية بالمدينة في الأندية الأدبية ومنازل الأدباء تحفل بدراسة الأدب والشعر والبلاغة.. وقليل جدا من هذه المجالس التي يضيع فيها الوقت ـ في لعب الورق أو الشطرنج أو (الكنجفة) التي كانت لعبة ذلك العصر المفضلة.

ومن هذه الأندية والمجالس الأدبية ندوة ـ الشيخ عبد الجليل برادة رحمه الله ـ وكان من شيوخ الأدب والعلم بالمدينة ـ ومن شعرائها المجيدين.. وكانت تعقد ندوتُه في بستانه (الاباريه) والاباريه في موضع فندق التيسير الآن.. وكانت ندوة السيد أنور عشق وكان من الشعراء والأدباء البارزين.. وكانت تعقد ندوته.. في بستانه بباب الشامي ـ في شمال ثنية الوداع في سفح جبل سلع ـ وقد سماها (العشقية) وقد أدركناها قبل أن تتحول أرضها الى منازل.. فكانت جنة خضراء وقد قال فيها صاحبها السيد أنور عشقي البيتين التاليين:ـ

وروضة مارضيت عنها بملك كسرى ولا بقيصر
وكيف وهي المنى و (عشقى) بها وزهر الربيع (أنور) [(١)]

وفي هاتين البيتين تورية ــ فأسم أكبر أبنائه عشقى وأسمه هو أنور.

وكان بالمدينة عدد من الأندية يجتمع فيها أدباء المدينة وفضلاؤها وعلماؤها والعديد من شيوخ المدينة وأدبائها للمطارحات الأدبية والشعرية، ومن هذه المنازل ــ منزل الشيخ عبد القادر البرى، ومنازل السيد احمد الصافى، والسيد عبد القادر هاشم، والسيد عبد الجليل مدني وأخوانه الساده: عبد العزيز وزين العابدين، والشيخ محمد زاهد والشيخ ابراهيم اسكوبى والشيخ يحي دفتر دار، والشيخ محمد داغستاني وغيرهم ممن لست أذكرهم الآن.

كل هذه المنازل كانت مقصدا للأدباء والشعراء يتطارحون فيها الأدب شعرا ونثرا، وقصصا ومعظمهم كانوا يتخذون كتابا من كتب الأدب القديمة أو الحديثة يدرسونه و يتناقشون فيه.. وكثيرا ماكانت تطرح الأبيات الشعرية لتشطيرها في المجلس، وكانت طريقة التشطير، والتخميس، والتشجير تطيف بأفكار الشعراء والأدباء آن ذاك.. و يكاد يكون شعار ذلك العصر التشطير والتخميس والتشجير ومن القطع الشعرية التي شطرها عدد كبير من الشعراء وفي فترات متلاحقة معروفة ــ حتى قالوا أن أكثر من سبعين شاعرا شطرها ــ الأبيات التالية :

من لى بظبي أهيف ختم الجمال به وتَمْ
في فيه ماء حياتنا والموت في جفنيه وثَمْ
ان قلت صلنى قال لى من رام وصلى مات غَمْ

---

(١) عشقي هو الابن الاكبر للسيد انور عشقي رحمها الله.

وقد أخبرني السيد عبيد مدني رحمه الله ــ أن لديه أكثر من سبعين تشطيرا لهذه الأبيات وأيضا فأن البيتين التاليين شطرا من عشرات من الأدباء:

ظبي حاوى قد سباني وجهه الباهي الأنيس

ثغره كنز اللالىء ريقه (انقر منيس)

وأذكر مرة أننا حضرنا أنا وأخى السيد على حافظ أحدى هذه الندوات الأدبية مع خالنا الشاعر محمد صادق ــ رحمه الله ــ وكان يقول الشعر و يتذوق الأدب ــ وقد كنا أطفالا صغارا.. ولكن الأشياء النادرة ــ دائما ترسخ في أذهان الصغار ولا تنسى ــ فتكون كالنقش على الحجر ــ وقد أثار ذكرى هذا المجلس وريقات بالية ــ فيها تشطير الأبيات الغريبه الآتيه وقافيتها (اسم صوتي) ولعل احتفاظي بها كل هذه المدة كان لغرابتها: وندرة قافيتها حيث لاينطبق، دخل المجلس أحد السادة الأدباء وأنشد وهو واقف قبل أن يجلس وقال:

مررت بعطار يدق قرنفلا ومسكا وكافورا فقلت له (علامة الشم)

فقال لى العطار رد قرنفلي ومسكى وكافورى فقلت له (علامة رد الشم)

ثم قال عندى ثلاثة أبيات من يشطرها له عندى (يوم سلطاني) واليوم السلطاني هو (قيله) في أحد البساتين بذبيحة ــ وأنشد الأبيات:

ولقد قلت للمليحة يوما وهي بالطاق يامليحة (اشارة طلب القبلة)

فاجابت بحالة الضحك قالت أيها العاشق التيم (اشارة الرفض)

مذ سمعت الجواب قلت لجحشى قد ينسنا من المليحة (اشارة سوق الدابة)

وقد تنحى أحد الأدباء جانبا.. و بعد فترة شطر الأبيات الثلاثة وقال لمن جاء بها في المجلس لقد شطرت الأبيات ــ ولكن لايمكن أن أقولها الا

بشرط ــ أن تجلس أمامي ثانيا ركبتيك وألزموه أن يجلس ثانيا ركبيته أمامه ليسمعوا التشطير ــ وبعد أن جلس أمامه جلسة الطالب أمام أستاذه ذكر التشطير وهو:

ولقد قلت للمليحة يوما عند رشف اللمى المعسل (اشارة المص)

ثم لما مررت قلت مشيرا بسرور بعد المحبة (اشارة طلب القبلة)

وأشارت بمعصم وبنان أيها العاشق المتيم (اشارة الرفض)

منذ سمعت الجواب قلت لجحشى وهو بين الحمير ينهق (اشارة لصوت الحمار)

ليس يجدى البقاء والمكث هيا قد ينسنا من المليحة (اشارة سوق الدابة)

وفي اليوم الثاني كان اليوم السلطاني في أحدى البساتين بالمدينة المنورة ــ الذى كلفه أكثر من ريال مجيدي كما سمعنا.

هكذا كانت مجالس الأدباء والأدب بالمدينة المنورة كلها أدب وشعر وفكاهة ومرح وطرب. وكان لأدباء المدينة قطع شعرية ونثرية رائعة ــ وتوجد عدة دواوين شعرية لبعض الأدباء ومعظمها غير مطبوعة.

ومن هذه الدواوين الشعرية ديوان السيد محمد البيتى، وديوان الشيخ ابراهيم اسكوبي، وديوان الشيخ عبد الجليل براده، وديوان السيد أنور عشق، وديوان الشيخ رفاقت على، وديوان الشيخ عمر برى، وديوان السيد عبيد مدني، وديوان الشيخ محمد سعيد دفتر دار، وديوان الشيخ سعد الدين عبد الجليل براده، وديوان السيد علي حافظ، وهو تحت الطبع، وديوان الشيخ هاشم رشيد، وقد طبع هذه الديوان حديثا، وهو شاب نابغ وديوانه يعطى صورة واضحة عن شعراء المدينة المنورة وقد تكون هناك دواوين أخرى أيضا في مكتباتهم لم يصل اليها علمنا.. وأمامي العديد من القصائد الشعرية المطولة ــ وغير المطولة لايتسع المجال لذكرها في هذه العجالة القصيرة.

وسوف أذكر هنا بعض الملح الشعرية والطرف الفكاهية كنموذج لأدب تلك الفترة في القسم الثاني من هذه الدراسة أن شاء الله.

القسم الثاني:

تشطير للشيخ عبد الجليل براده والأصل له أيضا:

ناولت ذات البها المرآة أوهمها — بأنها سرقت منها معانيها

لكي تكف عن الأعجاب أن علمت — بأن فيها لها شكل يحاكيها

فعندما نظرت فيها محاسنها — تحققت أنها عين الذى فيها

فكسرتها كتكسير الجفون وما — جارت وطالت على عشاقهاتيها

وهناك بيتان رقيقان لاأعرف قائلها وأظنها لأحد الأدباء بالمدينة لأني سمعتها في أحدى ندواتهم.. وهي تدل على مبلغ الخيال الخصب الذي يحلق فيه الشعراء في اجوائهم الحالمة..

هيفاء لو خطرت في جفن ذى رمد — لما أحس لها من وطئها الما

خفيفة الروح لو رامت لخفتها — رقصا على الماء مابتلت لها قدما

ويذكرنا هذا الخيال المجنح بخيال المتنبي حين قال:

كفى بجسمى نحولا انني رجل — لولا مخاطبتى اياك لم ترن

ومن قصيدة له يمدح بها سيف الدولة قوله:

واخفت أهل الأرض حتى أنه — لتخافك النطف التى لم تخلق

ولعل من قال أن أعذب الشعر أكذبه يقصد أمثال هذه الأبيات الخيالية ولايقصد الكذب بمعنى الافتراء.

ومن قصيدة للسيد على المعصومى:

لمعت ليلا فقالوا ذهب   وصفت لونا فقالوا لهب

واذا مادفقت من دنها   في الدجى قالوا طراز مذهب

قهوة رقت فلولا كاسها   لم يشاهد جرسها من يشرب

وتراها في يد الساقي بها   كوكبا تسعى بها لى كوكب

البستها الكاس ثوبا مذهبا   وجناها باللآلى الحجب

عجبوا من نورها اذا أشرقت   وشذاها من سناها أعجب

بنت كرم كرمت أوصافها   اى بنت قام عنها العنب

ومن أبيات للسيد يحي هاشم المدني:

الشعر في غابر الأزمان قيمته   والآن لايشترى والله بالمدر

ان كنت تمدح لم تعط جوائزه   أو كنت تهجو فمن تهجو من البشر

فأجعل مديحك في راح وساقية   واقضى الزمان على الروضات والزهر

ومن ابيات للسيدة سلمى بنت القراطيش:

عيون مهى الصريم فداء عني   واجياد الظباء فداء جيدى

از ين بالعقود وان نحرى   لاز ين للعقود من العقود

ولااشكو من الأوصاب ثقلا   وتشكو قامتي نهب النهود

وللسيدة حفصة الركونية:

ازورك أم تزور فأن قلبي   الى ماتشتهي ابدا يميل

فشغرى مورد عذب ذلال — وفرع ذؤابتى ظل ظليل
وقد املت ان تظمى وتضحى — اذا ماغاب عنك بي المقيل
فعجلوا بالجواب فما جميل — اباؤك عن بشينة ياجميل

وللسيد أنور عشقي:

امدام لو ابصرت مايعتادني — عند الهجوع وليس غير هواك
ارق يململني كأن بمضجعي — جمراً يؤججه اشتياق لقاك
لرحمتنى ان كنت ذات ترحم — ولتحزنين وربما ابكاك
عيشى منعمة وان كنت التي — نغصت عيشى فيما نعمى يهناك

ومن قصيدة لشاعر المدينة الشيخ ابراهيم اسكوبي ينبه فيها الحكومة العثمانية الى ماتبيته لها اوربا من غدر وقد نشرتها جريدة القبس السورية اذ ذاك.. واحدثت دويا كبيرا في الأوساط العثمانية وطلب الشاعر للاستانة من المدينة وحوكم عليها ــ ولكنه استطاع اقناع السلطات العثمانية بحسن نيته واخلاصه في النصح وقد عرض عليه بعد المحاكمه وظيفة كبيرة في وزارة المعارف ولكنه لم يوافق عليها وطلب عودته الى المدينة وهذه هى القصيدة:

ياآل عثمان فالمغرور من غرا — باهل اوربة أو عهدهم طرا
اتأمنون لموتورين دينهم — ان لايروا منكم فوق الثرى حرا
تمالؤا فخذوا حذرا فأنهم — يرون ابقاءكم بين الورى ضرا
فهذه دولة الطليان حين رأت — اسطولكم ليس يغنى فاجأت غدرا
وشقت البحر بالاسطول معجبة — تختال تيها به مغرورة سكرا

وانـزلت بطرابلس عساكرها فهل اربه كفت عنكم الشرا

فما على من رأى لحما على وضم يجتره غيره لو ماذا اجترا

دون الدنية ايثار المنية في قوم من البغض ودوا محوكم مكرا

لاتحسبوا انهم ناسون مافعلت اسلافكم بهم في سالف مرا

والله انزل طه رحمة وهدى للكل فانفتقت انواره نشرا

فقامت العرب قبل الناس اجمعهم دينا ودنيا وشدوا عزمهم ازرا

نجد جدكم جهدا بما شرعت شرائع الدين حتى وطدوا الامرا

واهل اروبة في الغرب اجمعه في ظلمة الجهل تستاقونهم اسرا

فتحوا بكتاب الله ارضهم فأصبحت بكم من رجسهم طهرا

والقصيدة طويلة تقع في حوالى ثمانين بيتا وكلها على هذا النمط من ايقاظ العرب ـ والمسلمين لما يدبره الغرب لهم من مكر وخداع ـ والشيخ ابراهيم اسكوبى ـ كان يقول الشعر النبطى ومن شعره النبطى ـ قوله:

ياالله اسألك ياحي يامعبود يامن تجيب العبد اذا جاك سائل

تجعل عزيزي النصر مقرون بسعود والحظ خادم للعطايا وحامل

وسعود لولاك منك بالله مسعود مانجا من كل عدو مماطل

وقال الشيخ عبد القادر طاهر في ـ الشيشه ـ:

هذه شيشة انس تممت كل نظامى

قد حوت من كل فن وبها زاد غرامي

حظيت من ثغر ظبي ريقه يشفي سقامي

وللشيخ عمر برى:

وملـيـحـة كلـف الفـؤاد بحبها　　تـغـزو الـقـلـوب بـذابـل ومهـنـد

لـمـا اصـابـتنى بـنـار صـدودهـا　　نـاديتهـا لم لابـوصـلـك تـسـعـد

قـالـت ازورك في غـد فـأجبتها　　والـدمـع مـثـل اللـؤلـؤ المتـبـدد

يـاربـة الحـسـن البـديع الا اسرعى　　هيهـات ان ارجـو الحيـاة الى الغد

ومن تخميس للشيخ عمر داغستاني:

قـل للتى فـتـكـت أسنـة هُدبـه　　في قـلـب عـاشـقـه ومهـجـة صـبـه

كـم ذا تـروع آمـنـا في سـربـه　　«يـامحـرقـا بـالـنـار خـد محبـه

مـهـلا فـان مـدافـعـى تـطـفـيـه»　　فـيـمـن حـبـاك سـهـام لحظ جارح

لا تـوقـدن الـنـار بين جـوانحـي　　فـاذا ابـيـت وكـنـت غير مـسـامحي

«احـرق بهـا جسدى وكل جوانحي　　فـاذا ابـيـت وكـنـت غير مـسـامحي

«احـرق بها جسدى وكل جوارحى　　واحـرص على قـلـبى فـانـك فـيـه»

وهذا تشطير للخال الشيخ محمد صادق:

«نـبـارز ابـطـال الـوغـى فنبيدهم»　　بـصـارم هـنـدى مـغـل الـكـتـائـب

ونـقـرع هام الحرب في حومة الوغى　　«و يقتلنا في السلم لحظ الكواعب»

«وليست سهام الحرب تغني نفوسنا»　　ونـوردهـا حـوص المـنـايـا بـشـاحـب

ولـو بـارزوا نـابـا لـظـى لاتـقيهـا　　«ولـكـن سهام فوقت في الحواجب»

ومن ابيات للشيخ عمر برى:

وبيضاء كالبلور شف أيمُها يكاد يرى مافي حشاها من السر
تقول وقد جاءت عشاء تزورني وقد برزت كالبدر من فلك الزهر
أأبصرت عينا في جمالي يشينه وهل عاينت عيناك حسنا له وفرى؟
فقلت معاذ الله انت جمعت ما تفرق في الدنيا من الحسن والبشر
ولكن أرى مابين جانبيك شاهدا يخبرني ان قد طبعت على الغدر

والمجموعة التي أمامي لشعراء أهل المدينة في تلك الحقبة من الزمن كبيرة جدا ــ في مختلف فنون الشعر.. المديح والغزل والهجاء، والرثاء، والملح الأدبية ــ ومن بين هؤلاء الشعراء السيد محمد البيتى، والشيخ ابراهيم اسكوبي، الشيخ عبد الجليل براده، الشيخ انور عشق، الشيخ سعد الدين عبد الجليل براده، السيد على المعصومى، السيد حسن هاشم، السيد عبد القادر برى، الشيخ ابراهيم برى، الشيخ عمر برى، الشيخ يحي دفتر دار ــ الشيخ عمر داغستاني، الشيخ عابد سندى، الشيخ محمد امين زللى، الشيخ يحي الجامي، السيد حسين الشدقمى، السيد زين العابدين جمل الليل، الشيخ محمد صادق الجزائرى، الشيخ عثمان داغستانى، السيد على برزنجى، الشيخ عبد الحفيظ سندى، السيد ابو القاسم البرزنجي، السيد جعفر البرزنجي، السيد عبد الله اسعد، السيد شاهين الحسينى الشدقمى، السيد عبيد مدني، الشيخ عبد القدوس الانصارى، السيد على حافظ، الشيخ هاشم رشيد، الشيخ احمد سفر، السيدة سلمى القراطيش، السيدة حفصة الركوبية، السيد محمد الجفرى، الشيخ محمد سعيد سفر.

ولااستطيع حصر ماهو مدون ومعروف من الشعراء ونكتفي بمن تحدثنا عنهم.

وهذا الأدب المدني كان مسجونا في المكتبات وفي صدور الرجال ولم يصدر الى المناطق الاخرى لأن وسائل التصدير كانت معدومة فالمطبعة لم

تـرها هذه البلاد الا في أوائل القرن الرابع عشر وبقيت هذه المطبعة مقتصرة على أعـمـال الدولة أكثر من ربع قرن والصحف لم يبدأ صدورها الا في عام ١٣٢٦هـ ــ وكانت صحف بدائية في تحريرها واخراجها وافكارها واصدرتها الدولة العثمانية لأغراض سياسة وأدباء المدينة لم يشتركوا في تحريرها.. والبريد لم يكن منظما بين المدينة وأطراف العالم فقد كان مجيئه وسفره كل اسبوعين مرة.. لذلك فأن الأدب بالمدينة يكاد يكون معزولا عن العالم ولم يتجاوز محيط المدينة في تلك الفترة.

وانتقل بالحديث الى الفترة الثانية ــ عصر الشباب الذي اندمجنا فيه وعاصرناه وشاركنا في نمو الأدب وتسجيل بعض اثاره.. والصحف التي صدرت في منتصف الخمسينات هي التي ابرزت الأدب وحفزت من كانت له ميول أدبية بمزاولة ميوله.

وقبل الحديث عن الصحف اتحدث عن الارهاصات التي سبقت صدور الصحف.

وأول هذه الارهاصات التي سبقت صدور الصحف الأدبية ــ الأندية ــ التي كانت تعقد بصورة منظمة اسبوعيا ويحضرها الكثير من الأدباء والضيوف وزوار المدينة المنورة من رجالات السياسة والأدب وتلقى فيها المحاضرات الأدبية والأجتماعية والنقدية والأقتصادية وسواها. أجل لقد كان بالمدينة المنورة في أوائل الخمسينات ندوتان أدبيتان.

احداهما: كان اعضاؤها السادة: الشيخ عبد القدوس الانصارى ــ السيد احمد الخيارى والاستاذ رضا حوحو وغيرهم من الاخوان وتسمى هذه الندوة «نادي الحفل الأدبي».

والثانية اعضاؤها ــ السادة ــ عبد الحق النقشبندي، والاستاذ محمد عمر توفيق والسيد علي حافظ والسيد عثمان حافظ والاستاذ عبد الحميد عنبر والسيد ماجد عشقي وتسمى هذه الندوة «نادي جماعة المحاضرات» ويحضرها الكثير من الأدباء واساتذة المدارس ــ وكانت هاتان الندوتان

تـعـقـدان اسـبـوعيا.. وتعقد ندوة «نادي الحفل الأدبي» في مساء يوم الجمعة من كـل اسبـوع و يـعـقـد «نـادي جمـاعة المحاضرات» يوم الثلاثاء من كل اسبوع.

وكـانـت تـعـقد هاتان الندوتان بمنازل الأعضاء واخيرا كانت تعقد ندوة نـادي جمـاعـة المحـاضـرات في المـدرسـة الناصرية ــ وعندما ظهرت الصحف اصبـحـت تـنـوه دائمـا بـعـقـد هـذه الـنـدوات وتنشر تفاصيل مايدور فيها من محاضرات ومذكرات وتنشر بعض المحاضرات.

ومما نـشـرتـه جـريـدة المدينة المنورة في العدد ٣ المؤرخ ١١ صفر ١٣٥٦هـ تحت عنوان «جماعة المحاضرات والحفل الأدبي» ان مبادىء جماعة المحاضرات تـرمـى الى ايـقـاظ الـروح الـديـنـي الـعـام وتنمي المواهب العلمية وفي طليعة أغـراضـهـا الأساسية بث الدعاية الواسعة للحج واظهار معالم النهضة العمرانية في المـمـلـكة السعودية القابض على زمامها العاهل الكبير «جلالة الملك عبد الـعـزيـز الأول» وبجـانـب هـذه الـحـركة المبرورة «نادي الحفل الأدبي» وفي كـليهما تـلـقـى اسـبـوعـياً المحاضرات العلمية والأخلاقية والأدبية ومما هو جدير بـالاعـجـاب أن أتـذكـر المحـاضـرة التي ألقاها في نادي جماعة المحاضرات ليلة الـثلاثاء الموافق ١٣٥٦/٢/٢هـ ــ الاستاذ عمر على عبد الله خريج الجامعة المـصـرية وجامعة برستول بانجلترا والمدرس بمدرسة النجاح ــ وموضوعها «نحو الاسرة والمدرسة».

ولايـتسع الموضوع للاطالة.. وقد كانت جريدة المدينة ومجلة المنهل تهتمان بمـا يـلقى في هـذه الأندية من محاضرات ومناقشات والتنويه عن هذه النوادي الأدبية وكثيرا ما كانت تنشر نص المحاضرات.

وأذكـر ان ممـن حضر نادي جماعة المحاضرات في عام ١٣٥٧هـ ــ معالي السيد شكرى القوتلي ــ وكان وزير المالية بالجمهورية السورية والسيد امين الحـسيني وكان الزعيم الأول في القضية الفلسطينية وقد القى كل واحد منهما محـاضـرة في النادي وكانت محاضرة السيد شكرى القوتلي عن الحج واحكامه

دعا فيها لتوعية الحجاج من بلادهم على أحكام الحج وفوائده ومنافعه الدينيه والأجتماعية وقال ان معظم الحجاج القادمين من الخارج لايعرفون ماهي مناسك الحج ولا ما هي فوائده واسراره بل ربما لايعرف بعضهم لماذا هم قادمون وماذا هم يعنون.

والقى السيد امين الحسيني محاضرة عن فلسطين وعدوان اليهود الغاشم عليها ـ وفند افتراءاتهم على فلسطين واهل فلسطين وقد نشرت جريدة المدينة هذين الخطابين.. ولي كلمة أخرى عن الصحف ودورها في ابراز أدب المدينة وأدباء المدينة في ذلك التاريخ.

لقد صدرت أول مجلة أدبية بالمدينة المنورة وكان صدورها في شهر القعدة ١٣٥٥هـ ـ وهي مجلة «المنهل» أصدرها الأستاذ عبد القدوس الانصارى وصدرت جريدة المدينة المنورة بعد صدورها بشهرين في ٢٦ المحرم ١٣٥٦هـ ـ وقد وجد أدباء المدينة ميدانا فسيحا لنشر أثارهم الأدبية والعلمية والتاريخية في هذه الصحف وظهر العديد من الأدباء والشعراء بالمدينة المنورة ومن هؤلاء الأدباء الذين ظهرت اسماؤهم وكانوا يزاولون الكتابة في صحيفة المدينة المنورة السادة الأساتذة ـ السيد امين مدني ـ الاستاذ ضياء الدين رجب ـ الاستاذ محمد زيدان ـ السيد على حافظ ـ الاستاذ محمد عمر توفيق ـ الاستاذ عبد السلام الساسى ـ الشيخ محمود شويل ـ السيد احمد العربي ـ الشيخ عبد الحق النقشبندي ـ الاستاذ عبد الحميد عنبر ـ الاستاذ عزيز ضياء ـ الاستاذ عمر علي عبدالله والاستاذ محمد سعيد دفتر دار.. وغيرهم..

جـــــل من لاينسى

تحدثت فى كلمة سابقة عن نشأة الأدب بالمدينة المنورة كطلب الصديق الأديب الأستاذ عبد السلام الساسى وعن الرعيل الأول من كبار أدباء المدينة المنورة وشعرائهم، وكتابهم، ونواديهم الأدبية، ونواديهم الفكاهية، وتحدثت عن أدباء سمعنا عنهم وقرأنا لهم.. وعن مجالس أدبية سعدنا بحضورها مع فارق في السن والمدارك.

وكنا في تلك الفترة لانعرف شيئا أسمه الأدب ولكننا كنا نطرب لسماع الشعر الرقيق، والنكتة الرائعة، والفكاهة الصاعدة.. كنا أطفالا.. ولكن الأطفال ــ دائما ــ ينطبع في نفوسهم و يثبت في ذاكرتهم ــ مايستحوذ على مشاعرهم، ويمتلك اعجابهم.. وأن ماتحفزه الأحداث في ذاكرة الأطفال ــ يثبت مع الأيام فلا يمحوه مرور الحدثان ولا تعاقب الجديدين.

و بعد نشر تلك الكلمة عتب على أحد الأصدقاء «محمد عمر كردي» وقال بتواضعه ورقته المعروفة.. قال ــ لقد قرأت كلمتكم عن أدباء المدينة .. ابنكم «عمر» يقصد أبنه الأكبر.. يقول أنك نسيت أستاذك لم تذكره مع من ذكرت من الشعراء والأدباء الأول ذكرت زملاءه ــ الشيخ عبد الجليل براده، والشيخ ابراهيم اسكوبى، والسيد محمد البيتى، وغيرهم من الشعراء ــ ونسيت الشيخ عمر كردى.. وهو ليس أقل منهم شأنا في الشعر والأدب وضربت كفا على كف.. وقلت له ــ نعم والله نسيته وقال ــ كيف تنساه وقد كنا واياكم جيرانا ــ وكنا نتزاور ــ دائما ــ وقلت له اذا كنت نسيت ذكر فضيلة أستاذنا وشيخنا الشيخ «عمر كردي الكوراني» فلست أول من نسى.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/٥/٨هـ

ومـاسـمـى الانـسـان الا نـسـيـه ولا الـقـلـب الا انـه يـتـقـلـب

واذا كـان الـنـسـيـان يجوز على الأنـبياء والرسل ــ فأي غرابة أن أنسى أنا.. أن سيدنا موسى عليه السلام ــ نسي حوته فأتخذ سبيله في البحر سر باً ــ «وجل من لاينسى».

وقصص الـنـسـيـان لاتكاد تنتهي ــ فنهم من كان ينسى اسمه يكتب الـكـلـمـة و يـنـسـجـم معها فأذا اراد توقيعها وقف القلم يستوحي اسمه من الـذاكـرة أو مـن ابـنه ليذكره بأسمه وهذه وأن كنت أعتبرها أسطورة ــ الا أنهـا ذكـرت فـي ترجمة بعض رجال الفكر الفرنسيين والأستاذ الصديق ضياء الـديـن رجـب رحمـه الله كـان مـشـهـورا بـالـنـسيان ومن حوادث نسيانه التي لاتنسى ماأخبرنا به شخصيا عن حادثتين اثنتين من حوادث النسيان.

أحـدهمـا: أن جـلالـة المـلك المغفور له الملك عبد العزيز زار حائلا وكان الأستاذ الضياء قاضيا في العلا وجاء ليسلم على جلالته و يستأذنه في العودة الى المدينة المنورة ــ وأذن المؤذن لصلاة المغرب والتفت الملك عبد العزيز ــ رحمـه الله ــ يـبـحـث عـن الأمام ــ وقد «سماه» فوجد الأستاذ ضياء أمامه فـشـده مـن كـتـفـيـه وقـدمـه لـلامامه و يقول الأستاذ أنها كانت مفاجأة لي مـربـكـة.. لم أكن أتوقعها ولما وقفت للصلاة بالناس بحثت عن سورة الفاتحة في الـذاكـرة فلم أجدها وقلبت صفحات الذاكرة يمينا وشمالا فلم أجد سورة الفاتحة وأخيرا قرأت سورة «قل هو الله أحد..» بصوت منخفض وفي الركعة الـثـانـية تذكرتها وقرأتها وحمدت الله تعالى ان لم يعلق أحد من ــ المصلين ــ على عدم قراءتى لها في الركعة الأولى.

والمرة الـثـانية .. الذي يقول الأستاذ أنه نسى نسيانا مخجلا أن الأستاذ محـمـد بـصـراوى ــ رحمـه الله ــ قـدم الـى مكة من الطائف في رحلة عمل وكـان مـديـرا لأوقـاف الطائف وكان الأستاذ ضياء نائبا لمدير عام الأوقاف الـشـيخ عبد الرؤف الصبان ولما انتهى عمله وأراد الخروج ألزمه بالغداء عنده ــ وذهـبـا سـو يـا الـى المنزل ورجاه البقاء في الديوان ر يثما يصعد الى الدور

العلوى ليصلى الظهر و ينزل اليه و يقول الأستاذ أنني كنت أشعر بشيء من التعب و بعد الوضوء وصلاة الظهر أخذتني سنة من النوم متكئا على وسادة وأنا فى مكاني وفقت من نومى على صوت «أم حمزة» تقول أتفضل الغداء جاهز ونسيت أن أخبرها أن ضيفنا ينتظرني في الديوان وتناولت طعام الغداء والشاى ثم آذن العصر وأديت صلاة العصر ــ وأثناء خروجي وأنا فى السلم سمعت الشيخ محمد بصراوي ينادينى بصوت عال وقلت لأم حمزة جهزى الطعام للضيف ونزلت به ليكون شفيعى في النسيان ولكن الشيخ البصراوي رفض رفضا باتا تناول الطعام بعد أن علم أننى قد تغديت وحاولت أن أقنعه بنسياني ولكنه كان فى منتهى الزعل ومارضى بتناول الطعام الا بعد جهد ورجاءات وقبل على الرأس.

صحيح أنه نسيان مخجل ولكن ماذا يصنع المرء مع واقعه وقد شرع الله تعالى سجود السهو في الصلاة بمعنى أن النسيان وارد في الصلاة وارد فى أعظم شعيرة من شعائر الدين الحنيف ــ وهو في غير أكثر ورودا.

أما الشيخ «عمر كردي الكوراني» فقد كان فحلا من فحول الشعر والأدب وكان من بيت علم، وفضل، وكرم.. وقد تولى قضاء المدينة المنورة عدة سنوات وأخوه الشيخ عبد الحفيظ كردى كان من علماء المدينة وشعرائها وكان نائبا لقاضى المدينة المنورة وقد حيا جريدة المدينة المنورة حين صدورها بقطعة شعرية رائعة نشرت ــ فيما أظن ــ في العدد الثاني من الجريدة الصادر في ٢ صفر سنة ١٣٥٦هـ ومنها:

نخبة الأداب فينا أوجدت	طلعة في النفس تزهو وتميس
أحيت الأفكار في وادى الحمى	وأفاضت جهدها الغالى النفيس
وأفاضت بحجاز موردا	صافي المجرى سليما للنفوس
هي ذي «طيبة» في ترصيفها	عمدة الأقوال بالمعنى الرئيس

هـي ذي «طـيبـة» في أبـنـائـهـا فـرحـة لـلـقـلـب شؤم للدسـيـس
طـافـت الأفـاق تجـلـو غـيـبهـا لتدانى مجدهـا العـالـى الرسيس
زودوهـا بـالـمـعـالـى أنهـا حـربـة للطـعـن في قـلـب الخميس
مـظـهـر الاسـلام فيهـا أبـدا وسـعـود شـاهـد يعـلى الـرؤوس
عـظـموهـا واطنـبوا في فـضـلهـا من تحـاشـى فـهـو محـروم تـعـيـس
هـي ذي «طيبـة» من كـايـدهـا أو رمـاهـا عـالـة الـدهـر الـشـموس
مـهـبـط الـوحـى اذا مـاقـدرت بـبـنيهـا طـالـع الـسـعـد الـنـفـوس
يـاسـراة الـقـوم يـاعـز الألـى قـد حـكـت علياؤهم ضوء الشموس
روضـوا الأخـلاق عـلـما وتـقـى لـتـزيحـوا سـطـوة الجـهـل الـعـبـوس
وأرونـا فـكـرة وضـاءة واسـكـبوا الفضل زلالا في الكؤوس
وقين بـربـوع أخـلـدت مجـدهـا الـرائـع مـابين الـطـروس
فـاذكـروهـا روضـة محـبـوبـة مـأرز الايمـان نجـم لايخـيـس
واقـدروهـا صـفـحـة الـشـعـب الذي زانهـا عـثـمـان بـالـفـعـل الـقـديس
واحـذروا الـدنـيـا فـتـلـكـم طـالمـا وقـفـت تـتـلوا على الناس الدروس

سـألـت ابـنـه الـصـديـق محـمد كردي عنه فقال أنه كان عند عمي عبد الحفيظ وقد فقدناه بعد وفاته.. واذا كان بالشيء يذكر.

فأنني اذكر أن فضيلته روى هذا البيت من الشعر
ولـسـت بـنـحـوى يلوك لـسـانـه ولـكـن سـلـيـقـى أقول فـأعـرب

وسـألت فضيلته عن معنى البيت فطفق يشرح لى معنى البيت بتوسع —

يشرح الألفاظ ويشرح المعانى وقد كان هو في واد وانا في واد آخر ولكنى كنت أهز رأسى وكأنى واعى بكل شيء ثم التفت الي وقال فهمت فقلت نعم نعم وانا اردد في نفسي قول الشاعر

تأمل في الكتاب وهز رأسا   وفتل شاربيه وقال هاها

وظن بأنه يدرى علوما   لعمرك ليس يدرى ماضحاها

رحمك الله ياأبا محمد وبارك في ابنك محمد واخوته وانجالهم وابنه الشيخ محمد كردى بقول الشعر لكنه مقل وكان في الأيام الغابرة يسمعنا الكثير من شعره ومتاعب الدنيا لم تعطه الفرصة للتوسع في الشعر ويقول أنه تركه الأن أما أبنه عمر محمد كردي فقد نشرت له صحفنا عدة قصائد شعرية ولديه ديوان ربما يظهر قريبا.

ومنزل آل الكردى كان قريب من منزلنا بالمناخة لايفصلها عن بعض الا منازل القم قم جى وآل والداغستاني وكتاب الشيخ حامد وكنا نزورهم دائما وللشيخ مجلس رسمي يستقبل فيه الضيوف بين المغرب والعشاء وكنا نحضر هذا المجلس أحيانا أنا وأخي السيد على حافظ وكان يؤم مجلسه عالية القوم وكرام الناس وكنا نستمتع بحديثهم ومناقشاتهم ولكننا ماكنا نشترك معهم لفارق السن والعلم والأدراك.

ذكريات حبيبة ذكريات الطفولة راحت وخلفت وراءها الحنين اليها والشوق لها والتلذذ بروايتها والتحدث عنها.. وأخوه الثاني السيد يس كردي وكان مدير للمدرسة العلوية التي كان مقرها «بالربع» بجوار باب السلام ومازلت أذكر وكأني أرى الأن اللوحة التي كانت مثبته على «روشن» المدرسة من جهة باب السلام ومكتوب بها «أنا مدينة العلم وعلى بابها» وكانت هذه المدرسة مسماه باسم الامير على بن الحسين وكان ذلك فى آخر الثلاثينات.

وكان الشيخ عمر كردى جهورى الصوت وله قدرة نادرة على الخطابة ورواية الشعر فاذا قام والقى قصيدته أرغم الناس على الأصغاء اليه والأعجاب به.

وله ديوان شعرى خطى..

علاقة الصحافة بالأدباء قبل ١٢ عاما

منذ اثنى عشر عاما كيف كانت علاقة الصحافة السعودية بأدبائها وكتابها.. ماهي صيغة التعامل، وكيفية الاستكتابات.. كيف كانت الصحف تكافىء كتابها.. هذه الاسئلة نشأت فى ذهنى وأنا اتصفح العدد رقم ١٠٦١ من جريدة المدينة الصادر بتاريخ ٤ ذى الحجة ١٣٨١هـ.. وأقرأ في احدى صفحات العدد رسالتين متبادلتين بين رئيس التحرير والاستاذ ضياء الدين رجب الذي مايزال يكتب بروح شابة وفى نفس غزارة علمه وأدبه.

الرسالة الأولى بعنوان ـ حديث في رسالة ـ وقد استغرقت كل رسالة حوالى الثلاثة أعمدة من الجريدة ويبدو من مفهوم رسالة الاستاذ ضياء أن المدينة لم تكن تكافىء كتابها قبل ذلك التاريخ.. ويعتبر الاستاذ ضياء أول كاتب يطالب جريدة المدينة بمكافأة على انتاجه.. وفى هذه الرسالة الكثير من الطرافة والأدب والفكه الرصين.. بأسلوب الأستاذ ضياء المعروف يقول الأستاذ ضياء بعد ديباجة طويلة يثنى فيها على جهود جريدة المدينة والقائمين عليها:

وكما أبدأ بهذه الرسالة الاعتذار فأنما أسجل معنى الاعتبار بحق الاستمرار بعون الله وها أنا قد اخترت للكتابة عنوانا هو«حديث في رسالة» وهذه الرسالة أول الاحاديث فاعنى على نفسك ببذل أقصى العناية بهذا الاثر الكبير والتحليق به وسط هذا الجو السامق الذى لايعيس فيه الا المحلق وصل الجهاد والقوم بجهاد جديد مركز عظيم البدل في كل شؤونه في الطباعة فى

نشرت في جريدة المدينة المنورة في ١٣٩٣/٥/٢٣هـ

المادة في المعنى.. انك لو بذلت حتى بأسلوب التاجر فانك ناجح رابح القافلة لاتحتمل البطء والركب لايطيق التخلف والاقلام الكبيرة بضاعتك والاقلام الشيقة معارضك.

وهذه الاقلام اليوم كما تعلم تتلمس فضل الله من نفثاتها «نتقرش» وبها نكتسب لخبز العيال من هذا الرزق الحلال وانت تعلم أن قريشا ماسميت قريشا الا لانها «تتقرش» أى تريد القرش فالحرف والكلمة علما وتعليما من أصول الرزق وأبوابه لانها كتعليم كتاب الله وخير ما أخذتم عليه أجرا تعليم كتاب الله والاقلام اليوم لم تعد ترفا ولا خرفا وانها اصبحت شرفا لاتحتمل قرفا ولا تطلب سرفا فقرشونا نقرشكم ونهاودكم فى السعر ونتقبله نقدا أو غير نقد من محصول البلد تمرا.. قمحا رطبا.. عنبا. «مكانس» «قففا».. «مراوح».. «شرابا» وكل بحسابه وبلا فضل ولاربا.. اننا — وانت أدرى، وانت سيد العارفين — بعد جهد جهيد مع الزمن ومعارك النضال والمعرفة والمحن اصبحت كل ثروتنا هذه الالقاب «الكاتب الكبير».. «الشاعر المعروف» وهذه عملة لايقبلها بنك ولا تاجر ولابقال ولاقماش فيكف الكلام معكم والميدان فيه المنافسون الدافعون للاجر وعلى قدر المشقة والاسم والفعل والحرف أحيانا.. فماذا نصنع معكم ياندامانا الاول.. ونحن الذين ادركتنا وأنتم معنا حرفة الأدب في الصغر وماأعفتنا من زحمتها حتى في الكبر ونحمد الله أنها أدركتنا في فلس الجيوب لا في فلس القلوب فإن فلس القلب وفقره بلاء مابعده بلاء ياأمان الخائفين.

وقد أعقبها رئيس التحرير برد مطول وممتع جاء فيه :

«وحديثك عن الاجر والتقريش حديث تمرنت عليه بعض الشيء وكنت أكره الخوض فيه ذلك لأنني أرى أن الادب أثمن من المادة وأن التوجيه والنصح والارشاد لايقدر بثمن وهو كالعشب والماء وان علينا مجتمعين ان نتعاون على التوجيه للخير ومكافحة الشر ولاأدرى — لعلى اكون مخطئا — في هذه النظرية ولعل مبعث الفكرة هو خواء صندوق الجريدة الذي كلما قرعناه يتراجع صداه في جوانبه فنرتد خائبين.

ثم يقول الاستاذ رئيس التحرير :

أما وقد تغير اليوم كل شيء في الدنيا واختلفت المعايير والاوضاع بعد ربع قرن من الزمن و«تبربشت» قليلا الاحوال الصحفية ووجد المنافس القوى فلابد من مجارات التيار والسير في الركب وقد تبخرت بعض تلك الافكار بعامل التطور الزمني فلابد لنا من أن ننزل على حكم الزمن.. وهذه باكورة اهدائنا ــ عباءة بيضاء ناصعة كنت أدخرتها لبوسا لصيف تعين عباءتى السوداء التي أوشكت أن يعتريها البلى وقد كنت استبقيتها للجمعة والعيدين ومقابلة الحكام والان جاء لازمها. وربنا يسهل بخير فيها.

وقد بعث اليه الاستاذ رئيس التحرير بمشلح ثمين قال في رسالته المنشورة انه كان يحتفظ به ــ خصيصا ــ للجمعة والعيدين ومقابلة الحكام.

وقد سألت رئيس التحرير عن رد الاستاذ ضياء على هذه المكافأة الطريفة فقال: مع الاسف لم يصل المشلح المذكور لان الرسول استأثر به لنفسه وخسره الاستاذ ضياء.

هذه القصة وغيرها من المعلومات الطريفة جزء من تاريخ الصحافة السعودية وسترد بتفاصيل أوسع في الجزء الثاني من كتاب الاستاذ عثمان حافظ الذي نشر جزءه الاول منذ العام الماضي بعنوان: «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية».

المنهل عامه الأربعين

صدر المنهل الاغر ــ منهل المحرم ١٣٩٤هـ هجرية ــ وهو يخطو الى الأربعين من حياته المديدة.. وكل شيء في الدنيا يهرم ويشيخ حين يكبر.. الا المنهل فأنه كلما كبر يزداد شبابا.. ويزداد قوة ونشاطا.. هكذا أحسست وأنا اتصفح أعداده.. العدد بعد الآخر.

ولقد استوقفني طويلا.. هذا العدد من المنهل.. استوقفني غلافه الفضي.. الذي وفق صاحبه بوضع صورة الصفحة الأولى من أول عدد صدر منه.. وكأنما وضعه ليثير عواطفي وشجوني.. يثير ذكرياتي الماضية ــ التي أوشكت ــ أن تبتلعها الليالي وتحيلها الى أثر بعد عين.. نعم استوقفني طويلا هذا الغلاف ــ وشدني اليه شدا عميقا.. حتى أنساني واقعي ولم يترك لي فرصة البحث والتنقيب ما لم به من علم وأدب.. أن للعدد الأول من المنهل ذكريات لدى لاتنسى.. لقد كان هذا العدد أول باكورة عمل مطبعة جريدة المدينة المنورة وكانت تسمى اذ ذاك مطبعة طيبة الفيحاء ــ ولم يكن باكورة عمل المطبعة فحسب ــ بل كان باكورة عملي الشخصي ــ كمطبعجي ــ.. وكنت اسمي نفسي ــ في ذلك الحين ــ مدير المطبعة ولكن لم يكن بالمطبعة أي عامل غير هذا المدير، فهو المنضد للحروف وهو الذي يوضبها ويطبعها.. حتى غسيل الحروف بالفرشة بعد الانتهاء من الطبع، وتوزيعها على ادراجها كان هو الذى يتولاه.

ولم يكن بالمدينة.. وقتئذ من يحفظ توزيع هذه الحروف على ادراجها غير هذا المدير. لقد تذكرت العدد الأول من المنهل.. وسرحت معه.. حتى لم

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٤/٢/٢٣هـ

اعد أشعر بمن حولي.. والمرء اذا اشتغل عقله بأمر ما.. صرفه عن كل شيء من حوله.

ذكرتني.. هذه الصفحة المنشودة على غلاف منهل الأربعين.. تلك اللحظات النابضة بالحركة والنشاط.. اللحظات ــ التى كنت التقط فيها الحروف من ادراجها.. وانا أجمع أسطر هذه الصفحة التى أمامى.. أنضدها في مصفاتها.. ثم أوضبها وأطبعها.

ذكرتني ــ هذه الصفحة ــ بملقاط الحروف الملوث بالحبر.. الذي كان يلوث اصابعى كلما لامسته.. وكنت أتسلى ببيت من الشعر.. أتمثل به كلما تلوث الثوب، أو أى طرف من أطرافى وكلما لامنى لائم بالمنزل على هذا التلوث أتمثل بهذا البيت من الشعر:

انما الزعفران عطر العذارى ومداد الدواة عطر الرجال

ذكرتني بذلك الملقاط الذي كنت أسحب به الحروف المغلوطة من السطر وأضع محلها الحروف الصحيحة.

أعادتني هذه الصحفة أربعين عاما الى الماضى البعيد.. أيام البناء والكد والعمل المتواصل.. والامال العراض في اقامة دار الطباعة بالمدينة وجريدة تصدر بالمدينة المنورة.

لقد ذهب ذلك الماضى بقضه وقضيضه.. بلذاته ومتاعبه وخلف لنا هذه الذكريات تنغص علينا بقية أيامنا وتعيد لنا صدى السنين الحاكى.

وأظنني في حل.. اذا تحدثت عن سر كنت أحتفظ به طيلة الأربعين عاما.. حتى عفت عليه الأيام فلم يعد سرا.

ذلك أن طبع هذا العدد من المنهل.. بما فيه من متاعب ومشاكل أرشدني الى أخطائى وكشف لى عن عجزى عن امكانية اصدار جريدة

المدينة المنورة.. دون أن يكون هناك موظف فنى يتولى المطبعة و يتحمل مسئولية الطباعة فيها.

وقد اضطررنا ــ ونحن في دور التأسيس ــ الذي يتطلب نفقات باهظة أن نستقدم عاملا فنيا متمرنا على أقسام الطباعة.. ونسند اليه ادارة المطبعة.. هو السيد عباس هلال سنبل.

وأظننى في حل أيضا ــ اذا أذعت سرا من اسرار المنهل في سنته الأولى ــ أو عدده الأول.. وأرجو أن يتسع صدر أستاذنا الانصارى صاحبه ورئيس تحر يره لذلك.. هذا السر.. كنت استجديت الذاكرة لتسعفنى به .. وقد بخلت.. رجعت الى ــ الدفتر ــ واذا بالنسخ التى طبعت من العدد الأول ٣٠٠ نسخة وقيمة طبعه مع الورق والغلاف ٥٠٠ ر يال يدفع منها ٨٠٪ مقدما و٢٠٪ مؤجلا.

وأعتقد أن الثلاثمائة نسخة أصبحت ــ اليوم ــ ألوفا.. وأن الخمسماية ر يال تقدر الآن ــ بالألوف أيضا.

و بعد.. فاني ارحب بالمنهل الأغر وهو يخطو نحو الأر بعين.. وابارك هذا الجهد والصبر المتواصل واخراجه والنهوض به وتطو يره المستمر.. وأشيد بتقدير الأدباء الأفاضل.. بترحيبهم بمنهلنا في عامه الأر بعين.. هؤلاء السادة:

احمد ابراهيم الغزاوي ــ عبيد مدنى ــ حسين عرب ــ على حافظ ــ محمود عارف ــ محمد سعيد العامودي ــ انور الجندي ــ عبد القادر طاهر..

الذي قال أن المنهل طبع بمطبعتنا الصغيرة.. وهي كانت في نظرنا ــ على الأقل ــ كبيرة قدر الدنيا.. وهو معذور لأن المنهل أكبر منه سنا.. وكان لايعرفه أيام صدوره... بل كان في عالم الذر.

ولايسعنى وأنا أتحدث عن المنهل العذب الا أن أشد على يد صديقنا صاحبه العلامة الشيخ عبد القدوس الانصارى لأهنئه على هذا النجاح الكبير الذي توج به هذا العمل الكبير.. (المنهل).

طه حسين في المدينة

أنا أذكر الان ــ قدوم الطائرة التي أقلت الدكتور طه حسين ورفاقه من جدة الى المدينة المنورة وكان صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف انذاك قد انتدب لمرافقة الدكتور طه حسين حين زيارته للمدينة ــ السادة الافاضل الاساتذة ناصر المنقور، احمد عبد الغفور عطار، عبد السلام غالى، عبد الله المنيعى.

وأذكره عندما نزل من الطائرة ببدلته السوداء، ونطارته السوداء، وقد امسك بيمينه الاستاذ امين الخولى.. و يعلق بشماله «بسطونه».

واذكر اننا لازمناه طيلة اقامته بالمدينة من المطار الى المطار.. أملا فى الحصول على حديث صحفى للمدينة.

واذكر اننا فى ذلك اليوم.. قد فاتنا الغداء ونحن مرابطون في فندق التيسير الذي نزل فيه الدكتور وتغدى فيه.. ولم نتناول طعام الغداء.. الا بعد المغرب.. بعد أن ودعنا الدكتور طه حسين ورفاقه بالمطار.

اذكره ــ وكأنه امامى الان ــ وهو يتسلق سقايل عمارة المسجد النبوي ليصعد الى سطح المسجد.. و يتفقد عمارة التوسعة.. وقد امسك بيده معالى الشيخ محمد صالح قزاز مدير مكتب عمارة التوسعة.. وكنت واخى السيد على حافظ وابنى يعرب معهم على السقالة.

اذكر ــ انه عندما دخل المسجد النبوي من باب السلام ــ تقدمه الخطيري ــ دليل المصريين.. ليلقنه الزيارة المأثورة.. وهو يردد مايقوله الخطيري.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٤/١٠/٤هـ

اذكر هذه الحاجات وغيرها.. مما لامجال لذكرها خشية ملال القارىء..

ولكن من اين لى بتفصيلات وافية عن هذه الزيارة.. ترضى القارىء العزيز.. وترضى الاستاذ ابو مدين. الذي طلب منى الحديث عن زيارة الدكتور طه حسين للمدينة.

ولكنى سوف استجدى الذاكرة.. مرة أخرى.. فان عصتنى فسوف استعين عليها بما اجده من مراجع ولعلى اوفق لذلك وأوفى الموضوع حقه.

قبل التحدث عن زيارة الدكتور طه حسين للمدينة.. لابد من التحدث عن المهمة الاساسية التي من أجلها زار الدكتور طه حسين المملكة العربية السعودية.. والنتائج التي تمخضت عن هذه الزيارة.. اتماما للفائدة.

الدكتور طه حسين قدم من القاهرة الى جدة في اواخر شهر جمادي الاولى سنة ١٣٧٤هـ الموافق يناير ١٩٥٥م منتدبا من جامعة الدول العربية.. ليرأس الدورة التاسعة للمؤتمر الثقافي الذي نظمته الجامعة العربية.. والذي تقرر عقده في المملكة العربية السعودية.

وكانت الجامعه تهدف من وراء عقد هذا المؤتمر الى توحيد الاتجاهات الثقافية، والبرامج التربوية التعليمية في البلاد العربية.. لايجاد كيان ثقافى موحد للبلاد العربية..، وتقريب المناهج العلمية الخاصة بتاريخ البلاد العربية.

وقد عقد المؤتمر بجدة في ٢٤ أو ٢٥ جمادي الاولى سنة ١٣٧٤هـ.. ورعاه صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف في ذلك الحين.

وكان يضم المؤتمر سبع دول عربية.. مصر و يرأس وفدها الاستاذ امين الخولى مدير الثقافة العامة، المملكة العربية السعودية و يرأس وفدها الاستاذ ناصر المنقور مدير عام التعليم المساعد، سورية و يرأس وفدها الدكتور عبد الهادي هاشم امين وزارة المعارف، الاردن و يرأس وفدها السيد سعد دره

مفتش وزارة المعارف، لبنان و يرأس وفدها السيد غالب الترك وزير لبنان المفوض بجدة، اليمن و يرأس وفدها الاستاذ احمد زيادة مدير معارف اليمن، الامانة العامة للجامعة العربية و يرأس وفدها الاستاذ سعيد فهيم.

وممن حضر المؤتمر من الشخصيات السعودية الادبية السادة: احمد العربى، محمد سعيد العامودي، محمد حسن عواد من اعضاء مجلس الشورى، والاستاذ احمد عبد الغفور عطار من كبار ادبائنا وكتابنا.

ورأس المؤتمر الدكتور طه حسين.

وقد افتتح المؤتمر صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف فألقى كلمة رحب فيها بالوفود. ومما قاله سموه: ان امنيتى، وامنية كل مخلص ان يلقى هذا الاجتماع نجاحا وتوفيقا.. وان يكون له الاثر الكبير في تدعيم العلاقات الثقافيه بين دول الجامعة العربية وربط صلات الصداقة، والمجد بين الشعوب العربية الاسلامية.

وتحدث معالى الدكتور طه حسين في المؤتمر فقال:

سيدي صاحب السمو،

اعترف ايها الساده.. اننى حين شرفنى مجلس الجامعة العربية باختيارى مشاركا فى اللجنة الثقافية.. ترددت في قبول هذا الشرف.. لان فيه اعباء لاينهض بها إلا أولو العزم.. ولكني لم اكد أسمع أن المؤتمر سيعقد في هذا الوطن العزيز.. حتى اقبلت غير متردد.. يدفعنى هذا الشوق الطبيعى الذي يمتلىء به قلوب جميع المسلمين.. مهما تكن اوطانهم.. فهذا الوطن وطن العروبة والاسلام.. اقدمت على قبول هذا الشرف وانا استعين الله ان انهض بأعبائه.

ثم قال: ولست في حاجة لان اعرض عليكم ماتبذله الحكومات العربية من جهود ولكنى..اسعد الناس حظا اذا حدثتكم بما سمعته من سمو وزير المعارف.. بان هذا العام وحده.. انشأ ثلاثمائة مدرسة.. قدروا ايها السادة

عواقب هذه النهضة.. حينما تنهض وتقوى في هذه البلاد.. قدروا عواقبها القريبة والبعيدة فستشعرون انكم في اول طريق خطيرة حقا.. ولكنها مجيدة حقا.. ولكنها هى الطريق التى سلكها اباؤكم.. ولاشك أنكم سالكوها ورافعون بها شأن العرب.

هذه فقرات قصيرة من خطاب عميد الادب الدكتور طه حسين.. وهي تدل على ما يحمله للعروبه والاسلام من أماني طيبة في توحيد الاهداف الثقافية والتربوية ومن محبة للعلم والخير. اما مقررات المؤتمر الثقافي السابع فقد تضمنت.. عقد مؤتمر لمندوبى المجامع العلمية في البلاد العربية للتنسيق وتحديد الاتجاهات التربوية لاعداد جيل عربي اعدادا متجانسا.. ووضع خطة ثقافية في الجامعة للتأليف والترجمة والنشر. وتقرير كتب التاريخ المدرسية، وتشكيل لجنة لمعادلة الشهادات الدراسية ومشروع شهادة واحدة للقبول فى الجامعات، وتأسيس مدارس عربية في البلاد الغربية والشرقية، واستخدام التمثيل والسينما لتحقيق اهداف الجامعة.

هذا ولقد كنت اردت ان اختصر الموضوع.. لاخلص الى الحديث عن زيارة الدكتور طه حسين للمدينة.. وصمته الطويل أولا ثم خروجه عن صمته.. ولكن موضوع المؤتمر الثقافي بما له من اهمية تاريخية قد سيطر على الفكر والقلم.. وارجو يااستاذ عبد الفتاح الا اكون قد تجاوزت الطلب وعذرى في هذا التطويل انك كنت قد فسحت لى مجال الكلمة زيادة ونقصاً.

اما زيارته للمدينة، فقد وصل الدكتور طه حسين للمدينة المنورة على طائرة خاصة مع الوفد المرافق له يوم الاربعاء ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٧٤هـ الموافق ٢٦ / يناير ١٩٥٥م وكان المطار مزدحما بالمستقبلين والمسلمين وعلى رأسهم الامير مساعد العبد الله السديرى نائب امير المدينة المنورة ــ رحمه الله.

ولم يبق الدكتور طه حسين بالمدينة سوى سحابة يومه وقد اتجه من المطار الى المسجد النبوي الشريف وبعد صلاة في الروضة المطهرة وزيارة قبر

المصطفى صلى الله عليه وسلم تفقد عمارة المسجد والتوسعة الجديدة له وزار المآثر الخالدة بالمدينة. وكنت واخى السيد على حافظ قد لازمناه في تنقلاته ولم نتركه لحظة واحدة.. املا في الحصول على حديث صحفى لجريدة المدينة المنورة.

واثناء زيارته لدور العلم والمدارس كنا وسعادة الاستاذ عبد العزيز الربيع وبعض الاساتذة المصريين والسعوديين نطالبه بالحديث.. ولكنه لازم الصمت ولم ينطق بكلمة واحدة. ولم يخرج عن صمته الا بعد انتهاء زيارته للمدينة عند توديعه بمطار المدينة.

ولقد ضايقناه بكثرة مطالبتنا ومطالبة الجمهور بالحديث.. واخيرا خرج عن صمته وقال: «كيف استطيع الكلام في بلد صاحب الرسالة عليه افضل الصلاة والسلام».. اننى اجد نفسى مأخوذا بجلال الموقف، وهيبة هذا البلد المقدس وذكرياته العظيمة في تاريخ العالم.. ولااستطيع ان اقول شيئا الا اننى احيى صاحب الرسالة.. ثم المدينة واهل المدينة».

وهذا الحديث المقتضب شجعنا على المزيد من مطالبته بالحديث لجريدة المدينة.. وقد كنا اعددنا عدة اسئلة موجهة اليه للاجابة عليها ولكن الظروف لم تسمح بذلك.

وقال بعد الحاح منا «ان ماشاهدته في المدينة من المآثر الخالدة ملك على قلبى وعقلى حتى اصبحت لاأجد سبيلا للكلام الان.. ولابد من زمن ومن مهلة لتعود نفسى التي حتى استطيع الكلام.. وماكان لي ان ارفع صوتى بالمدينة وقد امرنا الله تعالى الا نرفع اصواتنا فوق صوت النبى».

وسألناه هل زرت ميدان معركة احد وميدان معركة الاحزاب ومسجد قباء فقال: «نعم زرت قبر حمزه رضى الله عنه وتذكرت المعركة.. وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم.. عندما شاهد حمزه وهو ممثل به لولا ان تجزع صفية وتكون سنة من بعدى.. لتركته حتى يكون فى بطون السباع

وحواصل الطيور.. وزرت معركة الخندق وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم للمهاجرين والانصار اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة وقوله لعمار ويح عمار تقتله الفئة الباغية.. وصليت الظهر بالمسجد البنوي وشعرت بسمو روحي وودت الا ابرح المسجد اتابع صلاة الظهر بصلاة العصر.. فلا اريد غذاء ولااريد طعاما ولاشرابا ولكن معى رفاق يريدون السفر عاجلا.. وعندما وصل الى هذه الكلمة نادى منادى الطائرة فنهض وتبعه رفاقه الى الطائرة متوجها الى جدة.

ولاانسى ابدا كلمة للدكتور طه حسين.. ولاادري كيف استقرت هذه الكلمة في الذهن هل هى سماع منه ام اننى قرأتها فى بعض الصحف الاخرى. هذه الكلمة كانت جوابا عن سؤال عن شعوره وهو يزور المسجد النبوي الشريف. قال: «عندما دخلت المسجد النبوي شعرت بجلال الموقف، وطغى على الشعور بعظمة هذا المسجد الذي كان مهبط الرسالة ومصدرا لإنتشار الاسلام الحنيف. فقد تبعنى الدليل عند دخولى المسجد يلقننى الزيارة التقليدية التى اعتاد تلقينها لزوار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم. وكنت وانا اردد كلماته اشعر بشعور مزدوج.. كنت شخصين.. شخص يردد مالايعى.. وشخص يعى مالايقول.

كنت واقفا امام القبر الشريف مأخوذا بمعانى روحية عالية.. كنت استعرض حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بالناس، وهو يخطب فيهم يعظهم ويعلمهم دينهم، وهو يخطو بين بيته ومنبره ليصلي في روضة من رياض الجنة، أستعرض حياة هذا المسجد عندما شع منه نور الاسلام فعم الكون.. وعندما كان صلى الله عليه وسلم يجهز جيوش المسلمين لاعلاء دين الله وتكون كلمة الله هي العليا.. وكان يقود بعض هذه الجيوش بنفسه وكان يؤمر على بعضها احد اصحابه تذكرت وانا اقف في المواجهة صاحبية ابوبكر وعمر وهما مضجعين بجانبه وكانا من اعظم انصاره ومؤيديه.. كنت مأخوذا بهذه المعانى الروحية العالية بكل جوارحى وقلبى.. بينما كان لسانى يردد ماكان يقوله الدليل».

أمسية شعرية في منزل أمير الشعراء «شوقى»

كان لدولة الشعر والأدب شأن عظيم في العصور الأولى.. وللشعر خاصة ـــ دور كبير فى حياة القبائل والشعوب العربية.. فهو ترجمان حياتهم ـــ وسجل لمختلف شؤونهم الأدبية والأجتماعية سجل لحروبهم، وغزواتهم، وتفاخرهم.. ووصف مرابعهم ومراعيهم، وخيولهم، وجمالهم، وحبهم وبغضهم.. فالشعر كان جزءا من تاريخ العرب فى أرضهم وسمائهم وجبالهم ووهادهم.

وكان للشعراء والأدباء أسواق موسمية يختلفون اليها ويضربون أكباد الأبل لحضور هذه الأسواق الأدبية والأمسيات الشعرية.. واشهر تلك الأسواق ـــ عكاظ ومجنة وذى المجاز.

كانت هذه الأسواق تقام سنويا ويحضرها كبار الشعراء والأدباء، من مختلف دارات العرب.. وكانوا يتطارحون في هذه الندوات أشعارهم وأدابهم.. والقصيدة التى يحكم لها بالتفوق.. تعلق على باب الكعبة.. يقرؤها الطائفون والعاكفون.. ويسمى ماعلق على باب الكعبة بالمعلقات.

ومازالت حتى الآن ـــ تردد الأجيال بعد الأجيال هذه المعلقات السبع أو المعلقات العشر.. وتعتبر تلك القصائد من أقوى ماقيل في الشعر العربى.

وكان لدولة الشعر سلطان كبير في الحياة الأجتماعية.. حتى أن بيتا من الشعر يرفع أقواما وقد يخفضهم بيت من الشعر.

وأذكر بهذه المناسبة.. قصة القبيلة العربية التي كان العرب يعيرونها ـــ بأنف الناقة ـــ وفيما أذكر ـــ أن هذه القبيلة (إستضافت) شاعر فضيفته

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٧/٨/١٩هـ

(بأنف ناقة) فهجاها بقصيدة ألمح فيها بأنف الناقة التي كان ضيف بها.. وكان هذا اللقب محل الحط منهم والتنديد بهم حتى أن أفراد هذه القبيلة كانوا يتحاشون ارتياد المجتمعات لئلاً يعيرون بأنف الناقة.. حتى جاءهم شاعر آخر استضافوه وأكرموه وأحسنوا وفادته.. فمدحهم بقصيدة كان من جملة ابياتها:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا

فأصبح أنف الناقة من مفاخرهم.. بعد أن كان من مثالبهم.. فبيت من الشعر حول المثالب الى مفاخر.. وحول الذم الى مديح.

هكذا كان سلطان الشعر على النفوس.. وهكذا كان تأثيره في المجتمعات العربية.

تخلف الشعر

ولقد طغت الحياة بمشاكلها، وحروبها، وفتنتها على الشعر والأدب حتى أوشكت أن تذول دولته، وأن تخبو جذوته.. وقد اشغلت الناس الحياة الصاخبة بمفاتنها، وحضاراتها، وزخرفها، وزيفها.. فصرفتهم المادة عن الأدب والشعر.. واكتفى الكتاب والقراء بالكلمة الخفية العجلى التى تتداولها صحف اليوم.. وحتى صحف اليوم قد ضعف اهتمامها بالأدب والشعر.. فلا تكاد ترى فيها تلك القصائد التى كانت تهز القلوب وتلامس الشعور الا نادرا.. وحل محل الشعر الرصين.. هذا الزيف من الشعر المسمى بالشعر المرسل أو الشعر الحر.. الذي لاطعم فيه ولا رائحه.. بعد أن فقد القافيه والوزن اللذان هما قوام الشعر.

وهما الجرس الذي يدق النفوس فينفذ الى القلوب قبل الآذان والى البصائر قبل الأبصار.

أمسية كرمة ابن هانىء:

سبقتنى هذه المقدمة للحديث عن الأمسية الشعرية التى أردت التحدث عنها.. الأمسية التى أقامتها وزارة الثقافة احياء لذكرى امير الشعراء شوقى.. وتحويل قصره الى متحف للفنون والآداب تخليدا لذكر شاعر من أكبر شعراء العرب في العصر الحديث.

وقد مهدت لهذه الأمسية الصحافة والأذاعة والتليفزيون فشدت الناس اليها شدا.. وهيأت الأبصار والأسماع للأستمتاع بهذه الأمسية التى قالوا انها أول أمسية شعرية تقام فى مصر.

ولم يوفق التليفزيون في عرض الأمسية على الهواء فى الوقت المحدد ولم يعتذر عن ذلك.. حتى ظن الناس أنه طرأ تعديل على موعد الأمسية.. وبعد ثلاثة ايام عرضت الشاشة الصغيرة الأمسية.. واعتذرت عن عدم عرضها بوقتها على الهواء لأسباب فنيه.

شوقى وأبى نواس:

اقيمت هذه الأمسية الشعرية الرائعة فى قصر أمير الشعراء احمد شوقى الذي اطلق عليه (كرمة بن هانىء) وابن هانىء.. هو الحسن ابن هانىء — أبو نواس — وكان شوقى معجبا بفن ابى نواس وعمقه فى الأدب والشعر والدعابة حتى قال:

وأنى نواسى هذا الزمان   فهل للزمان بسمع الرشيد

وكرمة ابن هانىء تقع على النيل بشارع (مبرح بن شهاب) بالجيزة.

ومن أهم حجرات هذه الكرمة.. الحجرة الخاصة بمكتبة شوقى التى كان يخلو فيها بنفسه عندما كان ينظم الشعر.. وبها مجموعة كبيرة من قصائده بخط يده.. وفيها معظم دواوين الشعراء الأقدمين والمحدثين ثم حجرة الأستاذ محمد عبد الوهاب.. التى كان يلحن فيها الأغنيات التى ينظمها له شوقى ويجرى البروفات لهذه الاغنيات.

السادات يرعى الأمسية:

وتكريما للشعر والأدب.. عقد هذا المهرجان الشعرى تحت رعاية الرئيس أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية وحضرها صاحباه سيد مرعى رئيس مجلس الشعب وممدوح سالم رئيس مجلس الوزراء.

وقد دعى لحضور هذا الحفل الأدبى سبعون شاعرا وأديبا من شعراء مصر والعالم العربى.. وأن كانت قد افتقدت هذه الأمسية بعض اصدقاء شوقى وزملائه فى الشعر والأدب والذين يعرفون الشيء الكثير عن حياة شوقى وشعره وأدبه أمثال الأستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفى والأستاذ الشاعر سيد ابراهيم الخطاط.. وهذان الشاعران كانا أعضاء فى جماعة (أبولو) الذي كان يرأسها شوقى وقد أصدرت هذه الجماعة مجلة أبولو.. وصدر العدد الأول من هذه المجلة بقصيدة رائعة لشوقى قال مطلعها:

أبولو مرحبا بك ياأبولو   فانك من عكاظ الشعر ظلُّ

ولولا المحسنون بكل أرض   لما ساد الشعوب ولااستقلو

قصيدة الأمير عبد الله الفيصل:

وقد القى بعض الضيوف قصائد رائعة فى هذا المهرجان الشعرى وأول قصيدة القيت فيه رائعة شاعر الشباب السعودي الملهم سمو الأمير (عبد الله الفيصل) ألقاها بالنيابة الأستاذ احمد انور واجد.. وقد لاقت استحسانا كبيرا من الجمهور وعندما انتهى القاء القصيدة صافح وعانق الرئيس السادات الأمير عبد الله الفيصل محييا ومكرما على هذه الروح العالية والمشاركة النبيلة فى هذه الأمسية الشعرية.

ممثلون يلقون قصائد شوقى:

وقد اختارت وزارة الثقافة الممثل محمود ياسين والممثلة فاتن حمامة ومحمود شاكر لالقاء القصائد المختارة من شعر شوقى.. وبدأت فاتن حمامة

ومحمود ياسين ومحمود شاكر القاء القصيدة التى نظمها شوقى فى منفاه (بالاندلس) التى اختارها شوقى عندما طلب منه الانجليز بعد الحرب العالمية الأولى أن يختار له مقاما غير مصر.. فأختار أسبانيا لما فيها من أثار عربية وأسلامية ومطلعها:

يانائح الطلح أشباه عوادينا　　　نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

ماذا تقص علينا غير أن يدا　　　قصت جناحك جالت فى حواشينا

رمى بنا البين أيكا غير سامرنا　　　أخا الغريب وظلا غير نادينا

وقال فيها:

فأن بك الجنس يابن الطلع فرقنا　　　أن المصائب يجمعن المصابينا

وقد صاحب القاء القطع الشعرية التى اختيرت من شعر شوقى موسيقى ناعمة من قيثارة — الموسيقار جمال سلامة.. وليت هذه الموسيقى وتلك النغمات كان من وضع الموسيقار محمد عبد الوهاب.. ربيب هذه الكرمة الذي له ذكريات وذكريات من فيها تحدث عنها فى الصحف وفي الأذاعة والتليفزيون فقد سمع الناس من فنه وابداعه جديدا رائعا.. وقد تنطق قيثارته بما عجزت عنه الأقلام والبيان.. وليس في هذا غمر للاستاذ جمال سلامة فقد أولى الموضوع حقه ولكن الشيء الذي لوحظ هو لماذا لم يساهم فى التلحين الموسيقار محمد عبد الوهاب (ابن شوقى).

هل نجحت فاتن و ياسين في الالقاء — ولقد حاولت فاتن حمامة أن تكون مبدعة كثيرا فى الالقاء فتصنعت كثيرا وهى تلقى القصائد الشعرية.. تصنعت فى مشيتها ووقوفها وتقاسيم وجهها وحركات يديها، ولكن الميدان ليس ميدانها، والمجال ليس مجالها.. وفاقد الشيء لايعطيه.. فللشعر رواته وللمسرح مواقفه.. للتين قوم وللجميز أقوام.

وقد قال بعض الناقدين

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

وقال آخر:

خلق الله للقتال رجال ورجال لقصعة وثريد

هذه أمثلة تدل على أن عصر اليوم عصر اختصاص وتقنين لاينفع معه الارتجال.

أما الأستاذ محمود ياسين فقد كان جيدا فى القائه.. ولكن تصنعه الكثير والغير طبيعى أفسد شيئا من جمال الالقاء.. فقد تصنع أكثر من اللازم وتحول من راوية شعرى الى ممثل على خشبة مسرح.. فكانت حركات جسمه ويديه وعضلاته.. لا تتفق مع راوية الشعر.. ولقد كان البعض يفضلون أن يسمعوه ولايرونه.

الشعر المرسل:

ولاأريد أن أترك الموضوع دون أن أعرض لكلمة الأستاذ نزار قبانى التى ألقاها فى الأمسية الشعرية.. فقد القى قطعة مما يسمى بالشعر الحر أو الشعر المرسل.

افتقدنا فى القطعة سحر القافية الوزن.. وافتقدنا الجرس الشعرى الذي يلامس الشعور وينفذ الى المشاعر.

ونزار قبانى مجيد لو أنه سلك الشعر المقفى الموزون كما سلك فى قصيدته عن الأندلس الذي نظمها على الأوزان والقوافى السليمة.

أما هذا الشعر الحرى فقد رفضه الذوق الشعرى وكأنه عضوا أجنبيا فى الجسم السليم أو هو عضو خارج عن الجسم يراد زرعه فيه فيلفظه ولايقره.

واذا كان الأوائل قد رفضوا أن يكون الرجز من الشعر فقال أبو العلاء المعرى:

قصرت أن تدرك العليا فى شرف أن القصائد لم يلحق بها الرجز

وقال أيضا:

عجزت عن الكسب الذي يجلب الغنى ومـاأنـت عـن كسب الدنايا بعاجز

ومـن لم يـنـل فـى القول رتبة شاعر تـقـنـع فـى نـظم بـرتـبـة راجـز

و يـروى عـن بـشـار بـن برد أنه قال لرءبه وهو من أكبر شعراء الرجز.. قال له لو جمعت رجزك ورجز أبيك لما خرجت منه قصيدة واحدة.

واذا كـانـوا لايـرضـون الـرجز أن يكون شعرا على مافيه من روائع وصور وأوزان فـكـيـف بـهـذا الـشـعـر الـسايب والمتحلل من كل شىء بيت فيه من كلمتين وأخر من ست أو سبع كلمات.

ولاأر يـد أن أذهـب بـعـيـدا فـهذه فقرات أسوقها من كلمات نزار قبانى التى ألقاها: فى المهرجان الشعرى.. و يعتبر نزار القبانى فى طليعة رواد هذا النوع من الشعر المسمى بالشعر الحر ونص كلماته:

نحن مدعوون هذه الليلة الى بيت شاعر عظيم.

مدعون للخروج من دائرة الحجر والأسمنت التى تحاصرنا والدخول الى مملكة الحلم.

مدعوون للتعرف على أنفسنا والألتقاء بأنسانيتنا.

نحن مدعوون هذه الليلة الى بيت أحمد شوقى

الشاعر ليس هنا

أنه مسافر منذ خمسة وأربعين عاما

مسافر فى أيامنا

مسافر فى ضمائرنا

وكل الكلمات على هذا النمط من الكلام.

ولا أذكـر أن فـى آخـر هذه الكلمات بعض المعانى الرائعة.. ولكن أين الأنـسـجـام فـى الـمـعنى واللفظ والنظم ولو صيغت تلك المعانى صياغة نثرية وتحللت من قيود حرية الشعر لكان لها مكانة أسمى وأعظم.

أننى متضايق لأنى لاأستيسغ هذا النوع من الشعر ولم أفهمه وأرى الكثير ممن ينظموا على هذا الأسلوب يحبذونه بل ويمجدونه ولكنى بالمقابل أرى الكثير.. الكثير.. من المختصين بالأدب العربى من الشعراء والأدباء القدامى والمحدثين يرفضونه و يرون ماأرى.

وقد يمكن أن يتساهلوا فى هذا النوع من الشعر فى شعر الأغانى لأن التلحين والموسيقى قد تغطى مايتطلبه الشعر من وزن وقافيه ولأن التلحين قد يتطلب الأفلات من بعض القيود.

وقد أشادت الصحافة بهذه الأمسية وتناولتها بالنقد والتحليل والأطراء ونشرت معظم ما القى من الشعراء والخطباء.

وممن تحدث عن هذه الأمسية الكاتب الصحفى الكبير مصطفى أمين فى فكرته بأخبار اليوم.. وقد أشار فى فكرته على ماأذكر الى امارة الشعر بعد شوقى واثنى على الشاعر أبو الوفاء الذي كان أحد الشعراء في هذه الأمسية وقال أنه رشح لامارة الشعر بعد شوقى.

ولقد سألت الأستاذ الكبير الشاعر سيد ابراهيم الخطاط وكان أحد رفاق شوقى وعضو جماعة أبولو التى كان يرأسها شوقى وعاصر هذه الفترة من حياة شوقى و بعد وفاته سألته عن امارة الشعر فقال (ان امارة الشعر بعد وفاة شوقى قد تفتت وكل حزب أو جماعة يرشحون واحد منهم للامارة.. ولكن لم تعقد الخناصر لأحد بعد شوقى في امارة الشعر لا فى مصر ولا فى غير مصر).

ثم قال: لقد أراد حزب الوفد.. وكان أكبر حزب فى مصر.. أن يرشح الأستاذ عباس محمود العقاد لامارة الشعر. ولايرتاب أحد فيا للعقاد من مكانة أدبية وفكر ية فى مصر.. وهو شاعر مجيد ولكنه مقل.. والامارة تحتاج الى شاعر محلق قوى يطرق كل أبواب الشعر ويجيد فيها مثل شوقى.. وقال أن حزب الوفد أقام حفلة فى مسرح حديقة الأز بكية لتنصيب الأستاذ العقاد أميرا للشعراء وكانت هذه الامارة فى عرف الشعراء سياسية أكثر منها أدبية.. ولكنها لم تنهض ولم يعترف بها الشعراء وانتهت عند هذا الحد.

ثم قال الأستاذ سيد ابراهيم لما رأى شعراء مصر هذا الارتباك فى امارة الشعر اجتمع عدد منهم وقرروا اقامة (البرنس) أميرا للشعراء ـــ كدعابة ـــ وقد أقاموا حفلة دعابية فى نادى موظفى الحكومة وألقى كل شاعر قصيدة بايع فيها البرنس بامارة الشعر على طريق الفكاهة والدعابة والبرنس كان ناسخا في دار الكتب أخرج الأستاذ سيد من مكتبة ديوان الأسمر وأطلعنى على مانشر عن هذه الحفلة الدعابية بتأمير البرنس أميرا للشعراء.

وفى صفحة ٣٩٩ من ديوان الأسمر تفصيلا لهذه الحفلة وماألقى فيها من قصائد لمبايعة البرنس بامارة الشعر ونشر ذلك تحت عنوان

أميـــــر!!

ونص مانشر:

(أراد شعراء مصر أن يروحوا عن أنفسهم في بعض الاعوان فأقاموا فى ليلة من ليالي رمضان حفلا دعابيا كبيرا بايعوا فيه (حسين أفندي محمد) بامارة الشعر!! وحسين أفندي محمد المعروف بالبرنس شخصية فكهة فذة فى بابها ينظم القصائد كيفما كانت ألفاظها وكيفما كانت معانيها ولكنه مع ذلك لايخلو من اعتداد بنفسه واكبار منه لما ينظم وقد جعلته هذه ـــ الخلال محبوبا لدى الشعراء يتحدثون اليه و يتندرون معه ومن ذلك أقاموا له هذا الحفل الدعابى.

وقد كان من الشعراء الذين خطبوا فى هذا الحفل و بايعوا فيه البرنس بالامارة الاساتذة احمد الكاشف ومحمد الهراوى والسيد حسن القاياتى وحسين شفيق المصرى وكامل كيلانى وسيد ابراهيم وعبد الجواد رمضان وعزيز بشاى أنشد كل منهم قصيدة دعابية بين يدي البرنس.. وهو جالس على كرسى عال، وكل هذه القصائد تتضمن مبايعته بامارة الشعر).

وأورد ديوان الأسمر القصائد التى ألقيت فى هذه الحفل نقتطف هنا

من كل قصيدة بعض ابياتها لاعطاء فكرة عن الأدب والدعابة فى ذلك العصر.

يــاأمير الــشــعــراء	أنــت أولــى بــاللــواء
سـيـدي فـالتهـنا اليوم	بمــلــك الأدبــاء
امـرؤ الـقـيس على با	بـك بـعـض الأمـنـاء
وأبـو الـطـيـب فى الدو	لــه بــعـض الـوزراء
وأبــو الــنــواس وهــا	رون مـعـافـى الـنـدماء
والمـعـرى لـدى الـسيدة	يخــبــوا لـلــعــلاء
سـيـدى فـاسلك لـضيـ	فـا منهـم فـى الخـضـراء
رحمــة مــنــك وفـضـلا	وجــنــونـاء بـالـعـطـاء
سـيـدي ولـيشـمل الطر	د جمــيــع الـشـعـلاء
سـيـدي لايـبـق في الـد	ولــة الا الــظــرفــاء
سـيـدي ولـترحـم الـشـعر	مــن الــقــول الهــراء
فــيــه الــيــوم عــشــاء	ورغــــاء وعـــــواء
ونــعــيــق وبــغــام	ونهــيــق ومــكــاء
وبـه مـاشـئـت مـن فـو	ضــى ومـن فـرط الـدعـاء
سيـدي رجع لـنـا شـعـرك	واهــتــف مـاتـشـاء
ثــبــت الله بــك الـعـر	ش وإن كـــان هـــواء

قصيدة الأستاذ الكاشف:

امارة الشعر خذها ياحسين فقد

اتى يبايعك الاخوان والصحب

سعوا اليك بنجواهم تطالعها

ولو سألتهم جدواك لا كتتبوا

واحسنوا موسما فخما ومؤتمرا

ضخما وذاتك فيه المنظر العجب

لم يبق من سبب للا وعياء الى

ماحاولوه وما ردوا وما حسبوا

يامن يدبر سلطانا ومملكة

وليس فيها له بيت ولانشب

وحسبك اليوم دار الكتب عاصمة

لدولتك وايوانا كما يجب

هذا نصيبي من الفوضى ظفرت به

من بعد ماخانني في غيرها الارب

لم يفنني الجد في قول وفي عمل

وقد لعبت عسى ان ينفع اللعب

** قصيدة الاستاذ الهراوى

الــى الــعــرش فــاصــدع وامــض بــالأمــر واقــطــع
ومــروانــة وامــنــح مــابــدالــك وامــنــع
وصــرف أمــور الــشــعــر في الأمــة التي
تــمــيــت رجــال الــشــعــر فيهــا ولا تــعــى
فــأنــت أمير الــشــعــر غير مــنــازع
وكــل أمير غير شــخــصــك مــدعــى

** قصيدة السيد حسن القاياتى

يــاحــسين يــاعــزيــزي يــاأمــيــرى
يــاأمير الــشــعــر في اللــب الــغــريــر
ســد كما ســاد صــريــر شــد مــا
أمــر الاقــلام في وادي الــزئير

** قصيدة الاستاذ حسين شفيق المصري

يــاحمــاة الــقــريــض حــول الــبــرنــس
أصــبــح الــشــعــر دولــة ذات كــرســى
وهــل الحــكــم والامــارة الا
لــبــرنــس يــضــحــى بــرأى وبمــس
يــقــرض الــشــعــر مــثــل مــايــقــرض الــفــاسر

حبا لا قد قتلت من دمقس
كان من قبله القريض بجلبات
فأضحى ببنطلون وجرس
أيها الشاعر الكبير رضيناك
أميرا فكنه تفديك نفسي

**قصيدة الاستاذ كامل الكيلاني

تـه بـالامـارة لا تـعدل بها بـدلا ... وقم بـأعبائها ان شئتها بطلا
قد ارتضاك حماة الشعر قاطبة ... أميرهم فلتكن في عصرنا فيلا
كنت البرنس فأصبحت الامير فما ... زادوك شيئا سوى التعريب مرتجلا
فكن أميرا لهذا العصر مضطلعا ... بثقله واحتمل أعباءه رجلا
انت تفهم شعر القوم مقتدرا ... وتدرك السر والاسباب والعلل
وان يكن شعرهم من سخفه بصلا ... فان شعرك يحكي الشهد والعسلا

** قصيدة الاستاذ سيد ابراهيم.

من حيث ان الفنون أضحت ... في مركز تاعس خسيس
وصار أمر القريض فوضى ... وليس للشعر من رئيس
وحيث أن البرنس أهل ... لذلك المنصب الخطير
قد قرر المحتفون جمعا ... تقليده منصب الامير
وان تفضلت ياأميري ... فاقبل اذا هذه الامارة

وانهض بأعبائها فخورا ... وامنع عن الفن كل غارة

فيا أمير القريض اقبل ... وبدل الفن من اساسه

ومن يخالف فامنعه عضوا ... وان تشأ فلتطح برأسه

واقبل اذا شئت بعد هذا ... امارة الخط مستقلا

فقد غدا الفن لايساوى ... قلامة الظفر أو أقلا

وأنت حسب الفنون وحدك ... وقد أقام الزمان سعدك

ان هتف الحاسدون ضدك ... فما أرى للفنون ندك

والشعر في مصر ياأميرى ... مستفعلن فاعلن فعول

فكن أميرا على القوافي ... فالناس ليس لهم عقول

** قصيدة الاستاذ عبد الجواد رمضان

دعتك وقد توافر طالبوها ... وهل يحوى العلا الا بنوها

أمير الشعر أنت وان تغالى ... وأسرف في الدعاية مدعوها

جباء تجار بأم القوافي ... وقد ربحوا الحياة وأخسروها

احمى عرشها وازود عنها ... زعانف للرزيلة سخروها

** قصيدة الاستاذ عزيز بشاى

على العرش فاجلس أو على النجم فاحلل
فدونك هذا منزل بعد منزل

بلغت سماء الشعر وحدك عاليا
على الناس فالبس تاجه وتقبلا

وصـــرت أمير الـــشـــعـــر فـــارفـــع لـــواءه
علـــى مصر واجـلـــس فـــى الامـــارة وانجـلـــى

أمـــيـــرا اذا هـــز الـــبـــراعـــة أقـــبـــلـــت
مـــلـــوك النهـــى تـــســـعـــى الـــيـــك وتجـتـلـــى

لـــقـــد كـــذبـــوا ان قـــيـــل أنـــك تـــدعـــى
فـــعـــلـــمـــك مـــوفـــور ودلـــوك ممـــتـــلـــى

وظـــلـــك ممـــدود وســـيـــلـــك جـــارف
عـــلـــى كـــل مـــفـــضـــال وكـــل مـــفـــضـــلـــى

وقـــم آمـــرا فـــوق الاريـــكـــة نـــاهـــيـــا
جـــنـــودك وافـــرح بـــالجـــنـــود وهـــلـــل

لـــقـــد بـــايـــعـــوا اذ بـــايـــعـــوك أمـــيـــرهـــم
فـــقـــم واســـتـــمـــع من بـــايـــعـــوك وصـــهـــلـــل

حمـــلـــت لـــواء الـــشـــعـــر للـــشـــعـــر تـــاجـــه
فـــصـــنـــه والا فـــاســـتـــرح وتـــنـــزل

وبعد أن انتهى الشعراء من القاء قصائدهم بين يدى أميرهم. قام الامير البرنس وألقى قصيدتين.

** القصيدة الاولى:

عـــلـــى الـــشـــعـــر قـــد صـــرت الامـــيـــرا
وان كـــنـــت الخـــبـــعـــشـــنـــه الـــصـــغـــيـــرا

أنـــا المـــتـــنـــبـــى فـــى نـــظـــمـــى ونـــثـــرى
أقـــول الـــشـــعـــر مختـــالا فـــخـــورا

وانــي للــرئــيـس بــكـل نــاد
أحــاكـي الــشـمـس فـي الـدنـيـا ظـهـور

بــدار الــكـتـب قـد قـضـيـت عـمـرى
نـقـي الجـيـب اسـتـاذا حـصـورا

تـلانـي الـشـاعـر المـتـنـبـي قـدمـا
وجـبـت قـريـضـة سـبـحـا بحـورا

لـو أتـي قـد سما فـوق الـثـريـا
لـه إنـصـدح المـعـلـي هـدى ونـورا

لـه انـصـدح المـعـلـي فـي المـعـالـي
لـو أتـي مـابـدا يـسـمـو الـبـدورا

عـلـي الـشـعـراء قـد صـرت أمـيـرا

** القصيدة الثانية:

رجـال المجـد دمتم للـمـعـالـي
مـبـدى الايـام في تحـسين حـالـي

فـأنتم سـادة الادبـاء طـرا
وأنتم كـالـفـرائـد فـي الجـمـال

فـهـذى حـفـلـتـي بـكـم أقـيـمـت
بـرغـم حـواسـدى آل الـعـوالـي

أدام الله سـعـيـكـم الـيـنـا
بجـاء قـبـل الميم قـبـل دال

بـكـم نـلـت الامـارة في قـريـضـتـي
بـكـم حـزب الأواخـر والأوالـي

بـشـاعـركـم بـرنـس المجـد كـونـوا
لـه نـعـم الثـمـال مـدى الليـالـى

بـرنـسـكـم لا كـالمـتـنـبـى شـعـرا
وفـى هـذى الامـارة فـهـو تـالـى

أدام الله عـلـيـاكـم جـمـيـعـا
لاحـيـاء المـودة كـالخـوالـى

وأبـقـى أنـسـكـم في كـل نـاد
وأجـلـسـكـم عـلـى الـسـبـع الـطـوال

وأبـقـاكـم طـوال الـعـصـر حـصـنـا
وجـاهـا لـى بـدا دون الـزوالـى

وبـكـم تـبـدو المـواسـم وهـى تـشـدوا
رجـال المجـد دمتم لـلـمـعـالـى

هذه صورة من الصور الرائعة للأدب والدعابة، قبل حوالى نصف قرن، فى أمسية جميلة أقامتها وزارة الثقافة المصرية لتكريم الادب والشعر في شخص أمير الشعراء شوقى ورغم أن جميع القصائد التى ألقيت في الحفل واضح وملموس فيها الدعابة والفكاهة، الا أن البرنس اعتبر الموضوع جديا، وطبع بطاقة باسمه، ولقب نفسه بأمير الشعراء... ولله في خلقه شؤون.



** من حديث القلم

الخطوة الموفقة التي اتخذها مجلس الوزراء بمكافأة رجال التعليم القدامى كان لها اعظم الأثر وأطيبه.. لا في نفوس رجال التعليم فقط ولكن لدى جميع طلبة العلم ورواد المعرفة ولقد أحسنت الدولة صنعا عندما كرمت رجال التعليم القدامى حتى من اختاره الله الى جواره بأن تصرف مكافآتهم لورثتهم.

هذه اللفتة الكريمة من الدولة تدل على بعد النظر في تقدير العلم ورجال التعليم الذين كرسوا حياتهم في تعليم وتثقيف أبناء هذه البلاد والذين قامت على أيديهم فى فجر حياتنا العلمية هذه النهضة العلمية الكبرى في طول البلاد وعرضها.

التربية والتعليم من أسمى الخدمات التى يقدمها المرء لوطنه وبلاده..

كما ان التعليم من أشق الأعمال وأتعبها سيما تعليم الناشئة التى لم ينضج بعد تفكيرهم وعقولهم.. لأن المدرس مضطر فى كثير من الحالات أن ينزل بتفكيره وأحاسيسه الى مستوى.. المفاهيم للطلاب وأحاسيسهم ليضمن حبهم له وليضمن قبولهم لما يلقنهم اياه من علوم وسلوك وبغير الحب والتفاهم بين الطالب والمدرس لاتتم النتيجة المتوخاة في التعليم والمدرس أيضا هو قدوة الطلاب في تربيتهم وسلوكهم وفي نزول المدرس الى مستوى مفاهيم الطلاب الذين لم ينضج بعد تفكيرهم ومداركهم. فيه مافيه من المتاعب والأعباء على النفس لأنه يرجع الى الوراء بتفكيره ومفاهيمه عشرات السنوات.

وحق لمن كافح وصبر على متاعب هذه المهنة الشريفة وتحمل مشاكلها

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٦٧/٣/٦هـ

ومتاعبها مددا طويلة أن يكافأ و يقدر على صبره وجلده سيما في الوقت الذي كان المعلم فيه مهضوم الحقوق في المجتمع.

فالدولة لم تعطه حقه في تلك العهود من الأجر بل كان مرتبه الشهرى ضئيلا جدا بالنسبة لمرتبات الآخرين والمجتمع أيضا لايقدره حق قدره.

على أن التعليم له مكانته وقدسيته فهو من وظائف الرسل والملائكة فقد جاء جبريل عليه السلام يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم في أول آية قرآنية نزلت عليه يقول (اقرأ) فقال صلى الله عليه وسلم ماأنا بقارىء فرددها جبريل عليه السلام ثلاثا ثم قال له (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم).

وتولى الرسول بعد الرسالة تعليم البشرية وتثقيفهم في أمور دينهم ودنياهم.

فمنزلة العلم في المجتمع الانسانى منزلة رفيعة ولم يرق الانسان الى ماوصل اليه من اعزاز وتقدم الا بالعلم والانسان لم يفضل على مخلوقات الله الا بالعلم ولقد اصبحت تقاس مكانة الأمم والشعوب بقدر حظها من العلم والمعرفة وعلى المعلم يتوقف تثقيف رجال المستقبل وتربيتهم التربية الصحيحة الدينية والخلقية.

ونحن اذا أكرمنا العلم فأنما نكرم العلم الذي كرمه الله تعالى نكرمه في رجال التعليم ومانشك أن رجال التعليم الذين كرسوا حياتهم تلك المدد الطويلة قد كافحوا وصبروا وتحملوا كثيرا من الأعباء والمتاعب في سبيل استمرارهم في هذه المهنة المكرمة فهم يستحقون هذا التكريم وهذا التقدير.

ونحن لانعتبر ماقدم لهم من مكافأة مادية ــ مهما بلغت بمجزية لهم على جهودهم.. وصبرهم.. وكفاحهم.. ولكن التقدير المعنوى واهتمام الدولة هذا الاهتمام الكبير أولا في التفكير في مكافآتهم ثم تعيين هذه المكافآت وانفاقها هذا التقدير المعنوى هو اسمى واعظم من المادة فالمادة عرض زائل

ولكن التقدير المعنوى يبقى من الزمن و يثير في النفس نشوة الأحساس بالمعزة والكرامة.

وعلى هذا المبدأ فلعل الدولة تضع في حسابها تقدير رجالها الأولين العاملين الذين قدموا خدمات للبلاد والحكومة في مختلف المجالات العلمية والأدبية والأدارية في اخلاص وصبر عندما كانت المرتبات تعد بالقروش لا بالريالات فكم من رجال عاملين مخلصين ابلو بلاء حسنا في خدمة البلاد والعباد ــ تقدمت بهم السن عن العمل ــ ولا أقول انهم محتاجون أو غير محتاجين ولكن أقول أنهم يستحقون من الدولة التقدير والتكريم.



** الدراسة.. والضرب.. والأجازات

انتهت العطلة المدرسية السنوية ــ التى أخذت من الطالب أكثر من ربع العام.. وبدأ الطلاب على اختلاف أعمارهم ومداركهم وعلى اختلاف مراحلها الدراسية ــ الابتدائية والمتوسطة ــ والثانوية والجامعية.. بدأوا يهرعون الى المدارس افواجا افواجا.

وكانت العطلة السنوية في زماننا تقدر بحوالي شهر ونصف ــ فقط ــ ولم تكن تتقيد بفصول السنة الشمسية ــ كما هي عليه الآن.. بل كانت تخضع للمواسم الدينية بالأشهر القمرية.. كانت العطلة أيام زمان ــ في شهر الحج ونصف أيام رمضان.. فالطالب يستطيع أن يصوم مع دراسة نصف النهار من رمضان.. أما شهر الحج.. فالطالب وأولياء الطالب.. يقضون شهر الحج في أعمال متواصلة.. فهى ــ أما فى خدمة الحجاج لمن يتعاطى خدمة الحجاج.. وأما للاستعداد لأداء نسك الحج.

وكان السفر الى مكة المكرمة ــ للحج على الدواب.. المسافة بين المدينة ومكة.. عشرة أيام ذهابا ومثلها إياباً.. ثم مثلها لأداء النسك والاستعداد لذلك.

وحج أهل المدينة بالركوب، الهوادج له طابع خاص.. سوف آتى على وصف شامل له.. فأن ذكرياته مازالت تطوف بالذهن ومتعة مازالت تداعب الخيال من حين لاخر.. وقد درست تلك العوائد الجملية.. ولم يبق منها شيء.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/١١/٢٢هـ

أي دين يفرض علينا اجازة الحج ورمضان.. وهي تضاف الى العطلة الصيفية والى العطل الاخرى في الاعياد والمناسبات الاخرى.. وعليه فقد تبلغ هذه العطل في مجموعها حوالى نصف السنة. ولا أعرف ابدا.. أن هناك تفكير فى اعادة النظر في هذه العطلة.. وحتى بعد التغلب على التكييف الهوائى.. فالمدرسة مكيفة، والمنزل مكيف والسيارة مكيفة، وربما كيفت الشوارع أيضا ومن يدرى؟.

ولاأدرى بعد — هل هذه العطل الطويلة.. هى ضياع للطالب.. أو فائدة له..يقول رجال التعليم الآن.. أن هذه العطل فيها شحذ للذهن، وتهيئة لمدارك الطالب لاستيعاب أكثر مايمكن من العلم والمعرفة اثناء الدراسة الجديدة.. و يقولون.. أن ذهن الطالب — يدرك الكلل والملل من تقلبات الجو.. فلا يستطيع هضم مايلقى عليه من علوم.. ولابد للذهن وللجسم — أيضا — من الراحة الكاملة.. ليستعيد نشاطه من الجهد الذي بذل أثناء السنة الدراسية الماضية.. ولابد من الأبتعاد عن الجو المتقلب اثناء الصيف.. ليستعد لاستيعاب وهضم مايلقى عليه من العلم والمعرفة في عامه المقبل.

و يقول أصحاب هذا الرأى أن العطل المدرسية ليست هى للطالب فحسب.. ولكنها — أيضا — لولى الطالب وأهله الذين يتقيدون بزمن الدراسة.. و يصرفون كل أوقاتهم في تهيئة الفرصة الطيبة لأبنائهم.. للمحافظة على أوقات دوام المدرسة والمذاكرة وكل مايحتاجه الطالب مما يسبب نجاحه آخر السنة — ثم أنهم يرتبون فسحهم وأجازاتهم على عطل أبنائهم.

أما أساتذتنا القدامى.. الذين يخصصون الأجازات المدرسية بالمناسبات الدينية كالحج والصيام.. فأنهم يرون أن هذا الفاصل الطو يل.. بين الدراسة الأولى والدراسة الثانية قد يضيع على الطالب ماجمعه من معلومات أثناء السنة الدراسية.. سيما اذا لم يقوى المعلومات التي درسها.. و يرون أن الطالب اذا لم يواصل أول الدراسة بأخرها.. فأنه قد ينسى القديم.. و يتعذر

عليه ربط المعلومات بعضها ببعض.. وجاء الآن.. التحكم في تكييف الهواء.. فأعطاهم حجة أكثر.. فالمدارس، المنازل والسيارات مكيفة وكل شيء الآن ميسر.. على أن لكل وجهة نظرة.

وعليه ــ ومادام هذا واقعنا.. ومادام هذا ماختاره لنا ولأبنائنا المسؤولون الكبار عن التعليم.. وهم لاشك الحريصون على المصلحة العامة للطالب ولذوى الطالب.

علينا أن ننظم أيام العطل السنوية.. وأن نشغل معظمها بالمطالعة والدرس والاستذكار لما درس في السنة الماضية.. لأ لا يتبخر من الذهن.. ويجب الا نترك للطالب أن يقضى الوقت.. كل الوقت ــ في اللهو واللعب.. وفى وسائل التسلية الأخرى.

علينا الا نترك ابناءنا يضيعون كل أوقاتهم ــ مثلا أمام شاشة التليفزيون الذي أصبح البعض لايفارقها ابدا.. ليلا أو نهار فان بعض برامج التليفزيون لاتصلح للطلاب بل أن فيها ماقد يضرهم ذهنيا وخلقيا واجتماعيا.. وكلنا سمعنا بالذين قلدوا فيلم (رجل الستة ملايين) الذي كان يعرض في التليفزيون وصنعوا مثل ماكان يصنع حتى أودى بحياة بعضهم.. وبعض البرامج فيها مايجب حجبه عن اطفالنا ومراهقينا، ومراهقاتنا لاننا لا نريد أن يفتحوا عيونهم الا على مايغذى نفوسهم بالفضيلة وسمو الأخلاق.. ولايمكننا أن نطالب التليفزيون.. الا يقدم من البرامج الا مايتلائم مع أذهان أطفالنا ومراهقينا.. فهو مضطر ان يقدم لكل فئة من الناس مايوائم اذواقهم وأمزجتهم ومداركهم.. وعلينا نحن.. الانسمح لأطفالنا الا برؤية البرامج النافعة لهم والتى خصصها التليفزيون لهم.. وهى برامج مستوفيه تعطيهم حقهم وأكثر من حقهم.. وأن نشغل بقية أوقاتهم في أمور اخرى تنفعهم في دراستهم المقبلة، وتقوى مداركهم، وتنمى معلوماتهم.. يجب أن يتعاون المنزل معهم على تهيئة كل الفرص الطيبة لهم.

بقيت كلمة لابد من توجيهها للمدارس والقائمين عليها.. هذه الكلمة

ايقظها لدى ماكنا نعانيه أيام الدراسة من متاعب لقد كنا قبل نصف قرن أو أكثر.. عندما كنا طلابا صغارا نقاد ـ الى المدرسة بالسلاسل.. وكأننا نقاد الى السجن.. فليس بالمدرسة مايغرى على حب المدرسة أو على الأقبال على المدرسة.. أو الكتّاب ـ بتشديد التاء ـ وكنا غالبا مانقابل من المراقب أو المدرس بالعصا.. وكثيرا ماكنا نتمنى المرض وكنا نتصنع المرض (بالكذب) لنتخلص ـ ولو يوما واحدا من المدرسة.. ومنذ أن ندخل المدرسة، أو الكتّاب ونحن في انقباض وغم.. الى أن نخرج منها.. وكان الدرس الذي يسلينا بعض الشيء.. درس الأناشيد، ودرس الرياضة البدنية.. ومع هذا فقد كان يدخل المدرس الفصل والعصا مشرعة في يديه.. وكان بعض المدرسين يقول أن حمل العصا في الفصل لا لضرب الطلبة.. ولكنها مثل (الكيف) اذا دخل الفصل ولم تكن معه يشعر أن شيئا ناقصا لديه لابد من اتمامه.. ومادرى ان هذه العصا ترهب الطالب.. وتكرهه في المدرسة.. والدراسة.

وكل طالب منا كان يتوقع أن تلهب العصا قفاه عند أقل غلطة أو كما كان يتصور الاستاذ أنها غلطة.. وكان من موجبات الضرب للطالب.. الابتسامة أو الضحك.. كانت الابتسامة والضحك من الجرائم التى يعاقب عليها الطالب.. وافظع واكره مافى المدرسة العقاب البدنى على اتفه الأسباب.. وبقسوة لا تعرف الرحمة.

اذكر العريف.. الشيخ محمد بن سالم رحمه الله وسامحه كان يجلس في الكتاب على مرتبة صغيرة.

ومن فوقها سجادة.. وكان تحت السجادة عدد من العصى المختلفة الأحجام والأطوال واذا أراد أن يضرب طالبا في (الفلقة) يختار من هذه العصى.. أجمدها وأسوأها.. لذلك كنا نرى الكتاب أو المدرسة حجيما.. ونتمنى اليوم ـ الأبيض الذي نمرض فيه وننفك من المدرسة.

أما الآن فأن نظام المعارف ـ فيما أعرف ـ قد حرم العقاب البدنى في

المدارس.. الا في حالات نادرة جدا.. وحرم الدخول بالعصا الى الفصل.. ولكن فيما أظن ينقصنا.. أن يوجد بالمدرسة مايحبب المدرسة للطلاب سيما الأطفال منهم.. ينقصنا أن توجد وسائل اجتذاب المدرسة للطالب.. وأن توجد وسائل الترغيب والتسلية للطالب.. لتكون أحب اليه من المنزل ومن كل مكان آخر.. فتقدم المدرسة للطالب الهدايا البسيطة التى تفرح الطالب ولاتكلف شيئا.. أن مجرد أعطاء الطالب الهدية او الكلمة الطيبة يفرح الطالب، و يدخل السرور عليه.. ويحبب المدرسة اليه مهما كانت الهدية، وأن يقابل الطالب بوجه باش ضاحك لألا ينفر من المدرسة ومما يقال عن بعض المدارس ـــ في بلاد بره ـــ أن الحروف الهجائية تصنع للطالبة من الحلوى.. واذا ماحفظ الطالب الحرف يعطى له ـــ يعنى تعطى له قطعة الحلوى التى تشكل الحرف.. يأخذها للبيت ليطلع عليها أهله.. ثم يتناولها.

والطالب الصغير وغير الصغير ـــ مزاجه قريب ـــ أقل مايدخل عليه السرور و يفرحه بالمدرسة والمدرس الناجح هو الذي يستطيع أن يحبب الطلبة اليه واذا أحب الطالب المدرس أحب المدرسة ـــ أذكر اننا كنا في المدرسة التى كان مديرها الشيخ أسعد توفيق رحمه الله وكان من مدرسيها السيد احمد صقر رحمه الله وكانت مدرستنا.. في زقاق الخياطين.. بقرب المسجد النبوي.. وقد نقل السيد احمد صقر مديرا لمدرسة أخرى وكانت في بيوت الأشراف أمام الشونة.. وعين بدله استاذ تركى لايعرف اللغة العربية.. وكان قاسيا شديدا وكنا نذهب للمدير نبكى ونطلب اعادة استاذنا السيد احمد صقر لأننا نحبه ونشعر بعطفه علينا.. ولما لم يعاد الى المدرسة خرجنا من مدرستنا والتحقنا بمدرسة السيد احمد صقر في حوش الأشراف.. وكان هذا.

ومعذرة أن سرح القلم مع ذكريات الماضى البعيد انه تاريخ قديم لتلك الفترة.. التى يجب أن يعرف الأجيال كيف كانت المدرسة أيام أبائهم واجدادهم.. وليحمدوا الله على النعمة التى هم فيها فقد كان أبلغ ماكنا نتمناه ونسعى اليه الحصول على الشهارة الابتدائية.. والآن لايقنع ابناؤنا الشهادة الجامعية ولا الماجستير. الهدف الآن الدكتوراه.. ومن لايتحصل

على الدكتوراه فأنه لايجد العمل المناسب ولا الراتب المناسب ولا المكانة المناسبة بين اقرانه والحمد لله أولا وأخيرا.

*** الراسبون:**

وهنا موضوع آخر.. ماحببت أن أترك مكانى هذا حتى أتحدث عنه.. ذلك هو رسوب بعض الطلاب.

واستياؤهم استياء شديدا، واستياء أوليائهم.. وقد علمت عن طالب بذل مجهودا كبيرا.. وكرس كل أوقاته في المذاكرة.. ولكن الله تعالى لم يرد له النجاح.. فلزم داره، ولزم معه أهله الدار.. وهم فى بؤس مابعده بؤس ــ ولماذا كل هذا

أنه يجب أن يتقبل المرء مثل هذه وغيرها من المصاعب بالرضا من الله تعالى والصبر..والأيام أمام الانسان.. يمكن أن يستدرك فيها مافات سيما اذا كان قد أدى واجبه من المذاكرة والدرس.. ولم يرد الله له النجاح وشاعرنا يقول :

على المرء ان يسعى و يبذل جهده   وليس عليه ادراك النجاح

ولعل الله اراد به خيرا.. فقد يكون ضعيفا في مادة هو فى أمس الحاجة اليها.. ورسوبه يسبب له القوة فيها والتفوق.

وليس أقدر في التغلب على المصاعب من الرضا بما عند الله والصبر.. فأن عند الله مالاعند الناس، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون.

واذكر بهذه المناسبة.. موضوعا.. ماكان يخيل لى ابدا أن اتحدث عنه ــ بعد أن نسيته ولكن هذه المناسبة وماقد يكون فيه تسلية.. جعلنى اتحدث عن ذلك.

أنني رسبت في السنة الثانية أو الثالثة الابتدائية ــ وكانت الدراسة الابتدائية خمس سنوات.. وكان رسوبى في مادة (الاملاء) كنا اخذنا في درس الأملاء رسم الهمزة.. فى أحوالها المختلفة.. وفي أل الكلمة واخرها ووسطها... ومتى ترسم مفردة، ومتى ترسم على الألف، وعلى الياء وعلى الواو، وكانت لدى من الصعوبة بمكان.

وجاء المدرس.. فتفنن في وضع أسئلة الاختبار.. وضعها معقدة.. وكأنه يختبر اناسا في مستواه.

ومما أذكر الكلمات الصعبة التى جاءت فى الاختبار كلمة (ضىء ضىء).. والتى لايمكن أن انساها رغم مضى اكثر من خمسة وخمسين عاما.. ولاأذكر أن طالبا كتبها صحيحة الا ماندر.

ولم يكن لدينا دور ثان في الاختبار.. والدور الأول كان يحضره كبار شخصيات البلد.. من قضاة.. ومفاتى، وعلماء.. ومجرد وقوف الطالب بين أيديهم ينسيه كل شىء.

رسبت فى مادة الأملاء تلك السنة فما فاتنى هذه السنة لم يفتنى فى السنة القادمة ووالدى ــ رحمه الله ــ قال لى لاتهتم فالمستقبل أمامك ومر الوقت كأن لم يكن شيئا في حياتى.

ثم ماذا كان فى السنة الثانية.. لقد عكفت على دراسة مادة الاملاء.. ودراسة رسم الهمزة بالذات.. وتحصلت فى الاختبار على الأولية في مادة الأملاء في الفصل.. وكان ينافسنى فى الأولية الصديق العزيز صالح طاهر.. وكنا متجاورين فى الجلوس في المقاعد الدراسية.. وكان معروفا بتفوقه فى الأملاء.. ولكن الله عوض على فأخذت ٣٠ درجة واخذ هو ٢٩ درجة فى درس الاملاء واعطانى استاذنا السيد احمد صقر رحمه الله ــ امتيازا، وهى بطاقة مذهبة تعطى لمن يأخذ الأولية فى الفصل.

وعليه.. فأن نصيحتى للطالب الذي يرسب.. الرضا بما قسمه الله والصبر.. وعدم التذمر.. وأحب أن يعلم أن هذه السنة لم تضع عليه.. وسوف يعوضه الله خيرا فيا بعدها.. وسوف يشعر بأنه قوى في جميع موادها.. سيا فى المادة التى رسب فيها.. ويجب على أولياء الأمور ــ الطالب الذي يرسب أن يكونوا عونا له فى تحمله للمشكلة وأن يوجهوه التوجيه السليم.. فعسى الله أن يأتى بخير فى أعوامه المقبلة والله الهادي الى سواء السبيل.

ولايخفى على القراء أن كثيرا من الفلاسفة والمخترعين كانوا يرسبون في الدراسة وكثير من الطلاب لايهضمون الر ياضيات وميولهم أدبية فيتفوقوا في المواد الأدبية و يرسبوا أو يكونوا ضعافا في المواد الر ياضية والعكس بالعكس.

فالرسوب لايقف في وجه العباقرة ولايحد من نشاطهم أبدا وكم من راسب صار عبقر يا ونجح نجاحا لم ينجحه المتفوقون في كل الدروس.

هذه كلمة اقولها بمناسبة مارأيته من بعض الطلبه الذين رسبو وصممو على ترك الدراسة بمناسبة رسوبهم وساعدوهم اهلهم على ذلك كاحتجاج على المدرسة.

** الدراسة الثانوية للبنات بالمدينة المنورة

منذ ان تبنى.. الفيصل المعظم.. رائد العلم وباني صرحه العتيد.. منذ أن تبنى العلم وتعليم الفتاة وأفسح لها مجال التعليم المنظم.. واقبال الفتاة على التعليم ـ لايكاد يقف عند حد..

ورغم انتشار ـ مدارس البنات ـ في طول البلاد وعرضها ـ في المدينة والقرية.. فأن الرئاسة العامة لمدارس البنات على ماهو معروف.. من حرصها على فتح مدارس للبنات فى مختلف انحاء المملكة ـ فأنها قد عجزت عن اجابة جميع طلبات المواطنين بفتح مدارس للبنات.. ذلك لتعطش الفتاة لارتياد مناهل العلم.. بعد ان حرمت منه فترة من الزمن..

وماهذه اللفتة.. الملكية الكريمة ـ من الفيصل بن عبد العزيز ـ بصدور الامر الكريم بفتح ٣٧ مدرسة ابتدائية للبنات ـ يبلغ تكاليفها حوالى ٧ ملايين ريال.. مما لم تكن ضمن مشاريع الرئاسة العامة.. وليس لها علاقة بالميزانية العامة.. بل هي بأمر ملكى خاص.. ماهذه اللفتة الكريمة الا حرصا من جلالته على توسيع نطاق تعليم الفتاة.. وشعورا من جلالته بحاجة المملكة.. الى فتح هذه المدارس.. ومن فتح مدرسة فقد اغلق سجنا.

ولست الان.. بصدد التحدث عن التقدم الكبير.. في تعليم الفتاة.. الذي عم ارجاء المملكة ومابلغه تعليم الفتاة.. من نجاح عظيم.. لست بصدد التحدث عما لمسه الجميع من انتشار تعليم الفتاة على هذا النطاق الواسع..

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٨/٥/٢١هـ

في المدن والقرى.. والتقدم الحضارى.. الذي عم الدور والمنازل فأصلح الكثير من شأنها.

لست في هذا المجال.. ولكن حالة شاهدتها عند زيارتى القصيرة للمدينة المنورة.. مدينة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم.. فقد علمت ان تعليم الفتاة بالمدينة يقف عند شهادة الكفاءة المتوسطة وان عددا من الفتيات يتراوح بين ٣٦ ـ ٤٠ فتاة قد تحصلن على شهادة الكفاءة أو الكفاية.. على رأى استاذنا الطنطاوى ـ بعضهن تحصلن على هذه الشهادة في العام الماضى وبعضهن تحصلن عليها هذا العام.. وانهن التمسن فتح قسم ثانوي ليواصلن دراستهن لئلا تفوتهن فرصة التعليم.. بعد ان وصلت هذه المرحلة من التعليم وتذوقت لذة العلم.. وعرفت فضله.. لايقنعها ان تقف عند هذا الحد مادام في مجال العلم متسع امامها فهى تتطلب المزيد والمزيد من العلم.. ليتسنى لها ان تخدم وطنها مسلحة بالعلم والفضيلة.

وانى لارجو. ان تشملهن رعاية الفيصل العظيم ـ وان يحظين من الرئاسة العامة لمدارس البنات.. بفتح هذا القسم.. تمشيا مع السياسة التعليمية الحكيمة التي سنها فيصلنا العظيم.

واعتقد ان المشكلة.. التى تقف فى طريق فتح هذا القسم الثانوي في هذا العام.. هى عدم وجود معمل للدراسات الثانوية او ان الوقت لايتسع لتأسيس هذا المعمل لامكان فتح القسم الثانوي هذا العام.. ولكن هذه المشكلة فيما ارى ـ يمكن حلها ـ مؤقتا.. بأن تكون دراسة الطالبات (العلمية) في معمل الدراسة الثانوية للبنين.. بحيث يخصص لهن وقت للدراسة في هذا المعمل.. في فترة مابعد العصر او بعد المغرب مرتين او ثلاث في الاسبوع حسبما تتطلبه الدراسة.

وانى لواثق ان وزارة المعارف.. والمدرسة الثانوية سوف ترحبان بهذه الفكرة مادام فيها خدمة للعلم الذي هو رائد الجميع.. وذلك ريثما يتم تأسيس معمل خاص لمدارس البنات.

ولم يبق بعد ذلك سوى زيادة مدرستين او ثلاث للتعليم الثانوي.

هذه مجرد فكرة اعرضها على المسئولين راجياً ان تنال موافقتهم حرصا على اكتساب الوقت وعدم حرمان فتياتنا من التعليم لان انقطاعهن عن التعليم سنة او سنتين او ثلاث قد يؤثر على مجرى حياتهن التعليمية.. التى نرجو جميعاً أن تتم على أحسن طريق.



** الطلاب المبتعثون في العهد العثمانى

وجه الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصارى صاحب مجلة العلم والادب والتاريخ (المنهل) الاغر، رسالة يطلب فيها منى التحدث عن طلاب المدينة المبتعثين الى جامعة استامبول في العهد العثماني وماهو دورهم في تفتيح الوعى الثقافى الحديث لدينا وذلك بمناسبة اعتزامه اصدار عدد ممتاز من المنهل فى غرة ذى الحجة ١٣٨٨هـ كعادته في كل عام.

وانى لاشكر للاستاذ الصديق أن اتاح لى فرصة البحث والتنقيب عن تاريخ المدينة المنورة التعليمى في تلك الحقبة من الزمن، وتسجيل مايمكن تسجيله عن النواحى التعليميه، بعد ان اوشكت ان تنطوى مع الزمن الاساليب التعليمية ورجال التعليم في ذلك العهد.

ولقد استطعت باتصالى ببعض شيوخنا الأفاضل الذين عاشوا تلك الفترة، استطعت ان اتحصل على بعض معلومات اعتقد انها قد تلقى بعض الضوء على الحياة التعليمية في ذلك الحين.

وممن اتصلت بهم من شيوخنا الاماثل الشيخ محمد المغيربى فتيح والسيد محمود احمد والسيد عبد الله جعفر والسيد احمد الرفاعى والسيد مصطفى عطار والشيخ حسن قبانى والسيد على عطاس والشيخ احمد صادق.. وجميعهم عاشوا تلك الحقبة من الزمن، وبعضهم من ابتعث الى الخارج وبعضهم ممن تلقى علومه في مدارس ذلك العهد..

نشرت في مجلة المنهل في ذو الحجه ١٣٨٨هـ

** الحركة التعليمية في المدينة

ويجدر بنا التحدث عن الحركة التعليمية ـ بالمدينة المنورة ـ قبل التحدث عن البعثات العلمية، لان البعثات العلمية هى جزء من الحركة التعليمية.

لقد مضت فترة طويلة من تاريخ المدينة المنورة فى العهد العثمانى.. دون أن تؤسس مدارس منظمة للتعليم، وكان التعليم معظمه يقتصر على دراسة القرآن الكريم فى «الكتاتيب».. ويتعلم الطالب في الكتاتيب (فك الحرف)، ثم يتدرج في حفظ القرآن المجيد ويبدأ من السورة الصغيرة، واذكر اننا عندما تعلمنا فك الحروف في كتاب الشيخ ابراهيم الطرودي ـ رحمه الله ـ كنا نكتب الفاتحة والمعوذتين ومابعدهما من السور الصغيرة على الالواح الخشبية بحروف مقطعة كأن تكتب الفاتحة هكذا «ال ح م د ل ل ه ر ب ا ل ع ا ل م ي ن» لتهجى الحروف ثم تربط في كلمات.

وهي طريقة طويلة بعيدة المدي.. تتطلب جهدا ووقتا طويلين، وقد يشب الطالب عن الطوق، وهو مازال في مراحله الاولى التعليمية، لذلك كان لايجتاز هذه المرحلة من الطلاب في سن مبكرة، الا النوابغ بالغوا الذكاء والفطنة.

وبدأت الحكومة العثمانية في تأسيس المدارس التحضيرية والابتدائية في حوالى عام ١٣١٠هـ وأول مدرسة أسست بالمدينة هى (المدرسة الرشدية) وسُميت بالمدرسة الرشدية نسبة الى والى الحجاز رشدى (بك)، ثم أسست المدارس التحضيرية من اربعة فصول والمدارس ـ الابتدائية بزيادة فصلين عن المدارس التحضيرية وبلغ عدد المدارس التى أسست في العهد العثمانى اربع مدارس تحضيرية وثلاثا ابتدائية، فى مختلف نواحى المدينة المنورة وأطرافها، ومدرستين ليليتين لتعليم الاميين.

وفي حوالى عام ١٣١٨هـ أسست «المدرسة الاعدادية» وهى في مستوى

المدارس الثانوية وكانت ذات خمسة فصول ثم أضيف اليها فصل سادس باسم «إحضارى فصلى» «جامعى» بمستوى السنة التوجيهية، وهذا الفصل يعتبر كسنة أولى (سلطانى).

وكانت الحكومة العثمانية تطلب كل عام أربعة من خريجى المدرسة الاعدادية لابتعاثهم، ولكن الاقبال على ذلك كان ضيئلا جدا.. وقبيل الحرب زاد الأقبال على التعليم والابتعاث.

وكان المتخرجون من المدرسة الاعدادية يبتعثون الى المدارس السلطانية باستامبول أو دمشق أو القدس.

وكان مبنى المدرسة الاعدادية بالباب المجيدي في شمال شرقى المسجد النبوي ــ ثم تحول الى عمارة المدرسة الناصرية الابتدائية، وقد ازيلت مبانى هذه المدرسة في التوسعة السعودية للمسجد النبوي عام ١٣٧٥هـ.

ولم تجد المدارس في العهد العثمانى أول الامر إقبال من اهل المدينة المنورة.. فقد ــ كانت الفكرة السائدة ان هذه المدارس تؤدى الى إلحاق أبناء المدينة ــ بالعسكرية ــ ولكن هذه الفكرة مالبثت ان تلاشت تدريجيا، وحصل الأقبال على الأنتساب للمدارس، وتخرج عدد كبير من الطلاب منها، وكانوا النواة الاولى لحمل راية التعليم بالمدينة وادارة دفة الاعمال الحكومية.

** دار المعلمين

وقد انشأت الحكومة العثمانية بالمدينة المنورة مدرسة «دار المعلمين» فى حوالى عام ١٣٢٧هـ وكان مقرها دار جونة بالساحة، ويلتحق بها المتخرجون من المدرسة الاعدادية، وتعنى دار المعلمين بتعليم الطلاب أصول التدريس لتزويد المدارس التحضيرية والابتدائية بالمدرسين وكانت الدراسة بدار المعلمين باللغتين العربية والتركية، في الوقت الذي كانت الدراسة بالمدارس الابتدائية والتحضيرية والاعدادية كلها باللغة التركية، وقد تحولت الدراسة

بالمدرسة الاعدادية في الفصول الاخيرة الى اللغة العربية ماعدا اللغة التركية وآدابها و بعض الفنون.

وكانت الحكومة العثمانية تدفع لكل طالب في دار المعلمين ثلاثة (ريالات مجيدية) شهريا تشجيعا له على الدراسة.. واخبرني الشيخ حسن قبانى احد طلاب دار المعلمين انه كان مشروطا ان لايقل عدد كل فصل من فصول دار المعلمين عن خمسين طالبا.. الا ان مجموع من التحق بدار المعلمين في أصنافها الثلاثة لايزيدون عن الخمسين طالبا.. وقد اغلقت دار المعلمين وارسل طلابها المتفوقون الى كلية صلاح الدين الايوبى بالقدس، والمدرسة السلطانية بدمشق لاكمال تحصيلهم.. وكان الفصل الدراسى يسمى (صنفا) فيقال: الصنف الاول والصنف الثانى وهكذا.

وقد أغلقت جميع المدارس بالمدينة في حوالى ١٣٣٤هـ بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى وتحول الحكم بالمدينة (للقوة السفرية) بقيادة فخرى باشا فكان الحكم بالمدينة عسكريا و بدأ تهجير اهالى المدينة لدمشق و بعضهم سافر الى مكة المكرمة.. وفي تلك الفترة اسست مديرية عامة للمعارف مربوطة بنظارة المعارف باستامبول.

** الجامعة الاسلامية

وقد تقرر تأسيس جامعة اسلامية بالمدينة المنورة في العهد العثمانى تسمى جامعة(صلاح الدين الايوبى) ليلتحق بها المتخرجون من المدرسة الاعدادية.. وقد عين مديرا لها الشيخ (عبد العزيز شاويش) الذي قدم الى المدينة المنورة ومعه الامير شكيب ارسلان والسيد عبد القادر الجزائرلى يحملون الخرائط والمواصفات لهذه الجامعة ومعهم المهندسون الاختصاصيون لهذه الجامعة وقد أرسوا الحجر الأساسى للجامعة في الجهة الغربية بشارع العنبرية.. و يقال انهم وضعوا مع الحجر الأساسى لهذه الجامعة صورة من الامر السلطانى ببناء الجامعة وصورة من الخرائط ومجموعة من النقود العثمانية.

وفي اثناء عمارة هذه الجامعة فتحت في القدس كلية صلاح الدين الايوبى في مؤسسة الفرير الافرنسية، الى حين يتم بناء جامعة المدينة فينقل طلابها من القدس الى المدينة وقد تقدم عدد كثير من الطلاب من المغرب والجزائر والعراق ومصر وكثير من البلاد العربية والاسلامية تقدموا بطلب الالتحاق بجامعة صلاح الدين الايوبى بالمدينة، وقبلت طلباتهم وانتسبوا مؤقتا لجامعة صلاح الدين بالقدس لينقلوا الى جامعة المدينة متى تم إنشاء مبانيها.

وقد شرع في بناء الجامعة الاسلامية بالمدينة فى حوالى عام ١٣٣٢هـ بموجب المخططات والرسومات التى جاؤا بها من استامبول وكان الحجر الاسود المنحوت، كأقوى بناء عرف في ذلك العصر، وقد شيد القسم السفلى من مبانى هذه الجامعة، الا ان الحرب العالمية الاولى قد حالت دون إتمام مبانيها فتوقفت فى عام ١٣٣٤هـ بعد ان تم بناء الطابق السفلى. وقد شيد في العهد السعودي طابق ثان على مبانى هذه الجامعة واصبحت المدرسة الثانوية بالمدينة الآن.

هذا وأما الجامعة الاسلامية الحالية، فقد أنشأتها الحكومة السعودية واقامت لها مبانى ضخمة تشرف على وادى العقيق في المكان المسمى بسلطانة الآن، ويسمى تاريخيا عَرْصة العقيق الكبرى وهى على مسافة خمسة كيلو مترات عن المدينة وتؤدى الجامعة الاسلامية واجبها العلمى والدينى على خير وجه.

** البعثات العلمية

ويأتى الحديث عن البعثات العلمية، التى ابتعثت الى الخارج من المدينة المنورة، وتجاوزت أسوارها لاول مرة في تاريخ المدينة، ولعله اول مرة في تاريخ هذه البلاد.

ولم استطع ان احصل على معلومات دقيقة ووافية لهذه البعثات، وكل ماتحصلت عليه ــ هو ماوعته ذاكرة السادة الذين اتصلت بهم ــ وقد بخرت

السنون معظم تلك المعلومات، اللهم الا ماكان من خيط دقيق هو الذي استطعت ان ادون منه مادونت من معلومات.

وقد اخبرني السيد محمود احمد ان اول بعثة ابتعثت من المدينة، من متخرجي المدرسة الاعدادية ذات نظام الخمس سنوات كان من ضمنها شقيقه (السيد جميل احمد) والشيخ امين توفيق، وقد التحقت هذه البعثة بكلية «دار الشفقة» في استامبول وهي كلية سلطانية خاصة لايلتحق بها احد من الطلاب الا بأمر سلطاني.. وكان سفر هذه البعثة من المدينة في أول عام ١٣٢٤هـ وهي أول دفعة تخرجت من المدرسة الاعدادية كما ان السيد احمد الرفاعى قد تحصل على أمر بدخول هذه الكلية في آخر العهد العثماني.

والمعروف ان ابتعاث الطلاب المتخرجين من المدرسة الاعدادية ودار المعلمين كان الى ثلاث جهات: استامبول، ودمشق، والقدس وكانت الحكومة تساعد المبتعثين بتخفيض تذكرة السفر على القطار الى النصف فيدفع الطالب مبلغ جنية ونصف بدل كامل التذكرة التى هي ثلاثة جنيهات. وممن التحق بجامعة صلاح الدين بالقدس، الشيخ محمد المغيربى فتيح، والشيخ عمر قازانى، والشيخ عبد القادر عبد الجواد والشيخ سليمان حماد والشيخ كامل حوارى والشيخ حسن قبانى والشيخ منتظر طرابزونى والشيخ عمر توفيق والشيخ حسن عنبر خان.. وممن ابتعث الى الاستانة رفاقت على وقد تخرج طبيبا وعاد الى المدينة المنورة ومارس الطب فيها، ومن المبتعثين الى الأستانة السيد جميل حبيب احمد.

وممن ابتعث للمدرسة السلطانية بدمشق السيد حسين طه والسيد محمد على طه والشيخ احمد صادق والشيخ حمزة سمان والشيخ ابوبكر حمد الله.

وقد يكون غير هؤلاء ابتعثوا ايضا ولكن هذه الاسماء هى التى استطعت الحصول عليها ممن اتصلت بهم.

وجاءت الحرب العالمية الاولى، ومعظم المبتعثين لم يتموا دراساتهم،

واغلقت المدارس والكليات في الممالك العثمانية فعاد بعض المبتعثين الى المدينة المنورة وواصل بعضهم دراسته بطريقه من الطرق.

ومن الذين واصلوا دراستهم في مختلف الجامعات الشيخ (محمد المغيربى فتيح) فقد تخرج من المدرسة الاعدادية في عام ١٣٣١هـ وكان من المقرر ان يبتعث مع زملائه الشيخ عبد القادر عبد الجواد والشيخ كامل حوارى الى استامبول ولكن ابتعاثهم تحول الى القدس بجامعة صلاح الدين الايوبى بعد ان أنشئت هذه الجامعة. وكانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدراسة في كلية صلاح الدين بالقدس كما يدرس بها ثلاث لغات اجنبية هي اللغة الانكليزية والافرنسية والروسية وثلاث لغات شرقية هى التركية والفارسية والاردو، واحدى هذه اللغات اجبارية.

وبعد ان تخرج محمد المغيربي من كلية صلاح الدين التحق بالجامعة الاميركية ببيروت ثم التحق بالجامعة الاميركية باستامبول وتحصل على شهادة الاقتصاد السياسى العليا من الجامعة الاميركية بسويسرا ونال درجة البكالوريوس فى الحقوق والسياسة الدولية من جامعة لوزان فى عام ١٣٣٨هـ.

** دور المبتعثين فى تفتيح الوعى

أما دور هؤلاء المبتعثين في تفتيح الوعى الثقافى لدينا، فما لاشك فيه ان الوعى الثقافى بدأ يتفتح منذ بدأ تخرج طلابنا من المدارس الثانوية وابتعاثهم الى الخارج لمواصلة دراساتهم الجامعية، الا ان مداهمة الحرب العالمية الاولى لهذه الحركة التعليمية قد حد من النهضة العلمية في ذلك الحين.

وطلابنا المبتعثون الى الخارج هم مبدأ تفتح الوعى التعليمى الثقافي بالمدينة وقد كانوا النواة الاولى لتفتح هذا الوعى، على ان الذين قاموا بدفع عجلة التعليم وتطويره بعد الحرب العالمية الاولى اليد الطولى في التعليم

والتثقيف والذين اداروا الاعمال الحكومية وغير الحكومية هى تلك المجموعة الضخمة من الذين تخرجوا من المدارس الاعدادية ودار المعلمين وهم الذين قادوا الحركة التعليمية والادارية بعد الحرب العالية الاولى اذكر منهم:

السيد محمود احمد، الشيخ اسماعيل حفظى، السيد حسين طه، السيد على حلوانى، الشيخ اسعد توفيق، الشيخ كامل توفيق، الشيخ صالح كردي، السيد عبدالله جعفر، الشيخ حسن ناصر، الشيخ محمود عبد الجواد، الشيخ محمد عبد الجواد، الشيخ عبد الحميد خطاب، الشيخ كامل خطاب، السيد يس جعفر، الشيخ يس كردي، السيد محمد صقر، الشيخ خليل حوارى، الشيخ كامل حوارى، الشيخ محسن حوارى، الشيخ طالب توفيق، الشيخ عباس توفيق، الشيخ عبد الاله توفيق، الشيخ بكر جاد، الشيخ عمر جاد، الشيخ احمد ابو بكر حمد الله، الشيخ امين توفيق، الدكتور محمد الخاشقجى، الشيخ عمر حلوانى، الشيخ محمود داغستانى، الشيخ محمد الكتامى، الشيخ احمد الكتامى، السيد مصطفى عطار، الشيخ منتظر طرابزونى، الشيخ حمزة توفيق، السيد حمزة صقر، وغيرهم ، وغيرهم ممن لااستطيع حصرهم.

هؤلاء الرجال، هم الذين فتحنا اعيننا، وهم يديرون دفة الاعمال التعليمية والاعمال الحكومية.

وقد فتحت في العهد العثمانى حوالي عام ١٣٣٨هـ اربع مدارس تحضيرية كل مدرسة ذات فصلين، ومدرسة راقية ذات خمسة فصول وهذه المدارس هى:

المدرسة العلوية ومديرها الشيخ يس كردي، والمدرسة الفيصلية ومديرها السيد حسين طه، والمدرسة العبدلية ومديرها السيد احمد صقر، والمدرسة الزيدية ومديرها السيد ماجد عشقى، ثم اسست المدرسة الراقية في عام ١٣٤٠هـ وتولى ادارتها حسين طه، والطلاب الذين يتخرجون من المدرسة التحضيرية يلتحقون بالمدرسة الراقية.

ولااريد الان ان اقارن بين النهضة التعليمية والابتعاثية في العهد

السعودي مع ما كانت عليه ــ في الايام الخالية ــ فقد قفز التعليم في العهد السعودي الى مستوى عال.. انتشرت فيه المدارس في جميع انحاء المملكة ــ المدن والقرى، وأسست الجامعات والكليات في عدة نواح من المملكة ووصلت النهضة التعليمية الى حد لم يسبق لهذه البلاد ان وصلته في اى عهد من العهود ولعلى اعود الى الحديث عنها فى فرصة اخرى اكثر ملاءمة.

هذا ولعلى استطعت ان اجيب على سؤال الصديق الانصارى صاحب (المنهل) العذب في موضوع تاريخى، قد احسن الظن بى اذ عهد الى بالكتابة فيه، بعد ان كادت الايام تطو يه كما طوت غيره من تار يخ هذه البلاد.

على انى ارجو ممن لديهم معلومات اوسع ان يتفضلوا ببعث مالديهم الينا منها خدمة للحقيقة وتسجيلا للتار يخ.



** اتقوا الله في فتياتكم

كثير منا من ينظر الى تزويج بناتهم من زاوية ضيقة محدودة ــ لا تريهم الحقائق كما هي ــ ولا تشف عن رغبات بناتهم.. ومايتطلعن اليه، من أن يكن ربات بيوت.. ولايتحسسون أراء فتياتهم وأهدافهن.. فيرفضون تزويجهن المرة تلو الأخرى.. لأتفه الأسباب.

وقد تعود عاقبة هذا الرفض.. بأسوأ العواقب على الفتيات وعلى الأسرة.
كثير منا من لاينظر الى تزويج فتياتهم بالعين التي تنظر اليها الفتاة نفسها صاحبة الشأن وماتصبوا اليه من سعادة زوجية تحقق بها بناء اسرة وتربية أطفال.. وتصبح ربة بيت مستقبل.. يكون بجانبها زوج يسعدها.. ويقوم بأودها.. ويتعاون معها على بناء بيت الزوجية لتصبح سيدة الموقف وصاحبة الشأن.

كثير منا، من لايدخل في حسابه، ماتتطلع اليه الفتاة في المستقبل القريب أو البعيد، من انجاب أطفال.. يصبحون رجالا.. فيكونون عمادها في المستقبل.. ويعينوها ويحملون (كبرتها) اذا تقدم بها السن.

أن بقاء البنات عانسات في دور أوليائهن بعد أن يتردد الخطاب عليهن، فيرفضون.. أنها احدى الجرائم التي يرتكبها أولياء أمور الفتيات في حق فتياتهم ــ لأنهم بذلك يستثيرون حفائظهن، فيفقدون أعصابهن وربما تصرفن تصرفا جنونيا.. عندما تضيق صدورهن ولايستطعن الأفضاء بما في نفوسهن، فيلجأن للتخلص من حياتهن، وكثيرا ماحدث هذا، ويكون المسؤول عن هذا التصرف الأحمق.. تصرف أولياء أمورهن الممقوت. وفي الحديث الشريف

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٩/٩/٤هـ

«اذا اتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير».

واذا تدبر أولياء أمور الفتيات هذا الحديث الشريف.. اذا تدبروا تحذيره صلى الله عليه وسلم في قوله (الا تفعلوا تكن فتنه في الارض وفساد كبير) عرفوا أى جناية يجنونها على بناتهم.. بحرمانهن من الزواج، وتعريضهن للفتنة والفساد الكبير.

لقد اثار هذا الحديث في نفسي ــ رسالة تلقيتها من احدى الفتيات أنشرها هنا بنصها..

تحية طيبة وبعد أني أقدم لكم في بداية رسالتى هذه جزيل الشكر والتقدير لما قدمتم لنا من فائدة في حلكم للمشاكل وانى ابعث لكم بمشكلتى هذه وارجو أن يوفقكم الله في الرد عليها.

أني فتاة في الحادية والعشرين من عمرى وقد تقدم لى كثير من الخطاب منهم متوسط المعيشة ومنهم أثرياء ولكن كثيرا مايتردد والدى واخوانى ويرفضون بحجة هذا أجنبى وهذا ماعنده وظيفة وهذا جنسه كذا وهذا كذا.. حتى السعوديين اللى من جنسى برضهم مانعوا بتزويجى منهم.. والرجل اللى أوافق عليه يمانعوا منه، فتعرفت الى شاب تربطنا به صلة وأكثر ماأعجبنى بهذا الشاب أنه مهذب ولايمتلك على شهادة في يده أنه صاحب صنعة مشرفة ومن عمله الى المسجد فى كل فرض وقد تقدم لخطبتى وماكان من والدى الا الرفض وادعى له أنى أرفض أنا الزواج.. فأنا موافقة على هذا الشاب لأنى كنت أبحث عن رجل متوسط الحال ونعيش سعداء في هذه الحياة فما أتمنى الرجل الغنى لكن أهلى فيهم الغرور والكبرياء، فأقسمت بيمين بألا أتزوج لأى شاب مهما كان وأعمل معهم العناد لأنهم حرمونى التعليم أولا وثانيا رافضين لى سعادتى فأنه لا فى يدى شهادة أمتلك عليها فى آخر الزمان.. أريد رجلا يسعدنى أن أعيش معه عن كلام الناس

فأرجو الحل، وكثيرا ماأنام الليالى وأحاول الأنتحار وأصبحت أتضايق من كلام أهلى فأرجو الحل..

هذا هو نصر الرسالة و يكفى ماعلقته عليها سابقا.. أما هذه الفتاة فأنى أنصح لها بمراجعة المحكمة الشرعية فلعل في يد الحاكم الشرعى مايحقق آمالها.

ليأخذ أولياء الفتيات الذين يمانعون في تزويج بناتهم عبرة مما يجيش في نفوسهم ومايلحقن من غبن وكرب واثر سىء.. من رفض تزويجهن..

وهذا هو نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الى محرر زاوية دنيا الناس.. الفتيات بأمراض يستعصى علاجها.. من غبن مايرون من رفض أوليائهن تزويجهن وقد تقضى هذه الأمراض على الفتيات وهن فى زهرة العمر.. وعمر الزهور.. يستعصى علاجهن لأن الدواء ليس فى يد الطبيب أو مخازن الأدوية ولكنه في أيدى أوليائهن القساة قصيرى النظر.

وبصرف النظر عن الغريزة التي أودعها الله تعالى في الانسان والتى يعتبر الحافظ على صيانتها ــ جهاد عظيم للنفس ــ اذ أن الحفاظ عليها احدى الأمور التي تستوجب أن يظل الله تعالى المحافظ عليها تحت ظل عرشه يوم لاظل الا ظله.. بصرف النظر عن هذه الغريزة الجامحة في الانسان.. فأن الفتاة تنظر الى ماوراء ذلك.. تنظر الى حياة سعيدة رافهة في منزل زوجها.. ومن حولها أبناء لها يكونون عدة المستقبل وسعادة الحاضر وزينة الحياة الدنيا.

أن أولياء أمور الفتيات .. مهما كانوا موسرين.. ومهما كانوا في بحبوحة من العيش الرغد، فأن كل ذلك لايعدل عند الفتاة أبدا.. ماتتطلع اليه من سعادة وهناء فى عش الزوجية.. وأن الفتاة ولو كانت تصبح وتمسى وفي

فهـا مـلعقـة مـن ذهب فأن ذلك لايساوى شيئا أمام الحياة الزوجية الهانئة لديها وأمام سعادة أنجاب الأطفال.

فـليـتـق الله أولـيـاء أمور الفتيات في فتياتهم (ولا تعضلوهن أن ينكحن أزوجـهـن اذا تـراضـوا بـينهـم بـالمعروف ذلك يوعظ به، من كان يؤمن بالله وباليوم الاخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

لـيـتـقـوا الله في فـتـيـاتهـم، فأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قد اوصانا خيراً على بناتنا وفتياتنا وحضنا على تزويجهن اذا جاءهم الكفوء.

مفاتن المدينة المنورة
غابتها وعاقولها
مناخها وازقتها

ألا ماأجمل ربيع المدينة المنورة، وماأعذب ماءها وابهى ثراها ومارق هواها وماأروع مرابعها، ومغانيها.

لقد اثارت زيارتي للمدينة المنورة ــ كعادتها دائما ــ شجونا وشؤونا ــ كانت دفينة في الخفايا مندسة في الزوايا، أثارتها مناظر المدينة الرائعة.. مسجدها الطاهر المطهر ثم مناخها وساحتها وقربانها ومقباها وعواليها.. أثارتها فاججت لواعج الشوق والحنين الى ربوعها ورباها، التي كانت مرتع الصبا والجمال، ومبعث الجلال والاكبار، ومجال حياتنا الندية، الطربة.. التي غرست حبها في القلوب فتغلغل في أرجائه وأصبح جزأ لايتجزأ من شعورنا وأحاسيسنا.. أسأله تعالى أن يمن علينا بالعودة الكريمة الى هذه الربوع الطاهرة لنلثم حصاها و يضمنا حشاها.

وقد ذكرتني هذه المجموعة من الخواطر والأحاسيس والمناظر المتجددة.. ذكرتني.. بالقصيدة التي نظمها أخي السيد/ على حافظ في الحنين الى المدينة.. ولحنها السيد/ حسين هاشم الذي وقف نفسه للاشادة بمديح الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم.. هذه أبيات من القصيدة:

سقاك الله ياتلك المغاني　　بطيبتنا فما احلى رباها

وباكرها النسيم بكل عطر　　يفوح شذى و ينمو في ثراها

نشرت في العدد ٥٥٣٤ في ٢٠ رجب سنة ١٤٠٣هـ.

فما أحلى المقيل بسفح سلع وفي وادى العقيق وفى قراها
وفي وادى قناة لنا رفاق كزهر الروض بلله نداها
وماتلك العيون سوى عيون بها تجرى بنفسى في فضاها
وكم لى بالمناخة من لقاء تالق بالاحبه في سماها
ولى فى الساحة الحمراء حديث طريف باسم غير الشفاها
خذونى للعوالى ثم عوجوا لقربان وماشهى قباها
فياشوقى لطيبة كل شبر يضىء بها و يرفل في سناها
و ياشوقى لطيبة كل نفس تود لو أنها نالت رضاها
و ياشوقى لطيبة كل قلب يطير لها ويخفق في لقاها
و ياشوقى لطيبة كل شخص يحن لها ويحرص ان يراها
و ياشوقى لطيبة زملونى بتربتها لأنعم في حشاها
دعونى ألثم الترب احتراما لما فى الترب من طهر تناهى
احن الى المدينة ان فيها محمد بالهدى والدين باها
نبى شق الاسلام نهجا وعبده واحكمه اتجاها
ودك معاقل الاصنام دكا ودمرها ودمر من بناها
وأعلا راية التوحيد حقا وثبتها وثبت من رعاها

ولقد تغيرت على ارجاء المدينة.. ومعظم ماكنت اراه من شوارع وازقه واحوشه.. قد اكلته الدركترات واصبح ساحات وميادين وخرجت المدينة الى ضواحيها.. العوالى وقربان وقباء والعيون والحرار الشرقيه والغربية ونزله

الجبور والجرف ووادى أبو جيده ووادى العقيق ووادى قناه كلها ارتفعت فيها العمارات الشاهقه، وازدحمت بالسكان وبحركه السيارات.

وقد تفضل على الاستاذ حسن الصيرفى صديق الوفاء ورفيق البناء.. فعندما زارنى في الفندق ولم يجدنى ترك بطاقه استهلها بقوله (الى رفيق البناء عثمان حافظ).. ولقد أطربنى هذا اللحن الجميل واعادنى الى السنين الخوالى.. ذكرتنى هذه الكلمة المليئة بالخيال والحقيقة.. ذكرتنى بسنى الكفاح والعناء والجهد.. ذكرتنى ايام كنت، واخى السيد/ على حافظ ننحت الجبال نحتا نبنى جريدة المدينة المنورة ومطبعة المدينة المنورة.. ولم تكن الطريق امامنا معبده بل كنا نسير على الشوك.. وكان الصديق حسن الصيرفى يبنى معنا هذا الصرح لبنه لبنه، وطوبه فوق طوبه.

وقد ذكرنى الصديق الصيرفى بأشياء طريفة كانت قد مرت بنا اثناء البناء، وقد نسيت بعضها، وكدت انسى البعض الاخر.. قال فيما قال:

ــ انسيت ياعثمان عندما سافرت إلى مكة من أجل خيط الدوبارة الذي خفى عليك موضعه اثناء تركيب المطبعة فسافرت من المدينة الى مكه على سيارة البريد (المهروكه) قبل تعبيد طريق المدينة ايام كان الطريق كله رمال وبطناج.. وكان توقف سير المطبعة على ذلك الخيط الدقيق.. وماصلحت المطبعة وتحركت الا بعد ان عدت الى المدينة ومعك سر تركيب ذلك الخيط.. ثم ذكرنى بحادثه اخرى فقال:

ــ فاكر ياعثمان يوم تعطلت مكنة الطباعة اثناء طبع الجريدة.. وذهبنا سويا فى غسق الليل (كعابى) يعنى مشيا على الاقدام.. واحضرنا المهندس شريف العيتان من محطة كهرباء المسجد النبوي بباب المجيدي، وقد سهر معنا الى أن اصلحها، وتعشى معنا ليلتها (شريك ومقليه).. قلت له اذكر ذلك واحمد الله تعالى ان لم يؤثر ذلك العطال على مواعيد اصدار الجريدة في وقتها بل صدرت في ميعادها كالمعتاد..

ذكريات وذكريات.. كلها في عمق حياتنا العملية الاولى في الماضى البعيد.. ماضى العمل والنضال في سبيل الحياه قبل حوالى نصف قرن من الزمان.

وقد رأينا ان تكون رحلتنا للمناطق التي غمرتها السيول اخيرا.. وقد تفضل بمرافقتنا الصديق العزيز الشيخ/ عبد الحميد مساعد رئيس بلدية الشرق وهو خبير بمناطق العيون، والغابه ولوالده مزارع وبساتين هناك بالعيون.

وقد إقترحت أن نبدأ زيارتنا بسد الغابة الحديث ورأيت تأخير مشوار الغابه الى الغد.. لما هو عالق بالذهن من متاعب الغابه وطريقها الوعر.. واذكر اننا عندما كنا ننوى زيارة الغابه.. لابد ان نخطط لهذه الزيارة ونتأهب لها، ونوقت وقت الزيارة توقيتا يتناسب مع الجو والطقس.. بحيث يكون الطقس كما وصفته الاعرابيه (لاحرولاقر ولاسامه).

ولقد زرنا الغابة ثلاث مرات.. في حياتنا الاولى.. الاولى كانت بقيادة السيد/حسن عمران حبوبى.. وكنا خططنا لهذه الزيارة ان تكون في فصل الربيع.. لاننا لانستطيع تحمل حرارة الصيف ولازمهرير الشتاء.. واذكر انه كان من بين استعدادنا لهذه الزيارة ان يكون معنا (ترامس) لحفظ الماء المبرد.. وماكنا نعرف الماء المبرد الا فى الشراب أو الازيار الفخار وماسمعنا ان القوارير يمكن ان تحفظ مبردا لفترة طويله.. وقد هيأ لنا هذه القوارير صاحب فكرتها السيد/ حسن عمران رحمه الله.

وشددنا المطايا لرحلة الغابة على حمر مستنفرة مع طلوع الشمس.. وقضينا مايقرب من نصف النهار حتى وصلنا أراضى الزبير بقرب الغابه.. وكان التعب قد أخذ منا مأخذه واضطررنا إلى الاستراحه حول بركه الزبير التاريخيه.. وكانت هذه البركه مخصصه ومخدومه خدمه قاومت الزمن وتحدت تقلبات الجو طيله الف وثلاثمائه عام منذ أرسى قواعدها الزبير بن العوام ولم نستطع التغلغل في الغابة خشية من سقوط الليل والضياع في متاهاتها.. وبعد

العصر توجهنا إلى قصر سعيد بن العاص الأثرى بوادي العقيق حيث كان مقررا مبيتنا هناك.

والمرة الثانية ــ كانت بقيادة الشيخ محماس بن دخيل وهو شقيق الشيخ عبد الله بن دخيل قائد منطقة المدينة في ذلك الحين ولهم مزارع ونخيل في تلك المناطق وعلى معرفه تامه بها وكان دليلنا في الرحله.. وكانت الرحلة على سيارة جيب (و يلز) ــ وقد انحشرنا حشرا في السيارة.. وكان من بين رفاقنا الاستاذ حسن الصيرفي.. و بعد وصولنا الى بركة الزبير.. طفق الشيخ محماس.. يشرح لنا سعة اراضى الزبير.. وماكانت تصدره من غلال ومزروعات الى الشام والعراق و يشير الى الفقر التى كان يجرى من تحتها ماء عين الزبير الذي، كان يصب في البركة.. واخذنا الى مسافة طو يله شرقى اراضى الزبير ليرينا خط سير العين ومنابع مائها ورأينا اثناء الرحلة مسيرة كثير من العيون وفقرها(١) ــ رأينا منابع الزهرة، والمدافعيه، والمفتيه، والظاهرية، والشنيبلية، والحازمية، والسكرانية، وغيرها من العيون التى نسيتها الان.. وكانت منطقه العيون جنه من جنان الارض ولكنها مع الاسف الشديد الآن كلها معطله ولم يبق من ذلك النخيل وتلك المزروعات الا من اهتم اصحابها بحفر ابار فيها وسقيها من الابار.. وكان بمنطقة العيون من النخيل والاشجار مايفوق مجموع المزارع بالجنوب.. قباء، وقربان، والعوالى..

والمرة الثالثة كانت مع الدكتور عبد الوهاب عزام سفيرا لمصر في السعودية.. وكان الدكتور عزام قد قرأ عن الغابة وصعوبة الوصول اليها وطلب من الامير عبدالله السديرى امير المدينة المنورة في ذلك الحين تسهيل وصوله اليها.. والامير السديرى كان على علم بمحاولتنا لاكتشاف الغابه وماصادفناه من متاعب ومعاناه فاختارنا لمرافقته ــ واذكر أن من بين من كان في هذه الرحلة أخى السيد/ على حافظ والسيد/مصطفى عطار والسيد اسعد طرابزونى، والسيد/ فهمي الحشانى، والسيد/ عبد القادر غوث وغيرهم ممن لست اذكرهم الان.. وقد ارسل معنا الامير خوى من طرفه ودليله من

أهل الديرة وزودنا بكل مانحتاجه للرحله.. وكانت الرحلة على سيارات مكندشة.. وسرنا في طريق وعره ملتويه ضيقه.. واعتقد انها كانت لاول مره تسير السيارات في هذه الاودية.. وبعد ان قطعنا حوالي ثلاثين كيلو مترا.. وقف بنا الدليل.. امام مجموعة كثيفه من الاشجار المتشابكه المكتظه التى تكاد تحجب عين الشمس وطلب منا ان نترك السيارات وان نتبعه في وسط الغابه، ولم نرى أى معالم بطريق الغابه.. وبعد ان دخلنا بين الاشجار قطع الدكتور عبد الوهاب عزام عده اغصان وكلما مشينا اربعه او خمس امتار غرس غصنا.. وبعد مسيرة حوالى نصف ساعه بين تلك الاشجار المتشابكه.. وكنا لانرى بعضنا لكثافة الاشجار.. ونتجمع من حين لاخر بالمناداه فاذا تجمعنا واطمأننا على بعض واصلنا المسيرة.. وخرجنا من كثافه الاشجار الى منطقة خضراء وحولها غدير من الماء يمشى في الارض ثم تبتلعه الغابه وينتهى ولاينقطع جريانه صيفا ولاشتاء.. وهذه البحيرات الصغيره يسمونها هناك (غيلا) بفتح فسكون.. وتناولنا طعام الغداء على حرف هذه البحيرة الجميلة والخضرة الرائعة والوجوه الحسنه.. ثم عدنا الى المدينة مع مغيب الشمس.. وكانت الاغصان التى غرسها الدكتور عزام خير دليل لنا اثناء عودتنا من الغابه.

والغابه هى مصب جميع السيول بالمدينة واوديتها.. يصب فيها وادي العقيق، ووادي بطحان، ووادي ابو جيده، ووادي قناه.. كل الاوديه والسيول تصب في الغابه.. ثم يتجه فائضها الى البحر ويضيع سدى هناك.

وهذا ماجعل الدولة تفكر في اقامة سد للغابة يحجز هذه المياه المتدفقه اليها من كل مكان والتى تصب في البحر وتخسرها البلاد وتضيع على العباد.

هذا والى حديث قادم ان شاء الله عن رحلة العاقول وازقه وشوارع المدينة.

** ذكريات مدرسة الصحراء في شريط الذكريات

كنت واخي السيد على حافظ في قهوة (حمدان) بالمسيجيد اثناء تفقدنا لمدرسة الصحراء.. بعد افتتاحها.. واقبل علينا طفل فى الثامنة أو التاسعة.. يقدم لنا صينية الشاهى ولمحنا من حديثه الذكاء والفطنة.. فسألته هل دخلت المدرسة؟ فقال ــ لا ــ وقلنا له لم لا تدخل المدرسة ــ فقال (اذا دخلت المدرسة (مين يؤكل أمي).. وسألناه ــ كم يعطيك حمدان كل يوم ــ فقال نصف ريال ــ وقلنا له اذا اعطيناك نصف الريال تدخل المدرسة.. فقال ــ (أشاور أمى) ــ هكذا كان حديثه (كلمة ورد غطاها).. ولكن نبرات صوته واجوبته كان سريعة وجريئة.. يتكلم بشجاعة تدل على الاعتزاز بالنفس والثقة.. مع صغر سنه.. وقلنا له شاور امك ورد علينا الجواب: غدا.

وجاءنا في اليوم الثانى الى قهوة حمدان ومعه أمه فقالت لنا أمه (ليش تبغوا تأخذون الولد) فقلنا لها مابدنا نأخذه ــ بدنا ندخله المدرسة في الصباح.. يتعلم القرآن والكتابة.. ونعطيه كل يوم نصف ريال.. ويعود اليك بعد الظهر.. ويطلع رجال يتعلم القراءة والكتابة.. فقالت (هاه هاه) خذوه مايخالف.. واتفقنا مع حمدان ان يدخل المدرسة صباحا ونعطيه ربع ريال.. ويعمل عنده فى القهوة بعد الظهر ويعطيه ربع ريال.. فوافق ودخل الصبى المدرسة.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/٩/٢٣هـ

* مخصص يومى للطلاب

ومن تلك اللحظة.. قررنا ان نعطى لكل طالب يعول والدته أو أحد اقربائه (ربع ريال) يوميا وكل طالب يعول أهله.. ثلاثة قروش.

ودخل الطالب المدرسة وأظن ان أسمه فهد الحربى.. ونبغ هذا الطالب ـ كما كنا نتوقع له.. وكان ممن اخترناه لبعثة السكة الحديد بالمنطقة الشرقية التى طلبها معالى وزير المالية في ذلك الوقت الشيخ عبد الله السليمان ـ رحمه الله.

وممن ابتعثته الشركة الى امريكا للتدريب على اعمال السكك الحديدية.

وعاد بعد عدة سنوات ذا شأن، نشطا عاملا مثقفا ثم رافق معالى الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية ـ رحمه الله ـ في رحلة للمدينة المنورة مترجما له مع بعض الخواجات بأطراف المدينة.. وقدمه لنا الوزير اثناء زيارتنا له في مخيمه بأطراف المدينة.. على أنه من طلاب مدرسة الصحراء وقد أثنى على أخلاقه وأخلاق زملائه ـ بعثة مدرسة الصحراء ـ للمنطقة الشرقية ـ للسكة الحديدية. وعرفنا وذكرنا بمجلسنا بقهوة حمدان وحديثنا معه ومع والدته.

وبعد دخول هذا الطالب للمدرسة.. وأعلامنا أننا سندفع ربع ريال للطالب الذي يعول أحد أقربائه.. وثلاث قروش للطالب الذي يول أهله.. بدأ الطلبة يدخلون المدرسة.. وأصبح يتزايد عددهم يوما بعد يوم.. وضاق صندوق المدرسة عن دفع مخصصات الطلاب..، ولم نستطع أن نتراجع.. عن قرارنا وبلغ ماكنا نصرفه على الطلبة ـ فقط ـ من ٤٥٠ ـ ٥٠٠ ريال شهريا.. والزيادة مستمرة كل شهر ولم يكن للمدرسة وارد يتحمل كل هذه المصاريف.. وكانت رواتب هيئة المدرسة ـ المدير والمدرس والمراقب والقروش المنصرفة.. تقارب مايصرف على الطلبة.. وارتفع مصروف المدرسة

شهريا الى حوالى الف ريال أو تزيد.. ومن أين.. التبرعات كان بالريالات وبعشرات الريالات.. اذا كثرت.

* عون جلالة الملك عبد العزيز للمدرسة

ورفعنا الأمر للمغفور له الملك عبد العزيز ــ وهو المعروف بحبه للتعليم والعلماء وانتشار ــ العلم ــ في بلاده.. شرحنا له امر المدرسة.. وقلنا له أن أنتساب الطلاب للمدرسة يتوقف على مساعدتهم في معيشتهم.. وطلبنا منه تخصص نصف ريال لكل طالب.. تشجيعا للعلم ولدخول الطلاب للمدرسة.. وكانت استجابة جلالته سريعة.. فلم يطل أنتظارنا.. وصدر أمر تغمده الله برحمته الواسعة على وزارة المالية بصرف نصف ريال لكل طالب من طلاب مدرسة الصحراء بالمسيجيد وهى أول مدرسة فى المملكة يتقاضى طلابها معونات من الحكومة.. وأول مدرسة تؤسس فى المملكة لتعليم أبناء البادية فى الصحراء... ولم يسبق أن فتحت مدرسة في البادية على هذا المستوى.

ومع الزمن تكاثر عدد طلاب المدرسة حتى ضاقت بطلابها.. وبعد ان كانت المدرسة تجرى وراء الطلاب تدعوهم للأنتساب الى المدرسة.. أصبحت ترفض قبول الطلبات للألتحاق بها.. وكثيرا ماكنا نتلقى بالمدينة خطابات من أولياء الطلبة يطلبون منا التوسط لدى الأستاذ.. سالم داغستانى ــ مدير المدرسة بدخول ابنائهم.. وكنا نعمل المستحيل ونهيء الفرص بعدم رد اى طلب لمن يرغب دخول المدرسة.. وكلما زاد فصل من الفصول عن العدد القانونى للفصل قسم الى فصلين أو ثلاثة أو أربعة فيكون فصل حرف (أ) وفصل حرف (ب) وفصل حرف (ج).

ولقد كانت المدرسة في ركن صغير من القهوة.. كانت في غرفتين عند افتتاحها.. فى المبنى الذي أقامته وزارة المالية بالمسيجيد ليكون كفندق راحة للحجاج وضيوف الحكومة.. ثم أجرته وزارة المالية على الشيخ محمد

بكر واستعمله قهوة وبعد أن أنتهت أجرته وأعطتنا وزارة المالية كامل المبنى ليكون مدرسة.

وذلك بمساعدة وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان.. ووكيل الوزارة الشيخ محمد سرور الصبان ــ رحمهما الله ــ

وقد ضاقت فصول المدرسة بالطلاب.. وأضطررنا الى عمارة دور ثان فى المبنى نفسه.. وسوف أذكر تفصيل طريقة بناء هذا الدور.. فالمدرسة كانت تلقى عونا وعطفا من الجميع من الدولة، ومن المواطنين، ومن الحجاج والزوار.

* المنهج الدراسى والاختبارات

وكنا نطبق منهج وزارة المعارف الابتدائى حرفيا.. وكانت المرحلة الابتدائية أربع سنوات.. وفي خلال سنتين أو ثلاث أمكن تشكيل الفصول الأربعة للمرحلة الابتدائية.. وفي السنة الثالثة قدمت المدرسة عددا من طلابها للاختبار النهائى للدراسة الابتدائية.. وكانت تشكل لجنة للأختبار من وزارة المعارف ويجرى الأختبار بالمسيجيد ــ بالمدرسة وكان النجاح دائما (ماية في الماية).

ثم رأت المديرية العامة للمعارف أن ينتقل الطلاب الذين يتقدمون لأختبار الشهادة الأبتدائية الى المدينة المنورة ليجرى اختبارهم ضمن من يختبرون للشهادة الأبتدائية في مدارس المدينة فنقلوا الى المدينة وأختبروا مع طلبة المدينة.. فكان نسبة نجاحهم ايضا ماية فى الماية.. ومعظم العشرة الاوائل من مدرسة الصحراء.

لقد كان الطلاب يعكفون على الدراسة والمذاكرة وليس لديهم مايلهيهم عن المذاكرة المستمرة والحصول على الدرجات الاولى.. وكنا نسمع دوى مذكراتهم في المسجد أيام الأختبارات مساء كدوى النحل.

وكـنـا نـعـد المدرسة لان يكون بها قسم أعدادي وثانوي وكنا نعمل على فـتـح عـدة مـدارس بالقرى المجاورة وقد اشترينا دار بالفريش لتكون مدرسة بها ولكن عجز صندوقها عن تحمل هذه الأقسام. وهذا التوسع اضطرنا لطلب الحاقها بالمعارف خشية توقفها.

* ابتعاث طلبة المدرسة للمنطقة الشرقية

كان معالى الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية ــ رحمه الله ــ يعطف عـلـى مـدرسـة الـصـحـراء كـثـيـرا.. ومـاكـان يمر من المسيجيد الا و يزورها و يـشـجـعـهـا أدبـيـا وماديا.. و يرى في طلبتها الطبائع العربية الأصيلة فكان مـعـجـبـا بـهـا و بنجاح طلابها.. وقد طلب أولا من المدرسة ابتعاث ١٥ طالبا للـمـدرسـة العسكرية.. والتحق بعضهم بالكلية الحربية، وموسيقى الجيش.. ثم طـلـب مـعـالـيـه رحـمـه الله ــ سبعة عشر طالبا الى المنطقة الشرقية للعمل بمحطة السكة الحديدية.

ونجحت بعثة السكة الحديد الاولى.. وطلبوا ارسال بعثة ثانية.. فانتدبت المدرسة بعثة ثانية من ١٦ طالبا واختارت الشركة من طلاب هاتين البعثتين عـددا أبـتـعـثـهم الى أمريكا للتدريب على مختلف أعمال السكة الحديدية.. ادارة المحطات، قـيـادة الـقـطـارات، الأعـمـال الحسابية.. وعاد أفراد البعثة فتسلموا مراكز كبيرة فى محطة السكة الحديدية.

و بـالـمـنـاسبة.. كنت حضرت حفلة وصول أول قطرة من قطورات السكة الحـديـديـة في شهر المحرم ١٣٧١هـ الى الرياض من المنطقة الشرقية.. وكنت مـرافـقـا لمـعـالـى وزير المالية الشيخ عبد الله السليمان منتدبا من جريدة ــ المـديـنـة المـنورة ــ لهذه المناسبة.. ثم لمرافقة معاليه للمنطقة الشرقية في زيارة لأرامـكـو.. وكـانـت البعثة الصحفية مكونة من الأساتذة عبدالله عريف عن الـبـلاد الـسـعـوديـة.. حمزة بـصـنـوى عـن الأذاعة.. محسن بابصيل عن «أم القرى».. عثمان حافظ عن جريدة المدينة المنورة.

وكان يرافق معالى الوزير معالى السيد حسن شربتلى والشيخ عبد الرحمن السبيعى رحمه الله والشيخ سراج زهران وكان سكرتيره الشيخ محمد باحارث وعبد الرحمن مؤمنة.

واقيم حفل افتتاح اول قطر يصل الى الرياض يرأسه جلالة الملك المغفور له الملك عبد العزيز نائبا عاما لجلالة الملك على الحجاز.. وكنت اجلس بالقرب من الشيخ عبد الله بن عدوان، وكان ممثلا لوزارة المالية بالمنطقة الشرقية لدى شركة أرامكو.. وقبل أن يصل القطار الى الرياض.. قال لى الشيخ عبد الله بن عدوان (و يش أبشرك ياعثمان) أن مدير محطة الرياض من مدرستكم – ومدير محطة الدمام من مدرستكم ومدير محطة حرض من مدرستكم وعددا من مديرى محطات السكة الحديدية من مدرستكم مدرسة الصحراء.. وسمع طرفا من الحديث الامير سعود رحمه الله فالتفت اليه وقال له(و يش تقول يابن عدوان).. قال اقول لعثمان ياطويل العمر ان مدير محطة الرياض ومديرى عدة محطات للسكة الحديد من مدرستهم فقال له: وكأنى اسمع نبرات الصوت الان – (ايه ايه – يابن عدوان علموا ابناء الوطن هذه الاعمال.. لا تتركوا الأعمال يتولاها الأجانب)

وأحتفظ بصورة لهذا الحفل.. وهذه الصورة نادرة أخذها المصور عبد الحميد بغدادي الذي أنتدبته شركة أرامكو.. لمرافقة معالى وزير المالية والوفد الصحفى السعودي الذي دعته شركة أرامكو لزيارة منشأة الشركة بالظهران وأذكر أننى كتبت عدة حلقات بوقته عن هذه الرحلة.

وقد احتفظت بهذه الصورة وأنشرها اليوم للتاريخ للذكرى... والى حلقة قادمة ان شاء الله.

ذكريات نصف قرن

ماأروع أن يعيش المرء مع ذكريات الماضى البعيد.. وماأجمل أن تكون أحداث تلك الذكريات وأشخاصها قائمة تنطق بالحوادث ــ وتغذى تلك الذكريات بما طوته الايام وذهبت به الليالى.

والذكريات التي لها جذور في تاريخ الانسان.. أو في تغيير مجرى حياته ــ لاتنسى أبدا حتى ولو كانت فى طفولته المبكرة.. ولذا قالوا ان الذكريات الحية.. هي عمر ثان للأنسان.

وقد يمر المرء بحادثة بسيطة، أو يسمع كلمة مؤثرة تثير لديه ذكريات عميقة الأثر ينعم بها ويعيش في جوها الممتع، وجمالها الرائع.

زرت المدينة ــ الحبيبة ــ في الأسبوع الماضى.. وعندما عدت مساء الى الفندق وجدت بطاقة صغيرة.. مربوطة بمفتاح الغرفة من الصديق الشاعر حسن صيرفى يقول «الى رفيق البناء عثمان حافظ وقفت طويلا أمام هذه الكلمة ــ قبل ان أتم قراءة الرسالة ــ وقفت أحداثه وقد أعادتنى هذه الكلمة (رفيق البناء) الى الوراء كثيرا ــ الى نصف قرن من الزمان.

ومر بى شريط.. ذكريات البناء عندما زاولنا مسؤوليات الحياة.. وعندما شعرنا بمسؤلياتنا، وواجباتنا.

وأول مامر بى من شريط ذكريات البناء ــ الارهاصات التي سبقت صدور جريدة المدينة المنورة.. وسبقت تأسيس مدرسة الصحراء بالمسيجيد.. وعندما كان يزورنا الأستاذ الصيرفى ــ الذي أثار هذه الذكريات ــ «فى

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/٧/٢٤هـ

مطبعة طيبة الفيحاء» التي كانت مندسة في دكان بباب الرحمة مساحته ٣ × ٣ متر.. وواجهة هذه الدكان ــ تقدر بنصف المساحة.. كانت للكتب والأدوات المدرسية.. وقد فصل بين المكتبة والمطبعة ــ دولاب كبير أشغل أكثر من عشر المساحة.. من يصدق هذا.. انها حقيقة تشبه الخيال.

واذكر الآن كلمة منه مانسيتها ولن انساها أذكرها ــ لأنها في صلب الموضوع كان يقول ــ متى ياعثمان تصدر هذه المطبعة جريدة المدينة ــ التي هى أمل المدينة ــ بل أمل الأدب في المملكة.. ونتجاذب أطراف الحديث.. ثم نخرج بعد العشاء نتمشى فى «القمارى» على هضبة باب العنبرية ــ الهضبة الغربية ــ وقد «نشمل» بتشديد الميم ــ الى ساحة باب الشامي ثم الى هضبة ثنية الوداع، وسفوح سلع.. الجبل الذي احتضن المدينة كما تحضن الام وليدها.. وقد يطول بنا المسير ــ اذا جد جد الحديث، وصفى الجو، وشع نور القمر فعم الجبال والوهاد ــ وأظل مواقع الأشجار.. فنتجه إلى طريق سيد الشهداء صوب جبل أُحد.. الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم إنه «جبل يحبنا ونحبه» هذا الجبل إذا سأل وتدفق المطر من شرايينه فإن جداول الماء بعد صفاء الجو وهى منحدرة من أعاليه إلى سفوحه وكأنها سبائك من الفضة المذابة.. تتعرج من أوردته، وشرايينه، ويتجمع الماء في حفر مختلفة الأحجام يسميها أهل المدينة(المهاريس) ويتسابق أهل المدينة للفسحة والقيلولة بعد هطول الأمطار، وسكونها ــ الى المهاريس ــ كى يشربون من مائها الزلال العذب، وليس احلى ولاأعذب ، ولاألذ من ذلك الماء النقى الصافي.

وكنا نقتل الوقت بحثا ونحن نسير فى تلك الشعاب وبين الأودية، والسفوح معظم أحاديثنا كانت عن الشعر والأدب والجريدة.. التي كانت مطمح أنظار أدباء المدينة.. ولم يكن البحث أكثر من أمانى واامال.. وهى كل مانملكه من وسائل أصدار الجريدة.

ورغم أنني كنت أزاول مهنة الطباعة على تلك المطبعة الصغيرة حجما

وأنتاجا.. الا أنني كنت أعيش في خيال ووهم ــ كنت أظن أن هذه المطبعة يمكن أن تصدر جريدة ــ اذا توفر لديها الحروف، والجداول، والتواضيب الكافية.

تذكرت تلك الليالي الحلوة.. ونحن في شرخ الشباب نتقد حماسا ونشاطا، ولانعرف المستحيل ــ وقد كنا نفكر بعواطفنا لابعقولنا عندما كنا نعمل للبناء ــ والعواطف هي التي تقود المرء للمغامرات، وارتكاب المصاعب ــ ولو كنا نفكر بعقولنا ونخطط ونتبع المثل السائر «قيس قبل الغطيس» لما خطونا خطوة واحدة لأن رأس مالنا في تأسيس الجريدة، أو المدرسة كان الأمل والرجاء فقط.. ثم الأيمان بالله والعزيمة الصادقة.

جريدة المدينة

وعندما يسر الله وتحقق أصدار جريدة المدينة المنورة اصدرتها انا واخي السيد علي حافظ بعد ان أعاننا الله تعالى على تأسيس مطبعة كبيرة لأصدارها «كنت سافرت خصيصا الى مصر لأحضار هذه المطبعة واجراء تجارب عليها لان المدينة لم يكن بها فنييون أو مهندسون للمطابع وكل ماكان فيها هو «مطبعة طيبة الفيحاء» التي كانت مخصصة للعناوين وبطاقات الدعوات.. وكنت العامل، والمهندس، والطابع، والناشر وكانت معلوماتي بفن الطباعة وهندستها على قدر حجم مطبعتنا وصندوقي حروفها، يعني ولاشيء.

ومنذ وصلت المطبعة وبدأنا في تركيبها ــ والاستاذ الصيرفي معنا يد بيد ــ لم يقصر في مساعدتنا، ومعونتنا بيده، وبفكره، وبكلمته المكتوبة والمسموعة، ويعتبر تاريخا واعيا لجريدة المدينة المنورة.

وعندما كنا نسهر الليالي الطوال في تصحيح الجريدة وطبعها، وتطبيقها، وتغليفها وكتابة العناوين عليها.. كان يعتبر الأستاذ الصيرفي رئيس الفرقة..

واذا مانضم الى أسرة المساعدين مساعد جديد.. كان يتولى تدريبه على العمل وكان يشرف على العمل ككل ... وماكنا نستطيع ان نقوم بتلك الأعمال لولا عون الأخوان ومساعدتهم.

ولم نكن بعيدين عن آل الصيرفى.. فقد كان والده العم مصطفى رحمه الله ـ يقول لنا نحن مع اخوالكم اقارب وأصهار ـ وسألنا جدتنا لأمنا السيدة «جدة» مرة عن العم مصطفى وقرابته لنا فقالت نعم أننا كنا وأياهم نسكن فى حارة واحدة بسيدى عقبى بالجزائر ونحن أقارب وأحباب معاهم من يومنا ـ فهم ـ اعنى آل الصيرفى ـ خيلان خيلانى.

* مدرسة الصحراء والصيرفى

ثم مر بى شريط ذكريات البناء مسرعا ـ فوجدت الأستاذ حسن الصيرفى معنا فى بناء مدرسة الصحراء بالمسيجيد.

كنا «نطلع» أنا وأخى السيد على حافظ أسبوعيا الى المسيجيد أيام تأسيس مدرسة الصحراء على ظهور سيارات الحمل، وتمتلىء عيوننا، وأنوفنا، وأذاننا من التراب المتصاعد من عجلات السيارات ـ ولا توجد أيامها سيارات صغير لحمايتنا من التراب ـ واذا وجدت فأين نحن منها وكنا نضحى بكل شيء حتى بصحتنا فى سبيل بناء المدرسة «ومن يطلب الحسناء لم يغلها المهرا».

وكان بعض الأصدقاء والأخوان يرافقوننا فى رحلاتنا الى المسيجيد وفى طليعتهم الأستاذ الصيرفى كان يرافقنا في معظم تلك الرحلات.. و يتحمل معنا المتاعب والمشاق.

* هضبة العنبرية

ولقد لحت.. بعد أجتيازنا باب العنبرية لحت الباب الحديدي الذي كنا

نخرج منه «لهضبة العنبرية» ــ الهضبة الغربية وكانت هذه الهضبة هى العش الحنون الذي كان يجمعنا في كل يوم عصرا.. فهى محل نزهتنا، ومتنفسنا بعد عناء العمل اليومى واذكر من الاخوان الذين كانت تجمعنا بهم هذه الهضبة السادة مع حفظ الألقاب محمد حسين زيدان، عزيز ضياء، السيد عبد القادر غوث، اسعد طرابزونى، صلاح الدين عبد الجواد، السيديس طه، بهاء الدين خاشقجى، ثم السيد مصطفى العطار، فهمى الحشانى، عبد العزيز برى، حسن خاشقجى، أنور بصراوى، عبد الحميد عنبر، السيد ناصر غوث ــ رحم الله من انتقل منهم الى الدار الآخر ــ وامد فى حياة الموجودين معنا.

وكنا أنا وأخى السيد على حافظ من المواظبين على أرتياد هذه الهضبة.
وقد جرنى الحنين الى زيارة هذه الهضبة وعرضت الأمر على الاستاذ الصيرفى فقال «هضبة ايه».. «الله يرحم الهضبة الغربية» لقد تحولت الى منطقة سكنية وأصبحت شوارع ضيقة، وبيوتا صغيرة.

وأخذنى الأستاذ الصيرفى عصرا ليرينى ماجد من شوارع وعمران بالمدينة المنورة وبدأنا مشورانا من الحرة الشرقية.

وكان عهدى بها حرار سوداء لا تصلح للجلوس عليها لمافيها من نتؤات طالعة ونازلة وقالوا انها من بقايا بركان نار فى تلك المنطقة قبل عشرات القرون.. وماكنا نستطيع السير في معظم انحائها لوعورة مسالكها وماكنا نراها الا اذا كنا فى طريقنا «للعريض» أو أحد البساتين التي تقع بأطراف هذه الحرة وكان بهذه الحرة أراضى صالحة للزراعة يزرعها أهل المدينة حبوبا فى مواسم الزراعة فقط.

ولقد تحولت هذه الحرة التي كان يستوحش فيها «الغراب» تحولت الى شوارع مسفلته وأسواق لمختلف الحاجيات ومعارض، ومحطات للبنزين، ومدارس ومعاهد للعمل ورأينا الطلاب وهم يخرجون من مدارسهم ويغطون الشوارع وكأنهم خارجون من صلاة الجمعة في تزاحمهم ووجدت الشوارع

مملؤوة باعمدة الكهرباء، واعمدة اسلاك التليفون وبعد ان كانت حرة قاحلة سوداء ترتفع أطراف الحجارة فيها كالمسامير ــ اصبحت مدينة ذات شوارع أسفلتية مضاءة.. وميادين، وجناين، وملاعب للاطفال، وأرتفعت أسعار الأراضى فيها الى مئات الألوف وسبحان من يغير ولايتغير.

وخرجنا من هذه المدينة ــ التي مازالو يسمونها بالحرة الشرقية الى شوارع فسيحة مسفلتة منسقة الى شارع العوالى وشارع قربان وقباء ــ وقد كنت أعرفها شوارع ترابية ضيقة ملتوية وبعضها لايزيد على مترين أو متر ونصف عرضا ــ وماكنا نرتادها الا بالعربيات ــ وطبعا ــ العربيات «الكرو» ومعظم تلك الشوارع ماكانت تصلح لحركة السيارات لضيقها.. وتكاشف والتراب الناعم الذي تثيره اى حركة فيها.

وقد أمتلأت هذه الشوارع بالعمارات الضخمة وأضيئت بالكهرباء وألتحم البنيان وتكاد تصبح تلك المنطقة التى كانت تسمى بالعالية والتى تجمع هذه القرى الجنوبية تكاد تكون محله سكنية واحدة وأجمل ماسرنى أن رأيت مستشفى هناك بالعوالى اسمه «الدكتور بادي بن بادي» ووالد الدكتور بادي من كبار مشايخ العوالى ومن أصدقاءنا وهو كريم النفس وله بلاد بالعوالى ممتازة (مزرعة) وقد وضع خارج البلاد بركه يصب فيها الماء ليلا ونهارا يستقى منها سكان تلك المحلة.. وكلما مررنا من تلك المنطقة ورأينا هذه البركه ذكرنا بالشيخ بادي صاحب المزرعة بخير.

وانتقلنا من ميدان قباء الى الشارع الحديث التي أنشأته البلدية مؤخرا والذي يمتد من ميدان قباء الى ذى الحليفة ميقات أهل المدينة فى شارع عريض متسع مسفلت وأظن عرضه يزيد على ستين مترا ــ وهو ذو خطين ذهاباً واياب وقد أوشك أن ينتهى العمل منه ومازالت الدركترات تعمل في تمهيده ممايلى ذى الحليفة وسوف يخفف هذا الشارع الضغط عن مدخل المدينة من شارع العنبرية وربما كان أعظم شارع في المدينة المنورة.

وأنتقلنا من الأحساء الى شارع المؤدى الى سلطانه.. وقد قامت فى تلك

المنطقة الغربية شوارع عظيمة مسفلته وقام عمران كبير حول مسيل وادي العقيق وأتسعت مبانى الجامعة الأسلامية أتساعا كبيرا وأصبحت تلك المنطقة منطقة سكنية ومعظم البساتين التي في تلك المنطقة تحولت الى أراضى سكنية، وأزيل مابها من أشجار ونخيل ومزروعات وخططت الى مربعات لتقام عليها فلل وعمارات سكنية وأقيم في تلك المنطقة فندق من اعظم فنادق المدينة لولا بعده عن المسجد النبوي الشريف.

* الحرة الغربية

وأنحدرنا من تلك المنطقة الى مسجد القبلتين وكان عهدى بهذا المسجد أنه يقع على حرة مرتفعة وليس حوله الا بعض بيوت من اللبن يسكنها بعض رجال البادية ووجدت المسجد بين مبانى مختلفة الأشكال والألوان ومشينا فى شارع ضيق اشبه بأزقة المدينة الضيقة بداخل المدينة أيام زمان ــ ودخلنا فى منعطفات ملتوية ومتعرجة واذا نحن أمام البوابة الحديدية التي أعتدنا أن ندخل منها الى الهضبة.

ولا أدرى كيف سمحت البلدية بالبناء بهذا الشكل دون تخطيط أو تنظيم ولكنى علمت أن ــ المجاورين لتلك المحلة ــ قد وضعوا اليد على أنحاء تلك المنطقة ثم قام فيها العمران كيفما اتفق والأولى تخطيطها وتنظيمها وتنسيقها لأنها أقيمت تحديثا فيما أظن والتخطيط والتنظيم أصبح من ضروريات الحياة هذا.. والى حلقة اخرى عن تلك المناطق وانتشار العمران فيها.. فهى تحتاج الى لفتة نظر المسؤولين لتنظيم المبانى والشوارع فيها.



** ١٥ يوما في ربوع المدينة المنورة تثير ذكريات ثلاثين عاما مضت

خمسة عشر يواما قضيتها في ربوع المدينة المنورة.. من شهر رمضان المبارك.. أريد التحدث عنها.. ولكنى لاأدرى من أين أبدأ حديثى؟

فقد ازدحمت في ذهنى الذكريات.. واضطربت أمامى الأفكار.. وتغير على كل شيء بالمدينة.. فلم أعد أعرف طرقاتها، وأسواقها، وشوارعها.. وأنا الذي ربيت فيها.. وقضيت طفولتى وشبابى، وشيخوختى بها.. قضيته بين حواريها، وأزقتها، واحوشها ربيع العمر وخريفه وشتاه.

المدينة.. التي كانت قبل السيارات.. ملتفة حول مسجدها المطهر، انتقلبت اليوم.. الى ماكنا نسميه بالقرى.. انتقلت ــ الى قباء، وقربان، والعوالى، والعيون، والمساجد، والحرة الشرقية.. والحرة الغربية.. كل هذه الأماكن ــ كان بعضها بساتين ومزارع وارفة الظلال.. وبعضها حرار وصخور جرداء.. تحولت الى قصور شاهقة.. والى طرق أسفلتية والى ميادين واسعة.. تضيء جوانبها الثريات الكهربائية وتسقيها صنابر الماء..

حتى مجرى وادى (أبى جيدة) ــ الذي اذا أمطرت مراويه ــ هدر وزمجر.. وملاء الشعاب والوهاد ــ حتى مجرى السيل ــ سفلتت قاعاته ــ وأقيمت على جوانبه القصور والمحلات التجارية.

ولاأدرى كيف يكون الحال اذا جاء هذا السيل (غاويا) وأهل المدينة يسمون سيل أى جيدة بالسيل الغاوى ــ اذا جاء قويا وغمر الأزقة والأحوشة التى حوله.. والميادين التي بجوانبه.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٧/١٠/١٦هـ

لاأدرى؟ من أين أبدأ حديثى ـــ بعد هذه التغيرات الكثيرة التى طرأت على المدينة ـــ ولكنى سوف أبدأ حديثى بالمسجد النبوي الشريف الذي وجدت فيه من المفارقان مالم أكن أعهده قبل..

* الزحام بالمسجد

ولا أريد أن أتحدث عن الزحام الشديد بالمسجد: فى أوقات الصلاة المكتوبة.. فهذا الزحام وأن كان يفوق الوصف ـــ الا أنه قد يبدو طبيعيا.. لأن الزوار للمدينة.. يتضاعفون شهرا بعد شهر.. وسنة بعد سنة.. لسهولة المواصلات، وتنوعها وتيسيرها ـــ وكل من قصد (المحبوبة) أول مايقصد ـــ مسجدها الشريف.. للصلاة فيه.. والصلاة والسلام على الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم.. ويقول الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى ياايها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

ولقد ضاق المسجد بزواره.. رغم التوسعة السعودية الأخيرة التي ضاعفت من مساحته تقريبا ـــ ورغم الأماكن الكبيرة التى ازيلت تمهيدا لتوسعته.. ورغم اقامة مظلات فى الجهة الغربية بمساحات واسعة ـــ ليصلى فيها الناس.. رغم هذا كله.. فأن المسجد أصبح لايتسع لزواره.. والشخص الذي لايأت المسجد قبل ثلاثين أو عشرين دقيقة.. قبل الصلاة والأذان.. فأنه لايجد مكانا للصلاة فيه.. وكثيرا ماكنا نصلى الصلاة المكتوبة خارج المسجد اذا وصلنا مع الأذان.. لأننا نجد صفوف المصلين.. قد أمتدت من أبواب المسجد الى وسط الشارع.. أما صلاة الجمعة فحدث عنها ولاحرج.. فالناس يصلون.. من شدة الزحام ـــ فى حصبة المسجد ـــ تحت قرص الشمس ولايبالون.

* التوسعة الجديدة

وأن ماجرى من هدميات في الجهة الغربية وغيرها بأطراف المسجد النبوي ـــ يدل على مبلغ الأهتمام الكبير من الدولة.. بأجراء توسعة

جديدة.. للمسجد النبوي.. وتوسعة هذا المسجد المطهر.. هى سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ــ وسنة خلفائه الراشدين من بعده.

أقول.. أن هذا الزحام الشديد بالمسجد النبوي.. قد يكون طبيعيا.. ولكن الأمور الغير طبيعية ــ بالمرة ــ هى

* النوم بالمسجد

هى ــ أن يتحول المسجد النبوي ــ الى فندق كبير للنوم ــ سيا بعد صلاة الظهر.. فتجد الناس نياما متراصين.. كأنهم خشب مسنده.. وقد يتعذر لمن تخلف بالمسجد قليلا ــ للقراءة جزء من القرآن المجيد.. أو لأى شيء آخر الخروج من المسجد ــ لتلاصق أجسام النائمين وجميع هؤلاء الذين ينامون بالمسجد من الأغراب.

* الطعام بالمسجد

أما قبيل المغرب في رمضان فأن المسجد يتحول الى مطعم كبير.. فتجد حلقات الموائد منتشرة فى جميع أنحاء المسجد.. وقد مدت عليها أطباق الفواكه.. والشريك، ودوارق الماء، والشاى.. والقهوة.. وقد يتخللها بعض المقليات والأرز.. عند من لايهمهم الا بطونهم.. أو عند من يسكنون المسجد النبوي من الذين لامأوى لهم غير المسجد وفي الفترة القصيرة.. بين الآذان والأقامة.. فأنهم لايستطيعون جمع فضلات الطعام والشراب.. وتنظيف الأماكن التى يشغلونها بطعامهم وشرابهم.. وكثيرا مايبقى أشياء وأشياء.. من فضلات الطعام والمياه.. فتحدث أثرا سيئا وتلويثا بالمسجد.

* أطراف المسجد

أما أطراف المسجد النبوي.. فقد تحدثت عنه جريدة المدينة في ١٦ رمضان بما لامزيد عليه. ودعمته بالصور ــ عما يحدث من القائمين فيه من الأغراب من تلويث، وطبخ بقرب السيارات، وتجمعات هنا وهناك..

وماتتركه مخلفاتهم من أوساخ وقاذورات.. ثم عدم وجود أى رقابة عليهم.. لا من الأوقاف.. ولا من البلدية، ولا من الدفاع المدنى.. ولا من وزارة الصحة.. وكل هذه المصالح تتصل مسئولياتها.. بما تحدثه هذه التجمعات.. من أوساخ وقاذورات.. قد تضر بالصحة ضررا بالغا.. ومن اشعال نيران أما بالحطب أو بالغاز.. مما قد يسبب حرائق تكون ضحيتها أموال الناس.. وقد تلحق نفوسهم.

* ضرورة أسكانهم

وهؤلاء الأغراب ـ الذين يشغلون المسجد وأطراف المسجد بنومهم وإقامتهم وطعامهم ـ ويخلفون فضلاتهم وأوساخهم.. هؤلاء الأغراب.. أما أن يكونوا عمالا فيجب على المؤسسات التي تستقدمهم أن تكفل لهم أماكن لراحتهم ونومهم وقضاء حوائجهم.. وأما أن يكونوا زوارا أو حجاجا.. فيجب على أولائهم أن يهيئوا لهم أماكن سكنهم وإقامتهم ـ ويجب أن يكونوا قادرين على دفع أجور سكنهم.. والله تعالى.. لم يفرض الحج الا على من استطاع اليه سبيلا..

* قسوة الجنود بالمسجد

وهناك ارتفع أمر آخر.. ماكنت أحب أن أتحدث عنه ـ لولا مشاهدته مما أزعجنى وضايقنى.. وهو.. القسوة والشدة التي يعامل بها بعض الجنود الذين وكل اليهم ارشاد الزوار الى ما يجب أن يكونوا عليه أثناء الزيارة.

لقد شاهدت امرأتان كانتا متجهتين الى المواجهة للزيارة.. وقد منعهما جندى من التوجه للمواجهة ـ وقال لهما ممنوع الزيارة ـ فقالت إحداهن ـ بأسلوبها المبسط ـ أننى قدمت اليوم من الطائف ـ وقصدى أعود بعد الزيارة الى الطائف ـ لأننى تركت أولادي وحدهم ـ فرد عليها الجندي ـ بعنف ـ يقول لها أسكتى ولا كلمة ممنوعة الآن يعنى ممنوعة.. ودفعها

دفعا بكلتا يديه.. الى مقر النساء.. وقد ارتفع صوتها فى طلب الزيارة.. وارتفع صوته في منعها.. وتجمع الناس حولهم..

وكنت أفضل ان يقول الجندي لهم ــ فى رفق ــ ان هذا الوقت للصلاة ــ ولا تستطيعان الزيارة مع زحمة الرجال ويمكنكم أن تأتوا للزيارة بعد الصلاة بنصف ساعة أو أكثر أو أقل ــ حسب مالديه من تعليمات.

ولو فعل الجندى ذلك لتفادى الضوضاء التى حصلت أثناء منعهن ولقنعا بالكلمة الطيبة.. وحبذا لو أختير الجنود الذين يرشدون الأغراب بالمسجد النبوي من الجنود الهادئين ــ الذين يحسنون أقناع الناس بالكلمة الطيبة ويدعون الى الله بالحكمة.. والموعظة الحسنة.. وقديما قالوا.. من أراد أن يأمر بالمعروف ــ فليكن أمره بمعروف، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك.

وعلى العموم ــ فإن المسجد ــ مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ــ يحتاج الى المزيد من الاهتمام والعناية.. ويحتاج الى رقابة مستمرة.. وكما يبدو ــ أن الرقابة فيه غير كافية.. والمسجد النبوي الشريف ــ والمسجد الحرام ــ هما أكبر مساجد المسلمين فى العالم ــ ويؤمهما في كل عام الحجاج والزوار من كل أنحاء الدنيا ــ فهما فى أمس الحاجة الى رقابة وصيانة مستمرة وعلى مستوى عال.

واذا سمح لى بابداء الرأى ــ فأنى أرى أن تسند ادارتها الى مسؤول كبير في الدولة يشرف على نظافتها وتنظيم وتنسيق جميع شؤونها.. وحبذا لو اختصا بالدراسات العليا للشئون الاسلامية واللغة العربية ــ ولغة القرآن ليعيدا سيرتها الأولى ــ فقد كانا مصدرا لتعليم الشريعة الأسلامية والدين الحنيف.

هذا مجرد رأى ــ ومجرد ذكرى ــ أطرحها للمناقشة وولاة الأمور أدرى بما يجب نحوها.. والذكرى تنفع المؤمنين.

* العشرة الأواخر

ولأريد أن أطرح مكانى هذا.. دون أن أتحدث عن الفترة الروحية العظيمة.. في العشر الأواخر من رمضان.. فقد كانت هذه الفترة عامرة بالعبادة ــ والألتجاء الى الله تعالى.. بطلب العفو والغفران والتوبة النصوحة..وكان الناس يتسابقون الى المسجد النبوي ليعمروا معظم الليل بالعبادة.. ويقومون بالعبادة وبالصلاة والتهجد الى قبيل الفجر بحوالى ساعتين فقط..

ويوم التاسع والعشرين من شهر رمضان ــ هو اليوم المشهود.. يختم الأمام القرآن المجيد بعد صلاة التراويح.. وبعد صلاة التهجد.

وفي كل سنة يقوم فضيلة الرجل الصالح الذي له من اسمه نصيب الشيخ عبد العزيز بن صالح أمام وخطيب المسجد النبوي ورئيس المحكمة الكبرى والدوائر الشرعية بالمدينة المنورة فى آخر ركعة من صلاة التراويح وصلاة التهجد ــ بالدعاء والاستغفار ــ للعلى القدير ــ دعاء من القلب بخشوع ورهبة.. ينفذ الى اعماق القلوب.. ويتجاوب معه المصلون بالتأمين على الدعاء وبأصوات تجهش بالبكاء والتضرع الى الواحد الأحد الفرد الصمد.. ويدوى في أرجاء المسجد مايثيره وهذا الدعاء من تضرع وبكاء وانابة الى الله ويتهدج صوت الأمام بالبكاء وتتجاوب معه أصوات المصلين بالتأمين والبكاء وترج أرجاء المسجد هذه الأصوات المرتفعة الى العلى القدير.

يالها من ساعة عظيمة يتجلى فيها رب السموات والأرض على عباده فى هذا اليوم العظيم.. وفى هذا المكان العظيم وفى هذه الساعة المباركة.. انها ساعة روحية عظيمة من ساعات العمر نسأله تعالى العفو والقبول أن يغفر لنا الذنوب جميعا أنه هو التواب الرحيم.

** عطف الدولة يتطلع اليه اصحاب الدور

عندما قدرت لجنة تقدير العقار بالمدينة المنورة الدور القريبة من المسجد النبوي الشريف في تقديرها الثانى لم تراعى أثناء تقديرها الدور المشتركة لأكثر من شخص واحد وكان كثير من الدور يملك الطابق الأرضي شخص بينما يملك الطابق العلوي شخص آخر وكانت اللجنة قدرت المبنى ككل دون أن تخصص لكل طابق قيمته وقد حصلت شكله بين الملاك للدار الواحدة التى يملكها أكثر من شخص وبعد أن رفع الأمر لولاة الأمور فصدر الأمر الكريم بأعادة تقدير الدور المشتركة التي يملكها أكثر من شخص حسب أسعار اليوم وتعيين مايخص كل مالك في الدار المشتركة وقد جرى التقدير حسب اقيامها في الوقت الحاضر وعين لكل شخص استحقاقه وبهذا انتهت المشكلة وأخذ كل ذي حق حقه كاملا غير منقوص وظهر بعد هذا التقدير الأخير مشكلة أخرى وهى أن الدور المجاورة لتلك الدور التى اعيد تقديرها ظهر أن اقيامها ضعيفة جدا بالنسبة للدور التى أعيد تقديرها مع أن جميع تلك الدور المشتركة وغير المشتركة متقاربة واقيامها متقاربة وهؤلاء وأولئك كلهم يريدون أن يستبدلوا بدلها دورا أخرى تأويهم وتأوى أبناءهم وقد أصبحت قيمة الدار التي أعيد تقديرها حوالى ضعف قيمة الدور التي لم تقدر وكان تقديرها من قبل وقد تضرر أصحاب الدور التي لم يجر تقديرها مع التقديرات الأخيرة التى قدرت تقدير مناسبا بأسعار اليوم وقدر راجع الملاك أصحاب الدور التي لم يشملها التقدير الثانى مالية المدينة المنورة طالبين مساواتهم بجيرانهم في التقدير لأن أسعار الأراضى وأسعار المبانى وأسعار المواد الغذائية واليد العاملة كلها ارتفعت عن ذى قبل ولكن المالية مقيدة بما لديها من أوامر وتعليمات لا تستطيع تجاوزها وأنا واثق أن ولاة

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٧/٩/٢٥هـ

الأمور يهمهم جدا الا يتضرر أحد من الرعية وأن يصل كل فرد الى حقه وزائدا غير منقوص والدولة لم تأل جهدا فى اسعاد أبناء شعبها وأزالة كل ماينالهم من ضرر وحيف وهي تعين شعبها بمختلف المعونات تعين المواد الغذائية وغير الغذائية أعانات مجزية للدور القريبة من المسجد النبوي الشريف وتبين للدولة أنهم يستحقون الزيادة صدر الأمر الكريم باعطاء جميع أصحاب الدور في التقدير الأول ٣٠٪ عما قدر لهم وعندما تظلم أصحاب الدور المشتركة ورفع الأمر لولاة الأمر طالبين أعادة التقدير حسب الوقت الحاضر وتعيين مايخص كل شخص في الدار المشتركة صدر الأمر الكريم أيضا باعادة التقدير وتعيين استحقاق كل مالك في الدار المشتركة وهو أمر بالغ الاهمية يدل فيما يدل على مقدار عطف الدولة على الرعية تمشيا مع القول المأثور كل راع مسؤل عن رعيته فالدولة دائما تراعى مصالح رعاياها واسعادهم وازدهار حياتهم والأن بقيت هذه المشكلة وهي المساكن غير المشتركة التى لم يشملها التقدير الثانى وظهر أنها بالنسبة لما قدر للدار المشتركة قليلة جدا وأهلها معظمهم ضعفاء ومهما اعطوا قيمة لها فهم لايمكن أن يتعوضوا أماكنهم بحال أولا لأن أماكنهم كانت قريبة من المسجد النبوي الشريف وهذه الميزة لايمكن بحال تعويضها لعدم وجود أماكن هناك واذا وجدت فأسعارها خيالية لا تطاق.

ثانيا: لأن المبالغ التي قدرت بها منازلهم لا تكفى لتأمين مثلها ولو فى الحرة وهذه ويمكن للدولة أن تؤمنها لهم بأعادة التقدير على أن الدور الباقية والتي لم يشملها التقدير الأخير نسبتها قليلة جدا بنسبة ماقدر اذ تبلغ حوالى ٣٠٪ بينما الدور التي جرت تقديرها مجددا وصرفت اقيامها تمثل حوالى ٧٠٪ واصحابها الأن ينتظرون عطف ولاة الأمور عليهم بمساواتهم زملائهم اما زيادة ٣٠٪ كما جرت في التقدير الأول وأما باعادة التقدير كما جرى في التقدير للثانى للمساكن المشتركة والأمل عظيم في جلالة الملك الصالح خالد بن عبد العزيز وسمو ولى عهده الأمين الأمير فهد بن عبد العزيز الا يحرموا من العطف السامى وأن يتساووا بأخوانهم وجيرانهم وأن الله تعالى ولى التوفيق وهو الهادي الى سواء السبيل.

** اسأل مجرب ولا تنس الطبيب

تحدثت في كلمتى السابقة عن المسجد النبوي الشريف والدور التى احترقت حواليه ــ وأعود الآن للحديث عن طريق المدينة ــ كما وعدت في تلك الكلمة..

* طريق المدينة

عندما أردت السفر الى المدينة المنورة.. نصحنى بعض أخوانى الا أسافر ليلا.. لخطورة السفر فى الليل.

الطريق مفرد، وضيق ــ والمنطقة التى بين محطة بدر والمدينة المنورة.. أكثرها ملفات ــ ومنحنيات.. والشاحنات الكبيرة، والويتات ــ ترتاد الطريق في كل وقت ــ وسائقو السيارات ــ الضخمة ــ يرفعون النور العالى بدون أى مبالاة أو رحمة بالناس فيربكون السير ــ ويضاعفون من مشاكل الطريق.. واذا أضفنا الى ذلك السرعة الجنونية ــ لمعظم السيارات التكاسى وغير التكاسى فأن الخطر سيكون محققا.

وأنا أنصح المسافرين فى هذا الطريق ــ سيما أصحاب العوائل ــ الا يسافروا الا نهارا (وأسأل مجرب ولا تسأل الطبيب).

ولقد سافرت نهارا.. وفى أيام ليست من أيام الاجازات الأسبوعية.. فكان الطريق مملؤا بالسيارات الكبيرة والصغيرة.. الذاهبة والعائدة ــ وقلت لرفيقى ونحن نسير في الطريق: هذا الزحام ولسنا في مواسم الحج أو الزيارة ــ فكيف يكون الحال فى المواسم.. وفى شهر رمضان الموسم الروحى..

نشرت في جريدة المدينة في ١٩/٤/١٣٩٨هـ

وكل شيء يتضاعف سيارات الحجاج الضخمة الكبيرة، والويتات والشاحنات والسيارات الصغيرة والكبيرة والتكاسى.. كلها تتضاعف باعداد كبيرة.. واذا ماسرت ليلا وجدت أنوار السيارات المقبلة وكأنها سلسلة من الأضواء ممتدة على الخط.. يضاف الى ذلك جنون السرعة.. وكشح الأنوار العالية.. وعند ذلك تكثر الحوادث ــ وتزهق الأرواح البرئية.

ولقد رأينا على الخط ــ أعداد كثيرة من السيارات المحطمة على جانبى الطريق ومعظمها من السيارات الصفراء (التكاسى) ومعظم الحوادث من السرعة الجنونية.. ومن عدم مراعاة تعليمات المرور وأنظمته... و يعلم الله كم من الأرواح ذهبت مع هذه السيارات المعجنة والملقاة هنا وهناك.

وهؤلاء الذين يسرعون ليكسبوا الوقت.. أو ليكسبوا (السرى.. قد يضيعون ماهو أثمن من الوقت.. قد يضيعون حياتهم ــ وحياة من معهم من الأهل أو الركاب.

ونحن هنا ــ تنقصنا التوعية المرورية.. فتى نعى آداب السير وآداب الوقوف؟..متى نعى أن من الواجب مراعاة وأتباع أنظمة المرور وتعليمات المرور.. التي وضعت من أجلنا ومن أجل سلامتنا متى نعى؟؟ أننا أن خالفنا هذه التعليمات فسوف ندفع الثمن غاليا وقد يكون الثمن أرواحنا أو أرواح اسرنا ومن معنا.

لقد رأيت ــ والله فى طريقى للمدينة ــ أكثر من سيارة تجتاز السيارات التى أمامها ــ دون ملاحظة السيارات المقبلة من الأمام وقد حدث معنا شخصيا ولولا أننا كنا نخفف السرعة لدرجة الوقوف لوقعنا فى كارثة لايعلم الا الله تعالى نتائجها.. والحافظ هو الله تعالى.

ولقد سرنى أن رأيت عناية المرور.. بتسير سيارات مرورية فى طريق المدينة.. ترشد السيارات وتوجههم لما يجب أن يكونوا عليه من السرعة.. ومن النظام والأعتدال فى تخطى السيارات.. ولاشك أن لهذه السيارات

المرورية نفع كبير وفائدة عظيمة في الحفاظ على سلامة السير. حبذا لو كانت هذه السيارات بأعداد أكثر.. أو كان جانبها (موتوسيكلات) يجوبون الطريق من حين لآخر.. لأن السائقين لايلبثون أن يعودوا الى سيرتهم الأولى من السرعة الجنونية وتخطى السيارات بدون مبالاة وارتكاب المخالفات المرورية اذا غابت سيارات المرور عن وجوههم.

وعلاج دفع أخطار هذا الطريق أن يكون طريق المدينة جده ــ مزدوجا وقد يكون هو أولى بالعناية والأزدواج من خط الخواجات الذي يربط أبار على بتبوك الذي قال عنه معالى وزير المواصلات فى جريدة المدينة المنورة أن الوزراة تجرى دراسات لجعله مزدوجا.

وأذكر ــ الآن ــ أن دراسات مسبقة جرت لجعل خط المدينة جده مزدوجا.. وأن الصحف المحلية قد نشرت هذا.. ولاندرى اين وصلت تلك الدراسات.. وحركة السير فى هذا الطريق فى الزيادة يوما بعد يوم.

أرجوا أن تهتم وزارة المواصلات بهذا الخط.. فهو لايقل فى الأهمية عن خط جده ــ مكة ــ.. سيما أيام المواسم والأعياد.



** حديث مخضرم عن ذكريات الصوم

تستقبل المدينة المنورة.. رمضان بفرحة كبيرة.. و يشترك فيها الاطفال والنساء والرجال معا..

وقد عاصرنا رمضان فى فترات كثيرة وتطورت عوائده وتقاليده بتطور الحياة والزمن

وسوف يكون حديثى عن رمضان مخضرما يجمع بين القديم والحديث عن عوائد رمضان وتقاليده.. كان أول ماتظهر بوادر رمضان.. اضاءة مآذن المسجد النبوي الخمسة فيسطع نورها فى ارجاء المدينة و يصل ضوؤها الى بعض ضواحيها.. بحيث يرى المرء ظله في الرحبات القريبة من المسجد. واذكر، عندما كان مدير اوقاف المدينة غالب (بك) — واظنه في آخر عهد الحكومة العثمانية — اذكر ان شريطا كان يربط بين المئذنة الشكيلية ومئذنة باب المجيد.. يربط في الطوق الأول للمئذنة الشكيلية والمجيدية و يعلق بهذا الشريط احرف مكتوبة بالثريات الكهربائية.. وقد كتب عليها (اهلا وسهلا بشهر رمضان المبارك) فكانت تتلألأ فى رحبة المسجد النبوي بشكل جميل رائع ملفت للنظر.. وتشاهد أضواؤه صاعدة إلى السماء من الأمكنة البعيدة.

وفى ٢٩ شعبان وفي ليلة ٣٠ منه يزدحم المسجد النبوي بالناس حتى ليكاد يضيق بالمصلين.. ينتظرون ثبوت هلال رمضان ليصلوا التراويح.. وتزداد اضاءة المسجد النبوي اضاءة ملحوظة فى القسم المسقوف منه وفى الرملة.. حتى كانت توجد اعمدة من الحجر الاحمر منتشرة في رحبة المسجد النبوي تعلق عليها قديما قناديل من الزيت وتضاء ليلا فى شهر رمضان و بعد وصول الكهرباء كانت توضع فيها ثريات من الكهرباء للاضاءة.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٦/٩/٢هـ

** رؤية الهلال:

وبعد غروب الشمس من يوم ٢٩ شعبان يصعد الناس الى الهضاب والمرتفعات واسطحة المنازل والجبال القريبة من المدينة.. يتشوفون الهلال.. وقليلا ماكان يثبت هلال رمضان من المدينة لان الافق الغربى في المدينة محاط بالجبال المرتفعة.. وفي السنين التي ثبت فيها رمضان من المدينة — وهي قليلة جدا — كان شهود الهلال فيها يأتون من قرى المدينة القريبة او البعيدة — او من السابلة التى يأتون المدينة لبيع المواشى والفحم والحطب.. ولايصل هؤلاء.. الا بعد وقت متأخر من الليل اذ انهم يأتون اما مشيا على الاقادم — أو سيرا على دوابهم البطيئة السير.. لذلك ماكان يثبت رمضان الا بعد منتصف الليل..

ومنذ عهد ليس بالقريب — كان يثبت شهر رمضان في الغالب عن طريق اللاسلكى.. فاذ رؤى الهلال في اى مدينة من مدن المملكة واعتمد سماحة رئيس القضاة شهادة الشهود ووافق جلال الملك على ثبوته عمم على جميع انحاء المملكة بواسطة اللاسلكى واعتمد رمضان فى جميع البلاد السعودية.

** المحكمة الشرعية

ويبدأ فضيلة القاضى جلوسه بالمحكمة الشرعية يوم ٢٩ شعبان من بعد صلاة المغرب فورا لسماع شهادة من رأى الهلال.. ويبقى الى اذان العشاء واذان العشاء في هذه الليلة يتأخر الى الساعة الثانية.. املا في اداء صلاة التراويح بعد صلاة العشاء اذا ثبت رمضان.. اما في الايام العادية فان اذان العشاء يكون الساعة الواحدة والنصف وبعد صلاة العشاء في المسجد النبوي يعود فضيلة القاضى الى المحكمة الشرعية ويبقى الى ساعة متأخرة من الليل.. املا فى حضور شاهد «رأى» الهلال من مكان بعيد.. او استقبال اشارات اللاسلكى بالثبوت فى اى قرية او مدينة من مدن المملكة السعودية.. وفى عهد الحكومة العثمانية.. كان يعطى الشاهد الذي يثبت

هلال رمضان بشهادة يعطى «بخشيشا» وكان القاضى يتحرى كثيرا فى قبول الشهادة لئلا يأتى للشهادة مطالب بالبخشيش وقد بطلت هذه العادة من زمن بعيد..

** استقبال الاطفال لرمضان:

وبينما تنتظر المحكمة الشرعية شهود هلال رمضان تجد الاطفال يطوفون شوارع المدينة.. وبعضهم يحملون المشاعل المضاءة وهم يرددون اناشيدهم التقليدية (جابوا ماجابوا.. جابوا ماجابوا) يرددونها بصوت واحد يسمعه كل سكان المدينة تقريبا.. وهم يطوفون جميع شوارع المدينة وحواريها.

والنساء يسهرن الى مابعد منتصف الليل.. الى مدافع السحور ــ والمويه ــ يطهون طعام السحور.. وقد اضيئت منازلهم بالانوار.

وموظفوا اللاسلكى تجدهم كلهم اذان يلتقطون الاشارات البرقية من هنا وهناك ــ من مختلف انحاء المملكة التى تجرى بين المراكز او التى ترفع للجهات العليا عن ثبوت هلال رمضان.. واجراس التلفونات لا تنقطع ابدا عن سؤال موظفى اللاسلكى عما لديهم من اشارات برقية وأول ماتظهر رائحة رمضان تظهر من بين محطات اللاسلكى فتسمع من حين لاخر الاتصالات بين المراكز او بين المحاكم عن تقدم الشهود فى اى منطقة من مناطق المملكة.. الى المحكمة.

** الحركة فى الاسواق

ومن بعد عصر يوم ٢٩ شعبان يبدأ نشاط حركة الاسواق بالمدينة بعرض انواع اطعمة رمضان.. ومما يختص به رمضان من الاطعمة.. السمبوسك والمكارنة والقمر الدين.. والفطائر والكنافة والقطايف والتمر المرقد، والشربة والمقليات.. ولايكاد يخلو منزل من منازل المدينة من هذه الانواع ولاتخلوا موائد شهر رمضان من الاسراف في الطعام حتى قال بعض شيوخنا ان مصاريف شهر رمضان تعادل مصروف ثلاثة شهور فى الايام العادية.. لان

الطبخ والنفخ والقلى قبل المغرب وقبل مدفع السحور لابد وان يكون يوميا.. والطعام البايت لامجال له في اكثر المنازل ايام رمضان والكل يقولون (خلى الفقير يشبع).

وترتفع اصوات باعة الاطعمة من يوم ٢٩ شعبان بالاعلان عن بضائعهم.. وتختلط اصواتهم بعضها ببعض حتى لايستطيع المرء ان يفرق بين هذه وتلك.. الا صوتا واحدا يبقى بارزابين جميع هذه الاصوات وهو (عبى سحورك ياصايم، عبى سحورك ياصايم).

ومن جملة اصوات باعة الكنافة.. كانوا يعلنون عنها ــ بقولهم ــ الكنايف الكنايف ــ وكنا نقول لمن نقف عليهم ونشترى منهم.. (لاتقرفونا).. الكنايف جمع كنيف وليس جمع كنافة ولكن ــ مين يسمع ومين يقرأ ــ وحتى هذه السنين وهم ينادون على الكنافة بالكنايف «ولدى رجوعنا الى المنجد لم نجد فيه كلمة الكنايف أصلا».

واذا ثبت هلال رمضان ليلة ثلاثين من شعبان ــ فإن أمارة المدينة توفد سيارات الى القرى التى لايمكن ان تصلها مدافع رمضان ــ تعلمهم ثبوت رمضان ليصوموه مع الناس.. وكان فى عهود ماقبل السيارات توفد حكومة المدينة رجالا على الابل والدواب لابلاغ القرى القريبة بثبوت رمضان.

كيف ثبتنا رمضان فى شعبان

ومن اغرب مامر على جريدة المدينة ــ وكان ذلك فى يوم الاربعاء ٢٩ شعبان سنة ١٣٥٦هـ ــ السنة الأولى لصدور جريدة المدينة المنورة ثبوت رمضان فى شعبان.

ويتلخص هذا الحادث... في أن جريدة المدينة ــ وقد كانت تصدر اسبوعية ــ وصادف صدورها يوم ٣٠ شعبان ــ وكنا نوضب الصفحة الاولى والرابعة باعتبارهما للمقالات في ذلك العهد من اوسط الاسبوع وتبقى الصحفة الثانية والثالثة اللتين كانتا مخصصتين للاخبار المحلية

والخارجية ــ الى ليلة صدور الجريدة لنشر اخر الاخبار المحلية والخارجية ويبدأ الطبع من بعد عصر اليوم الذي سبق صدور «الجريدة» او بعد المغرب على الاكثر.. لقلة الامكانيات الطباعية.. واتعب مشكلة كانت تواجهنا.. الحصول على العامل الذي يستطيع ان يدير عجلة مكنة الطباعة.. لانها كانت تدار باليد ورغم اننا كنا ندفع اجور هذا العامل بسخاء ندفع مبلغ ثلاثة ريالات لطبع كل وجهين من الجريدة ثم زدناها حتى اصبحت ٥ ريالات فان كل من جاء ودور (الطارة) مرة شرد وعاف الثلاثة والخمسة ريالات لانها متعبة ومرهقة.. ولم يصمد معنا الا شخص واحد هو (ابو ثوب احمر) واظن ان اسمه صالحا ــ ولكن كان لا يعرف الا ــ بأبى ثوب احمر ــ ويكفى ان يعرف القارىء العزيز ان الواحد منا ماكان يستطيع ان يدير هذه الطارة اكثر من ١٥ الى ٢٠ مرة وهذا القوى فينا.. أما غير القوى فمن ٥ و ٦ دورات فقط ثم يقف في الخط وقد تشعب هذا الحديث لان له دخلا كبيرا فى القصة التى سأرويها.

قلت انه صادف صدور جريدة المدينة ليلة ٣٠ شعبان وقد اخرنا طبع الوجه الثانى والثالث الى ان نتأكد من ثبوت شهر رمضان.. وانتظرنا تلك الليلة الى الساعة الخامسة والسادسة ليلا.. وماكان يشغل بالنا.. الا (ابو ثوب احمر) نخشى ان يضرب عن ادارة طارة المطبعة فتعطل الجريدة عن الصدور حتما لو رفض.

كنا نتحسس الاخبار من هنا وهناك من المحكمة الشرعية ومن اللاسلكى.. من صديقنا الشيخ كامل خطاب مدير اللاسلكى... والتقطنا خبرا خاصا من اللاسلكى بأن رمضان قد ثبت فى جيزان بشاهدين.. وان قاضى جيزان قد رفع ذلك لجلالة الملك المعظم وسماحة رئيس القضاة.. فاذا اعتمد الشهود عمم ثبوت رمضان لجميع انحاء المملكة.

وبينما نحن فى هذه الدوامة من القلق وكان ابو ثوب احمر يخطرنا من ساعة لاخرى بتركه للعمل.. وعجلة الزمن تسير لا تنتظر احدا.. واولئك

عمال المطبعة قلقون.. نلاحظ (من تحت لتحت) تذمرهم وقلقهم يريدون كغيرهم ان يفرحوا برمضان وان يعبئوا سحورهم.. بينما نحن في هذه الدوامة.. واذا برسول المحكمة الشرعية.. السيد عباس يمر مسرعا من امام المطبعة وبيده دفتر التوديع.. وبداخل الدفتر ظرف مختوم موجه لقائد منطقة المدينة المنورة ـــ السيد احمد مجلد.

وسألنا السيد عباس عن الخبر فقال: (خلاص).

فقلنا له خلاص يعنى ايه.. ثبت رمضان.

فقال نعم وهذا الظرف للقيادة واطلاق المدافع..

وكانت الساعة حوالى الخامسة والنصف او السادسة وكان خبر رمضان مهيئا للنشر وكل شيء جاهز.. اغلقنا باب المطبعة وبدأنا الطبع والتغليف.

ونشر الخبر في العدد ٣١ يوم الخميس ١ رمضان ١٣٥٦هـ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٧م تحت عنوان «ثبوت هلال رمضان»: (حمل البرق الى المدينة بعد منتصف الليل ثبوت رؤية هلال رمضان ليلة الخميس بجيزان بشهادة العدول وقد عمم ذلك فى جميع انحاء المملكة العربية السعودية، فعليه هذا اليوم هو اول ايام الصيام.. وان جريدة المدينة تتفاءل باتفاق صدورها فى هذا اليوم المبارك وتقدم تهنئتها لجلالة الملك المعظم وانجاله الفخام وللبلاد العربية السعودية وعموم المسلمين سائلين المولى جل وعلا ان يجمع فيه شمل المسلمين ويجعله عام وفاق وخير وبركة.

وقد حمل الينا البرق انه ثبت بالخميس فى مصر وفلسطين.

ونشرنا خبر ثبوت هلال رمضان على النحو التالى اذ لم يبق اى شك لدينا فى صحة الخبر بعد ان عززت المحكمة الشرعية ماسمعناه عن ثبوت رمضان في اللاسلكى واعتبرنا أنفسنا أننا قد حصلنا على سبق صحفى قل أن يجود الزمان بمثله.

وأغلقنا الباب علينا لنعمل فى هدوء: ولكن التلفون أشتغل داخل أروقة المطبعة.. أشتغل التلفون على نطاق واسع.. عممنا ثبوت رمضان لكل من

نعرف ومن لانعرف ــ وسرى الخبر فى المدينة سر يان الماء فى منحدره.. واستيقظت المدينة فى ذلك الليل على ثبوت ــ رمضان وجاء الكثيرون يطلعون على الجر يدة ليتأكدوا من ثبوت رمضان وقد أخذ البعض اعدادا من الجر يدة ليقنع من لم يقنع.. وشرعت الاسواق بعرض بضائع رمضان واستطيع أن أقول أنه لم يبق أحد فى المدينة الا وعرف ان رمضان ثبت وتسحر ونام من اعتاد ان يتسحر مبكرا ونام وبقى من بقى.

واشغلنا الناس بالسؤال تلفونيا عن رمضان فلا تكاد نرخى السماعة حتى يرتفع جرس التليفون مرة اخرى وكلهم يسأل ــ هل صحيح ثبت رمضان ــ وكنا طبعا ــ نجيب بنعم والخبر نشر فعلا.. والكل يروون ثبوت الهلال عن الجر يدة واى مصدر اوثق من الجر يدة.

وتركنا الجر يدة تطبع وعدنا الى منازلنا ونحن فى منتهى التعب وتسحرنا ــ ولكن النوم شرد من اجفاننا لانه مضى وقت طو يل جدا ولم تضرب مدافع رمضان ــ (ولبدنا على ماعندنا) ونحن فى منتهى القلق من الناس ومن الحكومة.. وطلع النهار والناس مفطرون ــ لامدافع رمضان ولايحزنون ــ الجر يدة اودعت في البر يد ماكان منها للخارج ووزعت في المدينة وخبر ثبوت رمضان فيها.

وافقنا من تعبنا وقلقنا على جرس التليفون ــ كان المتكلم الامير عبد الله السديرى ــ رحمه الله ــ امير المدينة ــ يطلبنا لمقابلته.. وبعد ان قابلناه ــ سألنا: كيف تنشرون خبر ثبوت رمضان وهو لم يثبت فأخبرناه بما حصل معنا فى الموضوع فكان الواقع هو أن فضيلة القاضى ــ قاضى المدينة المنورة ــ السيد زكى برزنجى كثيرا مايعتر يه الصداع.. وكان مشتدا عليه في تلك الليلة.. وعلم كما علمنا من اللاسلكى ان رمضان ثبت فى جيزان وان المخابرات تدور مع الجهات العليا حول تعميمه لمناطق المملكة فقرر مغادرة المحكمة للراحة.. ولم يكن معه معاون ذلك الحين فأمر ان يكتب الخطاب التقليدي باطلاق المدافع ــ مدافع رمضانــ ووقعه والخطاب موجه لقائد

منطقة المدينة كالمعتاد.. وكتب معه خطابا خاصا لقائد المنطقة يعلمه فيه بظرفه واضطراره لمغادرة المحكمة ـــ واخبره في الخطاب الخصوصى انه في حالة ثبوت الشهر ووصول البرقية من جهة الاختصاص بذلك ـــ يكون عنده التعميد باطلاق المدافع ولاحاجة لازعاجه وخروجه مرة ثانية من المنزل للمحكمة وفى حالة عدم ثبوته بواسطة اللاسلكى يعيد اليه الخطاب ثانية صباحا للاحتياط فقد احتاط السيد كل الاحتياط رحمه الله.

** العيد فى المدينة المنورة

الاعياد.. فيها منطلق.. وفيها ترو يح للنفس.. وفيها بعد عن قيود العمل الروتينى المتكرر الممل.. الذي يعيشه المرء طول سنته ـ بين المكتب والمنزل.. و بين العمل والبيت لذلك كانت ايام الاعياد.. من امتع ايام العمر واغلاها، واحلاها.. عند مختلف الشعوب والامم.. يشترك فى ذلك الأطفال والكبار.. والرجال والنساء.

وعندما اتحدث ـ عن العيد فى المدينة (الجر يدة) فانما اتحدث عن العيد.. فى المدينة (البلد) البلد.. الذي عشت عيده اكثر من نصف قرن.. لذلك سوف يشتمل حديثى عن العيد ـ قديمه وحديثه.. سوف يشمل ذكر يات الامس.. وواقع اليوم..

والعيد في كل الدنيا يهيء للأطفال، والكبار على السواء يهىء لهم.. وسائل التسلية، والترفيه والترو يح عن النفس و يتيح لهم التحلل.. من قيود التعليمات، والنظم.. ومراقبة الرئيس للمرؤوس.. وصاحب العمل للعامل (و ير يح) الموظفين من التوقيع ـ على دفتر الدوام عند الحضور والغياب.. هذا الدفتر.. الذي يعتبره الكسول والمتراخى.. ابغض مافى الدائرة.. بل ابغض من الرئيس الكشر.

** لا احقاد في العيد

وفى العيد تزاور.. وتحابب.. وتقارب وتآلف وفيه تحطيم للأحقاد.. والخصومات.. فيه يحل التسامح محل الضغائن.. والابتسامة والبشاشة محل

نشرت في جر يدة المدينة في ١٣٨٨/١٠/٧هـ

(التقز يز) وتقطيب الجبين.. تجد المرء ــ يعيش الايام والشهور ــ فى خصام مع صديق أو قر يب.. فاذا جاء العيد نسى كل خصامة وزعله ومان تدق العين في العين.. حتى يتصافحا و يتعانقا لاشعور يا.. والابتسامة تعلو وجوههم، يتبادلون العبارة التقليدية للعيد (من العايدين) و ينتهى كل شيء..

و يتحين المصلحون.. فرصة ايام العيد فيصلحون بين المتخاصمين.. ولو كان بينهم (حرب البسوس) وتكون حينئذ مهيأة للصلح والتسامح.

وحتى الحكومة.. يتجلى عليها هذا التسامح.. في العيد فتطلق سراح المسجونين.. وتعفو عن المذنبين.

فالعيد كله سرور.. وكله فرحة ــ لامحل فيه للكشرة، والتبو يز..

** حنين المدينة:

ويحلو لي الحديث.. عن عيد المدينة ــ فإن له ذكر يات غاليات لديَّ تثير لواعج الشوق والحنين.. الى طيبة الطيبة.. الى ربوعها ومغانيها.. نقاها وقباها.. قربانها وعواليها.. جرفها وعيونها.. عقيقها و بطحائها، وقناها.. ساحتها ومناخها.. أُحدها وسلعتها، وجماداتها.. كل هذه المغانى لها ذكر يات عندما يتجدد الحديث عنها وتكرر كلما خطرت بالبال وكلما نادى منادى العيد.

يحلو لي.. الحديث عن تلك المرابع والمغانى.. التي كانت مرتع الصبا ونضرة الشباب، وزهرة العمر.. أسأل الله تعالى.. ان تكون لى آخر المطاف فى هذه الحياة.

ولاأحب ــ أن أتحدث ــ عن الشجون، ولواعج الحنين والشوق.. وأنا أتحدث عن العيد.. فإن من طابع العيد الفرح ــ والترو يح عن النفس.. فالى الحديث عن العيد.

تبدأ حركة العيد بالمدينة.. في يوم ٢٧ رمضان.. عندما يبدأ هلاله.. في التوديع.. تزداد الحركة والنشاط فى الاسواق.. وتنتشر انواع الحلوى.. فى الاسواق.. مع اختلاف اشكالها والوانها.. في جميع الاسواق.. لايوجد منزل .. من منازل المدينة ــ او القرى ــ الا وتقدم فيه الحلوى ــ للزائرين والمعيدين.. وتستهلك المدينة ــ ايام العيد ــ من هذه الحلوى اطنانا واطنانا.

** التمر بدل الحلوى فى العيد

وبهذه المناسبة.. اذكر ان جريدة المدينة المنورة.. قامت بدعوة المواطنين..من السنة الاولى لصدورها.. سنة ١٣٥٦هـ.. باستعمال التمر بدل من الحلوى.. تشجيعا لمنتوج بلادنا.. لان التمر.. من اهم حاصلات بلادنا الزراعية.. والحلوى مستوردة من الخارج بالعملة الصعبة.. وتبنت جريدة المدينة.. هذه الدعوة ونجحت نجاحاً كبيراً.. حتى ان ــ امير المدينة الامير عبد الله السديرى رحمه الله.. اقتنع بهذه الفكرة.. وقدم في معايدته الرسمية بالديوان.. التمر بدل الحلوى.. كما ان معظم المواطنين ــ ان لم اقل كلهم ــ قد وضعوا التمر بدل الحلوى.. وكنا نلاحظ ان بعض من كان.. يضع الحلوى فى اطباقه.. يخجل من تقديمها ــ ولايتورع بعضنا من ان يبعثر اطباق الحلوى.. لمن لم يستعمل التمر بدلها.. وتحسن سوق التمر.. في ذلك الحين.. تحسنا كبيرا.. واصبح التماره.. يعرضون انواع التمر الجافة.. التى (لادبك) فيها.. فى العيد.. ويقولون ــ ان سوق التمر في العيد ــ اصبح احسن من السوق.. ايام الموسم.. واستمر ذلك عدة سنوات ــ حتى كادت تختفى الحلوى ــ كليا من المنازل.. وتوقفت الجريدة عن الصدور..أيام الحرب العالمية الثانية.. فى عام ١٣٦٠هـ .. ورجع الناس لاستعمال الحلوى مرة ثانية.. تدريجيا وتركوا منتوج بلادهم التمر.. الذي هو ألذ وأنفع وأطعم من الحلوى الف مرة. فهل من عودة للتمر بدل الحلوى.

ولااريد.. ان اطيل.. فى هذا البحث ــ فقد يخرجنى.. عن الموضوع وجريدة المدينة المنورة.. مملوءة.. بما كتب فى هذا العدد.. من الادباء،

والمفكرين .. فى ذلك الحين.. ومالقى المشروع من رواج ونجاح.

(وأعود) ولاعود.. للحديث عن العيد.. أيضا..

** ازدحام الاسواق:

تبدأ ليالى العيد.. كما قلت من ٢٧ رمضان حيث تتعطل الاعمال.. في الدوائر الحكومية.. وجميع المكاتب والمصالح ــ وينتقل النشاط.. الى الاسواق.. بغرض متطلبات العيد.. من مأكل ومشرب وملعب، وزينة.. وتزدحم الاسواق.. بالذاهبين والآيبين سيما بعد التراويح.. (واللى مايشترى يتفرج).

واكثر الاسواق حركة ونشاطا ــ باب المصرى، سوق الحدره، (المسمى سوق (جوه المدينة)، سويقة شارع العينية، باب السلام، برحة باب الرحمة، باب المجيدي، هذه الاماكن تكتظ بالناس.. فلا ترى بها موضعا لقدم.

ويؤم المدينة ــ فى هذه الايام، الكثير من سكان القرى القريبة والبعيدة.. من المدينة.. من الشمال والجنوب والشرق، والغرب ــ يؤمون المدينة.. للعيد بها وصلاة المشهد ــ فى مسجد الرسول ــ الاعظم صلى الله عليه وسلم وكلهم ــ يقضون لوازمهم ــ لباسهم وطعامهم، وزينتهم من اسواق المدينة.

وتخرج بضائع العيد.. من المخازن، والدكاكين.. وتشرع فى الاسواق.. على عرض الطريق.. وتتغاضى البلدية.. عن ترفيعاتها فى الاسواق.. وتتساهل مع الذين يخرجون على الشوارع.. ولسان حالهم يقول (اتركهم يتسببون الدنيا عيد).

** الخياطة والحلاقون:

واكثر الناس تعبا ونفعا.. الخياطون، والحلاقون.. فالخياط يعبىء.. العديد من عماله.. ويسهر معهم الى الصباح.. ويرفض قبول الخياطة ــ

من العشرة الاخيرة ــ وبعضهم من اول رمضان.. (و يادوب) يوفى بوعده.. واذا جاء مضطر لخياطة ثوب له او لاحد عياله.. فى العشرة الاخيرة.. فعليه ان يدفع اجرة له ثلاثة اضعاف الاجرة العادية.. والا فليعد.. بثوبه القديم.. والحلاقة ــ اتعب.. من يريد الحلاقة.. فى ليالى العيد.. انه اذا لم (يرن) الساعات الطوال.. عند باب الحلاق.. فإنه يعيد (بشوشته المنبوشة).. وتجد الطابور.. امام دكاكين ــ الحلاقين ــ يتعدى السوق الذي هو فيه.

** لانوم ليلة العيد:

وليلة ٣٠ رمضان ــ هى الليلة ــ الساهرة ــ التى لاينامها احد.. الاسواق عامرة بالناس الى الصباح ــ والبيوت مضيئة الى الفجر ــ لترتيب مايلبس و يؤكل فى العيد.. ولكنس البيت ورشه وغسيل الحجر.

** ستات البيوت:

وتجد الناس.. و بالأكثر السيدات.. يضعون ايديهم على قلوبهم.. خشية ثبوت العيد.. ليلة ٣٠ رمضان.. ولايصفق لمدافع العيد.. اذا ثبت الا الأطفال أما الباعة.. والمتسببون.. ومن كانت اعمالهم تتعلق بالعيد ــ والنساء في المنازل ــ فإنهم يتضايقون من مدافع العيد.. ليلة ٣٠ رمضان.. كما يتضايق (خزانة السمن من المطر).

وقليل جدا.. من ربات البيوت من تستطيع ان تهيىء لوازم بيتها واولادها وعائلها يوم ٢٩ رمضان..

(والدبيازه).. الاكلة التى تجمع.. بين اللحم والفواكه الجافة والحلوى والنقل.. هى الأكلة المفضلة لدى السيدات فى اول يوم العيد.. فلا تجد دارا فى المدينة ليس فيها طبق الدبيازه.

** صلاة المشهد:

من امتع المشاهد ـ واجملها... صلاة العيد (المشهد) فى المسجد النبوي الشريف، فترى الناس يتهيئون ـ لصلاة المشهد ـ بعد منتصف الليل.. وكان طابع ـ زمان ـ فى لباس العيد.. الثياب الداخلية ـ المشغولة ـ بالنسله واللف ـ و يتعايق البعض فيرفع الياقة المشغولة.. الى عنان الرقبة.. بحيث تظهر من تحت (الجلابية) الثوب.. وتنشى هذه الياقات.. فتصبح واقفة.. كلوح المقوى.

** الجبة والعمامة:

والجبة والعمامة.. هى اللباس التقليدي.. فى العيد ـ لمعظم المواطنين يلبسها الصغار والكبار ـ ومشكلة المشاكل ـ فى العمامة.. لفها.. فقليل من الناس ـ من يجيد لفها.. والعمامة عبارة عن ـ طاقية مقصص ـ يلف عليها احرام من الشاش ـ طوله ستة او سبعة «اراشين» و يلف الاحرام.. حول نفسه اولا.. ثم يلف ثانية على العمامة.. طبقة فوق طبقة.. بطر يقة رتيبة.. وقد يقضى رب الاسرة.. معظم الليل.. وهو يلف عمايم ـ اذا كان عنده اولاد وأطفال ـ يلبسونها.. وكثيرا ماتجده ـ يهد و يبنى ـ فى لف العمامة.. حتى تخرج العمامة (مكولسة) بشكل جذاب يرضى عنه ـ ومن اشتهر بجودة لف العمائم.. فان اكثر اقاربه واصدقائه وجيرانه.. يقصدونه للف عمائمهم.

و بعض الاسر لها طر يقة خاصة في لف العمائم.. تعرف بها.. فالبعض يضع لها عذبة من الامام.. فى وسط التكر يره ـ مرفوعة الى اعلى.. والبعض يجعلها.. في الجانب الايمن.. و بعضهم يضع العذبة من الخلف.. يرخيها الى اسفل و يطولها.. و بعضهم يقصرها.. و بعضهم لايضع لها عذبة بالمرة.. وهكذا لكل اسرة طر يقة خاصة.. في لف العمامة وكثيرا ما تكون العمامة.. اكبر من رأس لابسها.. اذا كان طفلاً.

** خروج الاسر للمسجد:

ومن فجر.. يبدأ الناس في الخروج.. الى المسجد النبوي ــ وكل اسرة يتقدمهم كبيرهم.. يحيط به افراد اسرته صغاراً وكباراً ــ بأزيائهم التقليدية الزاهية.. وكثير من الاسر.. لهم امكنة خاصة.. تحجز لهم. بواسطة سجاجيد يتقدم بها.. احدهم.. أو خدمهم ليحفظوا لهم الاماكن بالمسجد ولايلبث المسجد ان يمتلىء بالناس حتى يضيق بهم.. ثم تمتلىء الشوارع.. والرحبات المحيطة به.

** فى صلاة العيد ومافيها:

وتقام صلاة العيد.. بعد شروق الشمس.. فتقف هذه الكتل البشرية ــ داخل المسجد وخارجه تؤدي صلاة ــ العيد.. وقد يكون من بين.. المصطفين للصلاة ــ من لايفقه.. تكبيرات العيد.. سيما من كان قادما.. من البادية والقرى.. البعيدة عن المدينة.. وقد يختلط.. على بعض المصلين.. بين تكبيرات العيد.. والتكبير.. للركوع والسجود.. فتجد ــ سيما ــ من كان خارج المسجد.. وفي الصفوف الاول ــ البعض راكعا ــ والبعض قائما او ساجدا ــ او قاعدا.. بشكل يوحى بالغرابة، وبأن صلاة العيد صلاة.. لاتقام الامرة فى السنة.. او مرتين.. ولايفقهها.. الا.. الدارسون.

** الزحام عند الخروج من الصلاة:

وبعد صلاة المشهد ــ ينطلق الناس.. من المسجد.. فى طريقهم الى منازلهم.. وتمتلىء الشوارع بالناس.. ويكثر الزحام بالموكب.. فالذين جاؤا للمسجد فى ساعتين او تزيد.. يخرجون.. كلهم دفعة واحدة واكثر مايكون الزحام.. عند بوابات المسجد النبوي.. سيا.. من يضعون احذيتهم لدى.. بواب المسجد.

** ذكاء بوابى المساجد:

ويعجبك ذكاء بواب المسجد وفراسته.. فأنت لاتتعب كثيرا — فى الحصول — على حذائك.. فإن البواب بمجرد ماينظر الى وجه الشخص مد يده وسلمه اياه.. ولاتكاد فراسته تخطىء في هذا سبيل .

** اشكال والوان في الشوارع:

وفي الشوارع التى تكتظ بالناس ترى مختلف الازياء والاشكال.. العجيبة فى اللباس الجبب والعمائم.. والمشالح والعقل المقصبة وغير المقصبة والصواكى الريزة والمواشاة بالترتر والكنتير.. ومعظم لباس العيد يكون جديدا على الناس غير معتاد لديهم.. فكثير من الناس.. لايلبس الجبة والعمامة الا فى العيد.. ولايلبس المشلح والعقال الا فى العيد.. ولايلبس الكندره والشراب.. الا في العيد.. لذلك تجد من لم يتعود على امثال هذا اللباس.. لايحسن لباسه فهذا عمامته ميله الى اليمين.. وذاك الى الشمال.. وهذا عقاله معروج الى الخلف او الى الامام.. وهذا مشلحه كتف طالع وآخر نازل — فترى انماطا عجيبة ونماذج كثيرة.. في العيد.

**حجاب نساء البادية:

ومن اعجب المناظر التى كنا نشاهدها في العيد حجاب نساء البادية.. انهن يضعن.. على الخمار المغطى به الوجه حديدة من الصفر.. تثبت في الخمار بمحاذات الانف والى جانبها قطع فضية ملضومة.. من ذوات القرش والقرشين وربع الريال.. الفضى القديم.. تلضم على اطراف البرقع الموضوع لغطاء الوجه.. ويتباهين بسحب ردائهن في الأرض.. ومازاد وسحب في الأرض يسمونه (العز) فتجد هذا العز يكنس الشارع وراءهم.

**الدعاء والاستعراض:

ويتجمع كبار القوم وصغارهم وكبار الموظفين.. وصغارهم بعد الصلاة

(المشهد) عند دار الحكومة و يأتي قاضي المدينة.. بحاشيته.. و يقف امام دار الامارة ثم يأتي حاكم المدينة.. متأخرا عن الناس.. لانه لايخرج الا بعد انتهاء خطبة العيد.. يأتي امير البلد .. راجلا.. يحف به خدمه و يرافقه قائد منطقة المدينة ومدير شرطتها.. ورجاله.. بلباسهم التقليدي.. وقد حمل بندقيته على كتفه وسيفه بيده وان كان من يحملون السيوف قلة.. و يتوسط الحاكم هذه الجموع.. و يقف بجانبه قاضي المدينة.. ثم يخرج القاضي بطاقة فيها دعاء العيد.. و يبدأ قراءتها.. بصوت رخيم فتجد تلك الجموع الغفيرة مصغية لما يقول.. وكان على رؤوسهم الطير.. واذا جاء في آخر الخطبة الدعاء للسلطان أو الملك.. يشير شخص يوضع خصيصا في منارة مسجد السيدة فاطمة.. بدار الحكومة.. يشير الى الجنود بجبل سلع. ببيرق احمر.. يلوح به يمينا وشمالا.. ايذانا بذكر الملك.. او السلطان.. فتطلق مدفعية الجبل ٢١ طلقة.

وبعد الانتهاء.. من خطبة العيد يستعرض حاكم البلد.. جنود الدفاع.. وجنود الشرطة.. فتمر امامه اولا جنود الدفاع بموسيقاهم المشجية.. واذا حاذي الضابط الذي يتقدم الجنود.. موقف الامير.. ارخى سيفه.. الذي كان مشهورا.. ونظر الى الجهة التي بها الامير.. وصاح في جنوده بصوت يدوى في ارجاء الرحبة (يمين انظر) فتتحول انظار جميع الجنود الى الامير... بسرعة خاطفة وكلما مر ضابط امام الامير صنع صنيع زميله.. الى ان ينتهى الطابور وبعد ان ينتهى عرض جنود الدفاع.. يبدأ عرض جنود الشرطة.. بموسيقاهم ومشيتهم التقليدية و يسيرون بالنظام.. الذي سار به زملاؤهم جنود الدفاع وبعد انتهاء العرض يستقبل الامير المعايدين بالصالون.. ثم يطوف الامير على جميع الدوائر الرسمية بالبلد.

** عادات بطلت:

وقد بطلت عادة اطلاق المدافع منذ زمن بعيد.. أما موقف الامير وخطبة العيد.. امام دار الامارة واستعراض الجنود والمعايدة فهي قائمة.. عدى ان خطبة العيد كان يلقيها معاون القاضي أو رئيس الكتاب.

وبعد ان شملت.. دار الامارة التى تداعت الى وزارة المواصلات لتكون مقر التلفون الاتوماتيكى.. وانتقلت الامارة الى مكان آخر اقام سمو أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز.. مخيما كبيرا فى الجهة الشرقية.. واستقبل المهنئين والمسلمين.. وتحول تكاتف الناس وزحامهم من شارع العنبرية الى شارع ابى ذر.

** الضيوف والزوار:

ولقد سهل على الناس طريق المدينة الاسفلتى.. سهل للكثيرين العيد بالمدينة.. فمن يوم ٢٧ رمضان.. يبدأ أهالى جدة ومكة والطائف وينبع وغيرهم المجيء الى المدينة لقضاء ايام العيد.. والصلاة في المسجد النبوي.. فتزدحم الفنادق والمنازل المعدة للايجار واخبار الضيوف الذين لايجدون منازل لسكناهم ثم يعودون بعد صلاة المشهد الى بلادهم.. كثيرة جدا.. ولو عرف اهل المدينة الذين لايجدون اماكن لنزولهم لأفسحوا لهم فى صدورهم.. ولكنهم لايعلمون ذلك الا بعد ضياع الفرصة.. لانهم يحبون ضيوفهم ومن هاجر اليهم.. ولا تعرف المدينة موسما اكبر من موسم العيد.

** ذكريات العيد (١)

كلمة العيد كلمة شيقة شفافة..حبيبة الى النفوس فهى توحى بالبهجة والسرور، والغبطة الحبور.. وقد لاينطق بها انسان فى أيام العيد.. الا هاشا، باشا، مبتسما.. فتملأ النفوس مرحا وهناء.

ولكل أمة من الأمم عادات وتقاليد في الأعياد.. يتزاورون فيها.. و يتبادلون فيها التهانى، والتبر يك والهدايا.. «والبخاشيش».

ومن أهم الأعياد في الاسلام، وأمتعها وأجملها.. عيد الفطر السعيد.. فهو عيد المسلمين جميعا.. فى جميع أصقاع الأرض.. يحتفلون به.. و يعدون الأيام، والساعات لاستقباله والحفاوة به.

وفى هذا اليوم السعيد ترى الوجوه مشرقة والثغور باسمة والنفوس مبتهجة.. والقلوب نظيفة، مهيأة للتعاطف والتسامح والتجاوز عن الماضى.. بما فيها من خير او شر.

وتشدنى هذه الذكرى.. ذكرى عيد الفطر المبارك الى أعياد المدينة المنورة.. التى قضيت فيها أيام الطفولة الحلوة، وأيام الشباب الماتعة، وأيام ربيع العمر، وخر يف الحياة، وشتاء الشيخوخة.

واذا ماعدت الى تلك الذكر يات الغالية.. فأنها تنغص علينا واقعنا الذي نعيشه الأن.. فقد اختفت من الأعياد تلك العوائد الجميلة الرائعة.. فى التزوار.. والتصافح والايناس.. اختفت تلك اللقاءات المشرقة.. بوجوه باسمة، ونفوس متجاو بة متسامحة.. تلك اللقاءات التى نسعد بها.. في جميع

نشرت في جر يدة المدينة في ١٣٩٩/١٠/١هـ

أيام العيد الأربعة.. وقد خصص لكل حارة من الحارات الاربعة بالمدينة يوم.. يؤمه الناس لمعايدة أهله وأصدقائه ولايتركون بيتاً مفتوحاً.. الا وزاروا أصحابه عرفوهم أم لم يعرفوهم.. تجد الشوارع في يوم أعيادهم تلك الحارة بالمعيدين والمسلمين بلباسهم التقليدي للأعياد.. وتجدهم أفواجا، أفواجا كل أسرة يتقدمها كبيرها.. وتلتف حوله الأبناء، والأحفاد وأقرب الناس الى الأسرة.. و يسيرون في نظام دقيق رتيب.. وتستطيع أن تعرف أسنانهم من سيرهم.. فالصغير فى السن دائما يتأخر خطوة أو نصف خطوة عمن هو أكبر منه سنا.. ولايمكن أن يدخل الصغير قبل الكبير.. أو أن يجلس في المجلس الصغير قبل الكبير.. هكذا كانت الاخلاق بين الأسر وهكذا الأحترام والتقدير سائد بين الطبقات الصغيرة يوقر الصغير الكبير والكبير يرحم الصغير.. والتعاطف سائد لابعد حدود التعاطف.. هذه الز يارات المتتالية فى الأعياد.. وهذا التعاطف.. والتحابب جعلت سكان البلد الواحد وكأنهم اسرة واحدة.. وعم التعارف والتقارب.. بين الناس حتى لايكاد يمر بك شخص ما. الا تعرفه وتعرف أسرته ووالده وفى أى محلة يسكن.. وليس هذا من صغر حوارى المدينة ــ فقط ــ ولكنه من تعاقب الزوار واللقاءات المستمرة فى الأعياد.

وليس هذا التزوار بين الأهل والأقارب مقصور على العيد الكبير وعيد الفطر.. بل هو مستمر فى بقية المناسبات الأخرى.. وأذكر أنه اذا هل رمضان فأننا نرافق والدنا غفر الله له ــ أنا وأخوانى على وأبو سعود رحمه الله فى ز يارات دائمة.. فلا نترك أحداً من الأرحام، والأقارب، أو الأهل.. الا ونزورهم ولانترك صديقاً حميماً الا ونزوره، وجيران الجنب لابد من ز يارتهم واحداً واحداً.. وقد لايكفي شهر رمضان لهذه الز يارات.. فنضطر أن نزور داراً أو دارين فى يوم واحد وكذا في هلال رجب.. وكنا نزار ونزور فلا تنقطع الز يارات لمنزلنا طيلة أيام رمضان.

اختفت هذه الظاهرة الجميلة.. ظاهرة التزاور والتعاطف.. بين الأقارب والأرحام والأصدقاء والأقارب في تلك المناسبات وها هى الأن تختفى.. فى

هـذه المـنـاسـبة الكبرى مناسبة عيد الفطر السعيد من أعظم أعياد الأسلام.. وحل محلها البطاقات، والبرقيات للمعايدة.

وأتـى الأعـجـب.. أن أرى بـعـض الـبـرقـيـات، و بـعـض البطاقات من أصـدقـاء أعـزه.. تربطنا بهم أواصر الصداقة العميقة، والأخاء والرحم أيضا، وهـم معـنا في بلد واحد و يترقب المرء أيام العيد لمواصلتهم وتجديد الصلات بهـم.. والتمـتـع بـأحـاديـثـهـم.. واستجرار ذكر يات الماضى البعيد والقر يب مـعـهم.. فيجد أمامه سيلا من البرقيات و بطاقات المعايدة.. وهذه المعايدات البرقية و«البطاقية» تقطع الطر يق.. على تلك الز يارات.. و يضطر المرء أن يجارى التيار.. واذا كنا بالأمس «لانرضى الوصال وفوقه» فأننا الأن «نقنع بالخيال ودونه على رأى شاعرنا».

وقـد كـنـا نستعمل البطاقات والبرقيات.. لمعايدة الذين ينأون عنا.. وفي بلاد بعيدة.. لاسبيل للمواصلات الشخصية اليهم.

أمـا أن يـعـيـد الجـيـران بـعـضـهـم بعضا.. أو الذين يمكن الا تصال بهم شـخـصـيـا بـسـهـولة و يسر.. فنعايدهم بالبرقيات أو البطاقات و بيننا و بينهم أيـضـا خـط تـلـيـفـونـى يمـكـن أن نـسمع أصواتهم و يسمعوا أصواتنا نعايدهم بالورق.. فهذه بدعة غير حسنة وماكنا نعرفها.. من قبل هذا.

والآن.. ومـاأدراك مـاالآن.. تـزدحـم الـذكـر يـات أمـامـي ــ ذكر يات الـعـيـد، وجمـال العيد، وأنا أكتب هذه الكلمة.. و يتحرك الشوق والحنين.. الـى تـلـك الـربـوع الطاهرة.. والى تلك الأيام الجميلة الغالية.. الأيام التى عـشـنـاهـا.. فـى طـيـبـة الـطـيبة.. بين جدرانها، أزقتها، وأسوارها، ومناخها، وسـاحـتهـا، وذروانهـا وسـيـحـهـا.. يهزنى الشوق الى مسجدها العظيم.. الذي كـان محـلا لـعـبادتنا لحفظ القرآن المجيد ــ ولمذاكرة دروسنا، بحضور حلقات الـدروس عـلـى مـشـايخـنـا وأسـاتـذتـنـا فـي مختلف العلوم والفنون.. الدينية والـدنـيـو ية.. ولقد كنا نقضى فى المسجد النبوي.. أكثر مانقضيه في منازلنا و بيوتنا.. فهو بيتنا الأكبر.

يهزني الشوق والحنين.. الى مغاني طيبة وربوعها.. الى عاليتها.. قباها، والعوالي، وقربان.. الى عقيقها، وبطحانها وقناها، وقناتها.. الى جرفها وعيونها، الى احراشها، وهضابها.. الى احدها وجماداتها وسلعها الى ابى جيدة.. ذلك الوادى الجميل.. والذي يتباشر به أهل المدينة.. والذي يضرب المدينة من وسط منازلها وبيوتها.. ولايترك بئرا الا وملأها بعذوبة مائه.

أنها أماكن عزيزة غالية على النفس.. قضينا فيها ربيع عمرنا، وشرخ شبابنا وطلائع شيخوختنا.. فكيف ننساها.. أنه جزء من حياتنا فكيف نسلاها.. وكل ماأرجوه من المولى عز وجل أن يجعل اليها المآب.. وأن يجعل فيها الخاتمة.. بجوار من اصطفاه رحمة للعالمين.

ولقد ذكرتني هذه النفثات بقطعة شعرية للمرحوم الصديق أبى حمزة ضياء الدين رجب ــ قال يناجى بها المدينة تحت عنوان «على ربى سلع».

ياموحى الشعر صوت منك أشجانا ... فهل أعرت الحجار الصم آذانا

ياموحى الشعر أصداء ترن على ... سلع تردد ايات والحانا

ياموحى الشعر قد أورثنى شجنا ... ولست أعرف من ذى قبل أشجانا

ياموحى الشعر في «سلع» لنا مهج ... وفي العقيق وفى الجماء أحيانا

وفي الطبيعة حسن غير مصطنع ... ينسيك ليلى وذات الدل بورانا

واسمع أهازيج ورق باللوى هتف ... أبعد هذا تردم اليوم سلوانا

أبعد موطنك العالى وعزته ... تروح أندلسا يوما ولبنانا

أبعد خير بقاع الأرض منزلة ... تشتاق مصر وفرد الحسن بغدانا

أبعد طيبة أو أم القرى وطنا ... ياصاح تخطب فى دنياك أوطانا

هناك شع ضياء الدين فى حلل   حمراء تنشر ياقوتا ومرجانا

هناك أزهر ونور العلم وازدهرت   رياضة فجنى الاسلام عرفانا

هناك انجبت الدنيا اعزفتى   لنصرة الحق والتوحيد وأفانا

هذه أبيات ناجى بها روابى المدينة ومرابعها.. وقد اشجتنى وحركت لواعج الشوق، والحنين الى تلك الربوع الغايات.

وذو الشوق القديم وان تعزى   مشوق حين يلقى العاشقينا

** ذكريات العيد (٢)

ليس أجمل ولا أروع من أيام العيد.. فأيام العيد كلها سرور وبهجة ــ وكلها هناء ومرح.. فالعيد هو متنفس الشعوب وانطلاقها من قيود العمل الروتيني.. الذي يعيشه الانسان صباح مساء.. وفي العيد، والأعياد يتخلص الانسان من النظم والتعليمات، والأوامر والنواهي ومن الساعات ومن الدفاتر التي تحصى عليه ساعة قدومه وساعة انصرافه.

في العيد يتخلص الناس كل الناس من جميع الطبقات.. الموظف والعامل، والتاجر، الصانع كل الناس يتخلصون من الدوام الرسمي من التاسعة الى الثانية ومن الخامسة الى السابعة.

هذه القيود تتلاشى أيام العيد ــ فكل أيام الأعياد أجازات يسرح فيها الناس ويمرحون في فسح وزيارات.

من أجل ذلك كانت الأعياد فرحة كبرى للناس ــ صغيرهم وكبيرهم، نساؤهم ورجالهم.. ومن أجل ذلك.. كانت أيام العيد من أمتع أيام السنة وأجملها.

وقد أعطت هذه الحرية في الأعياد للناس.. فرصة قضاء أيام العيد خارج المدن التي يسكنوها.. وتوفير المواصلات الجوية والبرية.. سهلت على الناس السفر الى البلاد القريبة والبعيدة على السواء.. فلم تصبح الأن البلاد الأسيوية أو الأوربية بعيدة ــ وبينما كان السفر الى القاهرة أو لبنان فيه كثير من الصعوبات.. أصبح الآن السفر الى لندن ميسر ــ لايكلف أكثر من ست ساعات فقط ــ طيران فى الهواء.

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/١٠/٢هـ

وربما تأتى أيام أخر يخلق الله تعالى مالا تعلمون.. ومن يدرى؟
قد يمكن السفر على الصواريخ والقذائف التي تقطع آلاف الأميال في دقائق.

أعود الى موضوع العيد ــ الذي هو موضوع حديثنا.

لقد أعتاد الناس في كل الدنيا أن يتبادل التهانى والتبريك بالعيد ــ اعتادوا أن يتزاوروا ويتصافحوا، ويتحاببو.. وأن تتهيأ نفوسهم للتسامح، وماتقابل أثنان فى أيام العيد الا وتصافحا وتعايدا، وابتسما وأخذ بعضهما بالأحضان ولو كان بينهما ــ ماصنع الحداد والمصلحون دائما ــ يغتنمون فرص أيام العيد ــ فيجمعوا بين ماكانت بينهم من خصومات ــ مهما كانت كبيرة، ويصلحوا بينهم ــ ففي أيام العيد تلين القلوب القاسية.. وتصلح ماأفسدته الأيام.

وحتى الحكومات ترق قلوبهم ــ ويغلب عليهم حب العفو واذا كانت عليهم حقوق مادية ــ تسددها عنهم الدولة.. أو تسددها صناديق البر وصناديق الخير ــ ليعيد السجناء الذين عليهم جنح بسيط مع أهلهم وذويهم ــ وهى حسنة كبرى من ولاة الأمور بالشعب ــ ولهم أجرها وثوابها لأنهم يدخلون السرور على أرباب هؤلاء المسجونين على أهليهم وأولادهم، وذويهم وليس في الدنيا أفضل من أدخال السرور على مسلم في يوم العيد.

فالأعياد كلها جمال ومتعة، وكلها رحمة وشفقة يحسب الناس للقائها ألف حساب وحساب رغم تكاليفها المادية التي قد تكون مرهقة للبعض في بعض الأحيان.

والمدينة المنورة بالذات يؤمها المسلمون من جميع الطبقات فمن اليوم العشرين في رمضان ــ والسيارات والطائرات تتدفق على المدينة حتى لايبقى مكان في الفنادق والمنازل التي بأطراف المسجد النبوي والبعيد عن المسجد أيضا ــ كلها تمتلىء ــ وكثير من الزوار ــ قد رأيتهم رأى العين

ـ يعودون بسياراتهم الى بلادهم بعد اداء ماأمكن من الفروض في المسجد النبوي ـ يعودون الى أماكنهم بحب ومتعة.. فوسم الزيارة بالمدينة في رمضان من أعظم مواسم المدينة.. وفي المسجد النبوي لا تكاد تجد مكانا لأداء الفريضة ـ الا اذا ذهبت الى المسجد قبل الأذان بنصف ساعة على الأقل ـ فالمظلات تزدحم بالزوار والمصلين ومعظم الأزقة والشوارع ـ التي بأطراف المسجد النبوي تمتلىء بالمصلين وتمتلىء الرحبات والساحات التي في الجهة القريبة للمسجد والتي وسعتها الحكومة تمهيدا لتوسيع المسجد النبوي تمتلىء بالمصلين ـ حتى لوحظ أن الصفوف هناك قد تلتحم مع صفوف المصلين بمسجد الغمامة ـ وقد يلتبس على البعض متابعة الأمام.. من كثرة تقارب الصفوف وازدحام الناس.

والمدينة المنورة مقبلة على خير كبير انشاء الله.

وقد قرأنا أيام تصريح فضيلة نائب الرئيس العام للأشراف على الحرمين الشريفين ـ بأنه سوف يجرى توسعة المسجد النبوي الشريف بمقدار ستة أضعاف المسجد الحالى ـ وقال فيما أذكر أن الزيادة المنتظرة تزيد عن ٦٠ ألف متر مربع.

والذي أذكره الآن ـ أن مساحة المسجد النبوي في الزيادة العثمانية الأولى كانت حوالى عشرة آلاف ومابة متر وأن التوسعة السعودية الأخيرة كانت في حدود ٦٠٠٠ آلاف متر.

فمساحة المسجد الآن هى ستة الف متر مربع ـ وسوف تقارب الثمانية الف متر بعد المساحة المنتظرة.

على أنى أتوقع أن الزيادة مهما كانت كبيرة.. فأن المسلمين ولله الحمد في حاجة للمزيد توسع المسجد النبوي ـ وأن سهولة المواصلات الجوية والبرية أيضا جعلت الزوار يتكاثرون بالشكل الذي نراه ـ وزوار المدينة المنورة وزوار مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين على عظيم هذه الأمة وسيدها محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وسلامه

لاينقطعون أبدا، من زيارة المدينة المنورة وحبذا لو أهتم المسؤولون بسرعة هذه العمارة وانجازها ــ لأن المسلمين جميعا يتطلعون الى هذه التوسعة بالمسجد الشريف من توسعة الحوارى والأزقة الموصلة للمسجد تسهيلا للوصول الى المسجد سيما من الجهة الشرقية والجهة الشمالية والجهة الجنوبية وأن يبقى المسجد فى ميدان كبير تحيط به الشوارع الرئيسية من كل جانب وتخطط مواقف للسيارات بعد أن أصبحت بهذه الكثرة.

هذا وتبدأ تباشير العيد من اليوم السابع والعشرين من رمضان.. الأسواق والشوارع تضأ بأقوى ماتكون الإضاءة ــ وتشرع الأسواق بعرض مستلزمات العيد من أنواع الحلوى، وأنواع الروائح العطرية.. وكان عطر الأعياد في زماننا.. ماء الورد الطائفى المكرر، وماء الزهر المكرر ــ مع وجود أنواع العطور الأخرى ــ ويتشرع الأسواق بالملابس الجاهزة ــ وألعاب الأطفال المختلفة.. وكل مايحتاجه الناس للعيد.

وتستعد ربات البيوت بتحضير ملابس أطفالها وأبنائها وعائلها ــ وتنظف منزلها وأعداده لأستقبال المعيدين والمسلمين.

ومازلت أذكر ــ الثريات الكهربائية.. التي يربطها (علي أفندى المخرنجى) أحد طرفيها بالمنارة الشكيلية، والطرف الثاني بالمنارة المقابلة لها ــ المجيدية ــ وقد أزيلت هاتان المنازلتان فى التوسعة السعودية للمسجد النبوي ــ وأقيم في محلهما مآذن قوية بارتفاع شاهق وجمال وفن.

هذه الثريات الكهربائية يبدأ في تحضيرها وتنسيقها (علي أفندي) من أول رمضان ــ تضاء من منتصف رمضان وتبقى أيام العيد.. وقد كتب بها ــ بالثريات الكهربائية (أهلا وسهلا) يراها القادم الى المدينة من المفرحات على بعد حوالى ثلاثين كيلو مترا وتضيء أطراف المدينة وأزقتها المجاورة للمسجد ــ وفي البيوت القريبة منها يمكن أن يقرأ القرآن على ضوئها.

وتتحرك ربات البيوت من منتصف ليلة العيد فبعد ترتيب ملابس الأولاد وأبوهم ــ تبدأ في تنظيف دارها ــ وغسيل الدرج من آخر درجة في السطوح الى أدرجه باب الزقاق ــ ولا يكتفين بتنظيف البيت بل ينظفن أيضا باب الزقاق ــ كنسا ورشا ــ فتجد الشارع أو الزقاق مرشوش بالماء على طوله لأن رش الأبواب بالماء يتلاحم.

والسيدات يكرهن ثبوت هلال شوال ليلة ثلاثين من رمضان.. ليتسع الوقت لهن فى إكمال شؤن منزلهن.

عادات وتقاليد جميلة كلها اندثرت وخلفت وراءها الذكر يات والتشوق لها.



** ذكريات العيد (٣)

الحديث عن العيد وعن مباهج العيد وعن ذكريات العيد حديث ذو شجون، وشئون لا ينضب معينه، ولايمل ترديده.. ذلك أن العيد قمة أفراح الأمم وقمة سرورها وابتهاجها.

ولقد كنت تحدثت في كلمة سابقة عن أفراح العيد بالمدينة ومباهجه، وذكرياته.. وظننت أني غطيت ذكريات العيد بالمدينة.. ولكنى عندما قرأت ماكتبت.. خيل الى.. أننى لم أكتب شيئا ولم أقل شيئا عن عيد المدينة.

ومن الغريب أننى رغم قضائى أعيادا كثيرة في غير المدينة المنورة بالمملكة.. وبغير المملكة من البلاد العربية والأجنبية.. فأنى لم أجد بها أى ذكريات ــ فتلك أعياد جامدة لاروحانية فيها وليس فيها طعم ولارائحة بالنسبة لى شخصيا.

وذلك أما لأنى لاأعرف عوائد الأعياد هناك ولا أعرف طقوسها وخلفياتها أو لأنى ألفت عيد المدينة المنورة فلا يهنأ لى عيد في غيرها.

واذا كان لى من ذكريات في غير المدينة فأنها ذكريات العزلة والفراغ، والخواء.. فقد كنت هناك في أيام العيد أبقى في محلى لاأزور ولا أزار والحركة في البلد ناقصة كل المحلات والدوائر الرسمية التي لى بها معارف مقفلة.. ومعظم من أعرف بعيد عن الديار والمثل القديم يقول (جنينة بدون ناس ماتنداس وناس ماتعرفهم ماهم ناس).

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٩/١٠/٣هـ

أما المدينة فأن أيام الأعياد مشحونة.. بالزيارات، والروحانيات وبالبهجة والأفراح.. أيام العيد كلها حركة تنبض بالنشاط والتحرك — ويكاد ينعدم النوم في ليالي العيد وحتى لو أخذتك سنة من النوم فأنك تقضى بقية ليلتك في حلم سعيد مع العيد وحلاوة العيد.

ويلذ للانسان أن يتحدث عن العيد، وعن بهجة العيد وعندما يتحدث عنه فكأنه يعيش أيام العيد — ينشرح صدره ويسر خاطره.

وأول ماتبدأ بشائر العيد بالمدينة تبدأ باطلاق مدافع العيد وهي أن اطلقت في التاسع والعشرين من رمضان بعد ثبوت هلال شوال فأن المدينة تستيقظ بأكملها.. وتقف على قدميها ويتجاوب الأطفال مع أول طلقة من المدافع فتنطلق أصواتهم بالترحيب بالعيد ويطوفون الشوارع باهازيجهم التقليدية (من لم يسمع يسمع).

وتنشط الحركة من جديد في الأسواق والشوارع.. تضاء الأتاريك في محلات البيع والشراء.. وفى الرحبات التي تعرض فيها سلع العيد وبضائع العيد وينتقل الناس من منازلهم الى الأسواق والشوارع لشراء مقاضى العيد ولوازم العيد لأن أيامه الأربعة لا أسواق فيها كلها تبقى مقفولة ولم يبق فى الأسواق الا ملاعب الأطفال فلا لحوم ولاخضار ولاعيوش كلها تختفى أيام العيد والكل فى عيد فى (جرى ورمح) من الشروق حتى الغروب.

من أجل ذلك تجد الأفران تفتح أبوابها ليلة العيد لتقديم أنواع العيوش والبقصمات.. والجزارين يذبحون ويشرعون اللحوم في الأسواق.. والفلاحين أصحاب البساتين يهبطون من بساتينهم بمنتوجاتهم الزراعية من خضار وفواكه.. ويعودون الى بساتينهم بمقاضى العيد.

فتشتد الحركة في الأسواق عموما — ولا تفتر الا مع صلاة العيد — بعد الفجر — وتجد طوابير المنتظرين عند الحلاقين والخياطين، والجزمتيه.. وأصحاب الصنع، وأصحاب السلع المتعلقة بالعيد يأملون أن يكمل رمضان

العدة فيتوفر لديهم يوم جديد يستطيعون فيه أكمال نواقصهم ولكن لكل شيء ضريبته ففرحة العيد ليلة الثلاثين من رمضان يقابلها هذا الضغط من الحركة.

واذا دخلنا من الشوارع الى المنازل فأننا نجد ربات البيوت في حركة لاتعرف الراحة.. تبدأ بتحضير ملابس العيد لأطفالهن ورجالهن ثم فى ترتيب وتنظيف غرف استقبال المعايدين ثم في اعداد طعام الأولاد والأسرة.. ومن الأطعمة المفضلة يوم العيد والتي لايمكن ان يخلو منها بيت من بيوت المدينة ويهدى منها بعضهم بعضا أكلة (الدبيازة) وهي أكلة غريبة تجمع بين الدهن واللحم، وبين المشمش الناشف والسكر مع ملح الطعام أيضا.. هذه الأكلة لابد من وجودها في سفرة الطعام يوم العيد في الأفطار والغداء.. وبعد أن ينتهي السيدات من المطبخ.. ينصرفن الى غسيل الحجرة من الآبار — وعلى فكرة — فأنه لايوجد أبدا بالمدينة دار ليس فيها بئرا فالبئر تحفر عند بناء الدار وقبل كل شيء.. ولايستغنى أى منزل عن البئر لأنه لايوجد ماء الا عن طريق السقاة بالقرب.. ولايمكن أن يسد السقاة حاجة الناس من الماء الشرب والغسيل ويتكاتف من في البيت من ستات وبنات وشغالات أن وجدن فيغسلن الدرج والأسياب من درجة السطوح الى درجة باب الزقاق ويختمو عملية الغسيل برش باب الزقاق رشا يتلاحم مع أبواب الجيران بحيث يصبح الشارع كله مرشوشا بالماء. ولاأدرى هل المقصود من هذا الرش الثقيل هو النظافة فقط أم ملاحظة فيه عدم اثارة الغبار في يوم العيد من كثرة الحركة من الناس — والشوارع والأزقة كانت كلها ترابية أقل حركة فيها تثير الغبار.

* صلاة المشهد:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة العيد مع أصحابه في رحبة كبيرة في فناء المدينة وخارج أسوارها تسمى المصلى وكان عليه السلام.. يتناول قبل خروجه الى المصلى تميرات وترا.. وكان يذهب من

مكان و يعود من مكان آخر.. وقد أقيم على رجعة المصلى الآن مسجدا يسمى مسجد الغمامة.. وقالوا_ وان كان لم يثبت هذا _ في تسمية هذا المسجد بمسجد الغمامة قالوا أن الغمامة أظلت الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع.. لذلك سمي بمسجد الغمامة و يسمى أيضا في كتب التاريخ بمسجد المصلى _ وقد أصبح مسجد المصلى الآن في قلب المدينة المنورة واحيطت به المبانى من كل جهة ولم يعد يتسع لسكان المدينة للصلاة فيه في الأعياد _ سيما والنساء يأتون للصلاة من القرى البعيدة والقريبة ومن كل مكان.. وأصبح الناس يصلون الأعياد بالمسجد النبوي الشريف وتتصل صفوف المصلين في العيد الى المناخة ومابعد المناخة.

وماأروع صلاة العيد بالمسجد الشريف وماأجملها وأبهاها.. يبدأ الناس في الحضور الى المسجد من قبل الفجر و يأتون الى المسجد فى مجموعات كل عائلة أو أسرة في مجموعة تلتف حول كبير الأسرة ومعظم الأسر يحجزون أماكن لهم من قبل الفجر بسجاجيد يفرشونها.. و بعض العوائل لهم مكان مخصوص يجتمعون فيه تأتى الأسر بلباسهم التقليدي وتغايير العيد الجميلة المقصبة والمزركشة و يعجبك منظر هذه الأسر في تجمعها وتحابها حيث تتقابل هذه الأسر لمعايدة بعضها بعضا.. بعد صلاة العيد يتقابلون بالمصافحة، والقبل، والأحضان، والبشر يعلو وجوههم والأبتسامة لا تفارق ثغورهم.. وليس أسعد من ذلك في الحياه، ولاأروع ولا أجمل و يشدني القلم لذكر أسماء بعض هذه الأسر وأن كنت واثقا ان من المستحيل احصاءها.. أذكر أسماء هذه الأسر بعد أن احتجبت عن انظارنا معظمها ومن هذه العوائل التي كنا نراها في زماننا الأول عائلة..آل المدني، وآل هاشم، وآل الصافى، وآل البيتى، وآل عبد الجواد، وآل الخاشقجي، وآل جمل الليل، وآل السقاف، وآل الاركوبى، وآل الرفاعى، وآل الدفتر دار، وآل الكردي، وآل الكماخى، وآل عشقى، وآل مرشد، وآل جعفر، وآل الطرابزونى، وآل القمقمجى، وآل حماذ، وآل حودة، وآل حكيم، وآل ابو الفرج، وآل توفيق، وآل الخريجى، وآل الدغيتر، وآل الحجام، وآل الخربوطى، وآل المجار، وآل الحسينى، وآل

البرادة، وآل البرزنجى، وآل الحوالة، وآل بافقيه، وآل خشيم، وآل السمان، وآل ناصر، وآل الدشيشة، وآل صادق، وآل عمران، وآل حمد الله، وآل محروس، وآل البرى، وآل زاهد، وآل العطاس، وآل الديولى، وآل الانصارى، وآل ابو الجود، وآل الحبشي، وآل فقيه، وآل الفضايلي، وآل الشاعر، وآل جليدان، وآل المفتى، وآل الرشيدى، وآل البساطي، وآل الخياري، وآل المطبقاتى، وآل الجياد، وآل القين، وغيرهم وغيرهم ممن اذكرهم ولست أذكرهم.

هذه الجموع من أهل المدينة كلها تتقابل يوم العيد بعد صلاة المشهد أولا، ثم في معايدات الحوائر ثانية.. هذه الأسر مع من فاتني ذكرهم — تجدهم في العيد وكأنهم أسرة واحدة في تواددهم وحبهم وصفاء قلوبهم.

وهذه الأسر في مجموعهم وأفرادهم لايسمحون أبدا لأى شخص منهم أن يقضى العيد خارج المدينة — لقد عيدت أنا واخوانى مرة.. في سلطانه مع بعض الأصدقاء.. فقابلنا الشيخ حسين جياد رحمه الله ثم قابل والدنا رحمه الله.. وقال له كيف تسمح للأولاد يعيدوا (بره) ثم قال لنا في حماس.. أن أيام العيد ليست ملكا لكم أنها ملك للأحباب والأخوان عندكم ثلاثمائة وخمسين يوم روحوا فيها محل ماتريدون أما أيام العيد فهى للعيد وقضينا بعد هذا الحساب الدقيق فترة لانترك العيد بالمدينة أبدا.

ولقد قضيت عيد الفطر في العام الماضى والذي قبله بالمدينة وبكل حسرة لم أجد ممن أعرفهم الا النذر القليل جدا جدا من هذه الأسر والعوائد الجميلة لاأثر لها اليوم. أعود الى تقاليد العيد وعوائده بالمدينة.

بعد صلاة العيد ينتقل المصلون الى قصر الأمارة لسماع دعاء العيد ومعايدة الأمير. ويأتى الأمير.. ماشيا من المسجد النبوي بعد سماع خطبة العيد ومن حوله خوياه ورجاله وبعض كبار الموظفين متقلدا سيفه الذهبى وعند وصوله الى رحبة الديوان تحييه كوكبة من الدفاع والشرطة بالسلام الملكى، ويقف الأمير وسط هذه الجموع ثم يتقدم فضيلة قاضى المدينة المنورة

أو نـائـبه و يتلو دعاء العيد و يدعو لولاة أمورنا بالنصر والتأييد وأذكر من بين القـضـاة والـنواب الذين كانوا يتلون الدعا.. الشيخ احمد كماخى ــ الشيخ عـمـر كـردى ــ الشيخ ابراهيم برى ــ الشيخ عبد الحفيظ كردي ــ الشيخ محـمـد نـور كـتـبـى ــ الـشيخ عبد الله بن زاحم رحمه الله ــ الشيخ عبد الله الخليفى ــ الشيخ عبد العزيز بن صالح.

وبعد انتهاء الدعاء.. واستعراض الأمير للجيش ولجنود الشرطة بموسيقاهم يجلـس الأمير فى صالون الأستقبال لقبول معايدة الناس.. ورحمك الله ياسيد عـبـد الله جـعـفـر ــ فـقـد كـان رئـيسا لكتاب بلدية المدينة ــ وكان يتولى الاشراف على تقديم الحلوى والعطور في يوم العيد وكان هو دينمو الحركة يوم الـعـيـد وكـان رحـمـه الله يحـمـل قارورة عطر ورد من أفخر العطر الاستامبولي وكان يعطر به الأخلص من أحبابه وأصحابه والمحظوظين عنده.

وبـعد معايدة الأمير يطوف الأمير على الدوائر الرسمية التي مقرها بعمارة ديـوان الأمـارة وهم: الأوقاف ــ والمحكمة المستعجلة ــ والمالية وكتابة العدل ــ ثم يواصل معايدته على بقية الدوائر الرسمية ــ بعد تناول طعام الأفطار.

والمعايدة في المدينة مقسمة على اربعة أيام.
اليوم الأول لمعايدة الحكام، والأهل والجيران.
اليوم الثانى لمعايدة سكان الساحة.
اليوم الثالث لمعايدة سكان المناخة.
واليوم الرابع لمعايدة سكان الحارة ــ حارة الأغوات وما يتبعها.

وبـذا يمـكـن مسح جميع دور المدينة بالمعايدة ــ ونظام المعايدة بالمدينة ــ ألا يـتـرك باب مفتوح.. الا و يدخله المعايدين سواء عرفوهم أو لم يعرفونهم.. ونـسـتـطـيـع أن نـفـهـم من هـذا أن جمـيـع أهـل الـمـديـنـة يـلتقون أيام العيد و يتصافحون ويجددون عهد اللقاء والمحبة.

وبكل اسف أن هذه العوائد الجميلة قد اصبحت الأن في ذمة التاريخ لم يبق منها الا اليسير القليل ولايتزاور الناس الا قليلا.

والحوائر المعروفة كلها اندثرت ـ محلة الساحة ازيلت بأكملها لتوسعة المسجد النبوي ـ وتوسعة الشوارع، ومحلة المناخة أزيل شيء كثير منها واتسعت وتشعبت فلم يعد يعرف أولها من آخرها ـ ومحلة الحارة ـ انكمشت وأزيل بعضها واتسعت بعض جوانبها وضاعت منها معالمها.

وتحتاج هذه الحوائر الى لفتته قوية من رئاسة البلدية وعلى رأسها الصديق صدقه خاشقجي لتحديد الحوائر ولمها فبعض عوائد هذه المعايدات تعود اليها لأن خسارتنا فى الغاء هذه المعايدات خسارة لا تعوض وبعد أن كان أهل المدينة يشكلون أسرة واحدة وقل أن نجد ساكنا بها لايعرف بقية السكان أصبح الأن الجار لايعرف جاره دخلتنا عمارة الشقق فباعدت بين الناس وهذا البعد جافى بينهم وجعلهم اشتاتا لايعرف بعضهم بعضا.. تولانا الله تعالى بلطفه ورعايته.

** بلدية المدينة.. ومسئولية التنظيم والنظافة

المدينة المنورة.. مقبلة على تطور كبير.. في جميع مرافقها فمعظم الشوارع والازقة الضيقة التى كانت بجوار المسجد النبوي الشريف.. قد ازيلت ــ وحل محلها ميادين وشوارع واسعة.. وسبق هذا ان قامت البلدية بتوسيع مداخل، وازالة بعض الاحوشة واصبحت ميادين لوقوف السيارات.. واخذ العمران ينتقل الى خارج المدينة.. ومازال الاصلاح، والتوسعات للشواع، واحداث الميادين، يتلو بعضه بعضا ــ وتسير على نطاق واسع ــ وتتضافر جهود المالية، والبلدية، ومكتب تخطيط المدن ــ على تحسين الشوارع وتوسعتها ــ لتكون المدينة.. على ارفع المستويات تنظيما، وتنسيقا، وجمالا، لتستوعب الوافدين اليها بمئات الالوف ــ ولتسهل تحركاتهم فيها ــ سيرا على الاقدام، وركوبا على السيارات ــ وتخفف الزحام ــ الذي يزداد ــ عاما بعد عام ــ لاسيما حول مسجد سيد الانام صلى الله عليه وسلم.

ولقد اتجهت الدولة.. لتوسيع المسجد النبوي ــ والشوارع المؤديه اليه لنفس الغرض.. لتخفيف الزحام.. وليظهر المسجد النبوي كالكوكب ــ فى وسط المدينة ــ تحيط به ميادين فسيحة، تشجر وتزهر وتظلل.. لتكون مكانا للصلاة ــ عندما يضيق المسجد بالمصلين.

وفي زيارتي الاخيرة للمسجد النبوي ــ مررت بالجهة الجنوبية الشرقية للمسجد.. ومن هذه المنطقة كان مرورنا دائما ــ من منزلنا بشوارع العوالى الى الكتاب بالمسجد النبوي ــ واذا هذه المنطقة باقية كما كانت عليه في زماننا قبل خمسين عاما.. أو تزيد.. وبها ذلك الزقاق الضيق ــ المسمى ــ

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٩٥/١١/١هـ

زقـاق الحمزادي ـــ قد يصل في بعض اماكنه الى متر واحد ـــ ليوصل لحارة الاغـوات.. و يـكثر في هـذه الازقـة الـضـيـقـة تجـمـع الحجاج وتكثر الأوساخ والـروائـح الكريهة التي يخلفها الحجاج وقد وجدت على ناصية الشارع الموصل لحـارة الاغـوات ـــ عـمـارة تبنيها الاوقاف.. وقالوا ـــ ان بها سوقا تجار ية.. و بين هـذه الـعـمـارة وجدار المسجد النبوي حوالي ١٥ مترا.. و بينها و بن قبر الـرسـول الاعـظم صلى الله عليه وسلم حوالى ٢٥ مترا ـــ و قد تذكرت وانا اشـاهـد هـذه الـعـمـارة ـــ مـاكـتـبه عنها اخى السيد على حافظ فى جر يدة المدينة.

وكـنـا نـأمل.. ان الاصلاح للشوارع التى تحيط بالمسجد النبوي والموصلة اليه سوف يشمل هذه المنطقة ـــ ولاأقل من أن يمنع البناء حولها، لانها بجوار المسجد النبوي ـــ ولأن ضغط حركة المرور الى المسجد كبيرا جدا ـــ اذ ان مـنه ثلاثة ابواب للمسجد النبوي ـــ الباب الكبير ـــ باب الملك عبد العز يز ـــ الـذي يـقـع في وسـط الشارع ـــ ومنه مدخل النساء للحيز الخاص بهن في المسـجـد، و بـاب جبر يل، و باب النساء ـــ وكل هذه الابواب عليها ضغط كـبير لايـمـكـن بحـال ان يـتحمله الشارع الشرقى على ضيقه ـــ الذي لايز يد على ١٢ مترا.

و بـينما كـنـا نـترقـب وصول يد الاصلاح لتوسعة هذا الشارع الشرقى ـــ وجـعـلـه ميدانا ـــ نرى ان عمارة ضخمة تقوم على هذا الشارع.. و يبدو ان هـذه الـعـمـارة ـــ وبها سوق تجارى كما سعمنا سترتفع الى طوابق كثيرة لان اعمدتها، ومسلحاتها قو ية ومتينة.

وهذه العمارة ـــ مع الاسف ـــ تقوم ببنائها الاوقاف ـــ وأضغط ـــ هنا على كلمة الاوقاف..

الاوقاف.. الذي كنت اعرف ـــ فيما مضى ـــ انها كانت تدعو ـــ دائما ـــ لتوسعة ماحول المسجد النبوي الشر يف وتعمل لهذا.. وكان لديها مشروعا ـــ فيما اذكـر ـــ هـذا المـشـروع جـعـل المـسجد النبوي في ميدان فسيح مشجر

منسق من جهاته الاربعة بسعة ٣٠٠ او ٥٠٠ مترا و يقام سياج على هذا الميدان ــ فلا تدخله السيارات ــ ومن بعده يبدا فى تخطيط الشوارع ــ وتخطيط مواقف السيارات واقامة المبانى بنسب معينة ــ وذلك احتراما للمسجد النبوي الشريف.. واظهاره بالمظهر المشرف.

اقول ــ الاوقاف ــ التى من اهم واجباتها الحفاظ على جمال المسجد النبوي.. وما يحيط به من شوارع، وميادين ليكون فى ارقى المستويات.. الاوقاف تقيم بنفسها هذه العمارة ــ على بعد ٢٥ أو ٣٠ مترا من قبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وبعد هذا ــ ! ــ اين ستكون مجارى هذه العمارة ــ وماتقدمه من اوساخ، ومياه، وفضلات وكيف يكون بهذه الجوار الطاهر ــ مجموعة من البشر ــ يسكنون و يوسخون، و يضجون.. وسوف تمتلىء العمارة ــ بطبيعة الحال ــ بأجهزة الراديو والتلفزيون ــ وقد تخرق اصوات هذه الاجهزة المواجهة الشريفة لقربها منها. وهل من الادب.. مع مسجد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم، الذي تشد اليه الرحال ــ هل من الادب ــ ان يكون بجواره ضجة كالضجة التى يحدثها سكان عمارة كبرى ــ مثل التى تبنى الآن ــ والى اين يصل الزحام الذي تحدثه ــ ممن يدخل ويخرج ــ منها و يبيع و يشترى فى سوقها التجاري ــ كما يقولون ــ.

ومن جهة اخرى.. اين تقف سيارات من يسكنون هذه العمارة.. وكيف يمكن وصول السيارات اليها ــ مع ضيق الشارع الموصل اليها.

لقد قفل المرور.. الخط ــ من مدخل شارع العوالى الموصل الى باب السلام ــ ليفسح للناس طريق الدخول الى المسجد النبوي فى هدؤ لا تزعج ابواق سيارات المصلين والزائرين.. وهل من المعقول ــ ان تقف سيارات سكان عمارة كهذه بما فيهم من كبار وصغار ونساء وشيوخ ــ على هذا البعد الشاسع عن العمارة ــ ام انه سيفسح مرة ثانية للسيارات بالدخول.. فتصم ابواقها المصلين والقارئين وقد يتسرب دخانها الى المواجهة فيؤذى الناس و يفسد عليهم عبادتهم.

وهل الاوقاف ـ في حاجة الى دخل هذه العمارة.. لااعتقد ذلك ـ لان الدولة تنفق بسخاء على الحرمين الشريفين بمئات الملايين ـ عمارة وفرشا ونظافة، واضاءة.. وكل ماتحتاجه هذه المساجد.

وصاحب الجلالة الملك المعظم يفخر بأنه حامى الحرمين الشريفين ـ وخادم الحرمين الشريفين.

وبعد هذا.. يأتى دور البلدية ومكتب تخطيط المدن بالمدينة ـ البلدية التى ازالت الكثير من العمارات الحديثة الشاهقة.. والقديمة وازالت كثيرا من الاحوشة.. والشوارع ـ وايجاد ميادين عامة في اماكن قريبة من المسجد النبوي.

واماكن بعيدة تؤدى طرقها الى المسجد النبوى وايجاد مواقف للسيارات.

ومعظم.. أو كل التوسعات كان الغرض منها سهولة وصول الناس .. من مواطنين، وزائرين، وحجاجا ـ للمسجد النبوي.. البلدية ـ ومكتب تخطيط المدن ـ كيف يعطيان رخصة بأقامة عمارة.. في منطقة ضيقة يبلغ شارعها حوالى ١٢ مترا ـ بجوار المسجد النبوي ـ التى هو محل تجمع الحجاج.. والحجاج من طبقات مختلفة ـ ولايسلم محل سكنهم وتجمعهم من الاوساخ والفضلات.

على كل هذا شعورا استقر في النفس ـ اثارته هذه المجموعة ـ من ضيق الشارع الشرقى والجنوبى للمسجد النبوي.. وبقاء تلك الازمة الضيقة والضيقة جدا على حالها بعد هذا التطور الكبير في توسعة الشوارع وفتح شوارع وميادين جديدة ـ لتسهيل الوصول للمسجد النبوي الشريف وعدم الازدحام حوله بقدر المستطاع رأيت من الامانة ان اعرض الامر على معالى وزير الاوقاف والحج النابه ـ راجيا أن ينقذ الموقف فيأمر بازالة المبنى ومايجب نحو توسعة الشارع من هذه الجهة الشرقية ـ واذا اريد اقامة مبانى للاوقاف فيمكن في غير هذا الموقع على اراضى الاوقاف ـ التي لايخلو منها مكان بالمدينة.

وارجو له من الله العون والتوفيق،،،،

** تداركوا هذين الشارعين قبل فوات الاوان

لااريد ان اسبق الحوادث.. ولكننى اريد أن أقول.. أن مدينة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم، مقبلة.. على تطور كبير في العمران.. واعتقد أن ماحدث من عمران في السنوات الاخيرة، قد يفوق في مجموعة عمارات المدينة القديمة.

وقد اتجه الاهلون.. في المدينة.. الى السكن في الشقق، والمبانى الحديثة.. الا من اضطرته ظروفه للسكن فيها.. حتى أن الشقة الصغيرة.. قد تزيد اجرتها.. على دار قديمة.. من دورين او ثلاثة ولقد شجع الناس.. على السكن في العمارات الحديثة.. نظافة المبنى، ونظافة مجارى المياه، ونظافة الحمامات، والطرقات، ونظافة الاضاءة بحيث لاتحتاج ربة المنزل الى بذل مجهود اكثر فى التنظيف، والترتيب، والتنسيق.

وانا لااريد ان اتحدث عن هذا.. ولكننى اريد ــ ان الفت نظر المسؤولين الى ان هذا التطور في العمران.. لابد ان يسايره.. تطور فى فتح الشوارع، وتوسيعها وتعبيدها. ومجاراة لهذا التطور. وهذه النهضة العمرانية.. قام مكتب توسعة المسجد النبوي الشريف.. بفتح عدة شوارع.. وتوسعة شوارع اخرى.. ومازال لديها.. مشاريع كثيرة.. بفتح وتوسعة شوارع.. في مختلف انحاء المدينة.. داخلها وخارجها.

ولقد كانت.. بعض هذه الشوارع.. نموذجا صالحا.. لما نرتجيه من توسعة وتنسيق.. فقد خطط ــ بعضها ــ على ان يكون.. ذافرعين.. فرع خصص

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٤/١/٢١هـ

للذاهب.. والاخر خصص للآيب.. وبينهما جزيرة.. لغرس الاشجار.. ثم ارصفة.. على الجانبين ــ يغرس فيها.. ماامكن.. من اشجار وغروسات.. لتلطيف الجو.. وايجاد ظل افضل للمشاة.. وللترفيه عن الجمهور والزائرين وتهيئة الجو الصحى للجميع.

ولقد اعطتنا سيارات الحجاج.. التى وصلت الى المدينة في عام ١٣٨٣هـ من الشمال عبر طريق البر.. اعطتنا درسا.. يجب ان نستفيد منه.. فقد وصل عدد كبير.. من هذه السيارات.. ومنها جرارات ضخمة.. تسحب من ورائها، (احواضا) كبيرة. تتسع لحوالي ٢٠٠ راكب. مما لا تتحمله شوارع المدينة.. بحال من الاحوال.. وكانت هذه الجرارات.. اذا مرت من الشوارع.. تدك الارض دكا.. وتهز المباني هزا.. وتزعج السكان.. بأبواقها ازعاجا.. مما جعل المسؤولين.. بالمدينة ــ يفكرون في علاج حاسم.. باتخاذ قرارات.. بايقاف هذه السيارات.. في اماكن.. بعيدة عن العمران.. مع ضمان راحة الحاج.. وتيسير أمر نزوله الى المدينة.. وزيارته لقبر الرسول الاعظم.. ومسجده الشريف.. واذا كانت الاجراءات الروتينية.. قد اخرت تنفيذ هذا المشروع في عام ١٣٨٣.. فإنا نأمل أن يتم إنفاذه في هذا العام.. على أن المظنون أن عدد هذه السيارات.. سيتضاعف.. عاما بعد عام.. بعد أن أوشك.. خط المدينة ــ تبوك ــ الاسفلتى.. على النهاية.

ولاعود ــ الآن ــ للتحدث عن توسعة شوارع المدينة.. وسفلتتها.. وهو مااردته من هذا البحث.. واحب ان الفت نظر ــ المسؤولين.. الى أن شارعين هامين.. من شوارع المدينة.. قامت الحكومة.. بسفلتتهما.. في اول مشاريع سفلتة شوارع المدينة.. لاهميتهما.. سفلتا قبل ان تظهر حاجة البلاد.. لتوسعة الشوارع على نطاق واسع.. لانهما كانا يؤديان غرضا خاصا.. هو ربط المدينة.. بالمزارات.. التي اعتاد الحجاج زيارتها.. عند قدومهم للمدينة.. هذان الشارعان هما شارع ــ سيد الشهداء.. الموصل الى احد وماحول احد.. وشارع سلطانه.. المؤدى.. لمسجد القبلتين.. والقصور الملكية والجامعة الاسلامية ــ هذان الشارعان سعة كل شارع منهما ٦ أمتار

فقط.. وعلى جانبيها.. متر أو متر ونصف.. معبد وغير مسفلت.. ولم يعد يفي بالغرض الان ـ شارع عرضه ستة امتار.

انني اذكر: ان امرا ساميا ـ صدر بأن يكون سعة الشوارع التي بمدخل المدينة.. واطرافها ٤٠ مترا.. واني ارى المباني.. بدأت تقوم... على جانبي هذين الشارعين.. واخشى ان يأتي وقت.. يتعذر فيه.. توسعتها.. اذا قامت مبان ضخمة ـ على حافيتها..لأن.. التوسعة حينذاك.. قد تكلف.. مبالغ باهظة.. اذا نحن.. اضطررنا الى نزع ملكية هذه المباني.. والان لايوجد في هذين الخطين لو وسعا مبان تذكر تستحق الازالة.. وغلطة شارع قباء.. ليست عنا بعيدة ـ لقد خطط شارع قباء زمن فخري باشا في عهد الاتراك.. قبل ٥٠ سنة.. وكان سعته ١٢ متراً.. وكنا مغتبطين به.. كأعظم واوسع شارع بالمدينة المنورة.. ولكنه ظهر اليوم.. ان اثنى عشر مترا.. لشارع رئيسي، كشارع قباء.. لايتسع لحركة المواصلات الحديثة.. مما اضطر البلدية أن تفكر في توسعته ليتحمل ضغط المواصلات العنيفة.. وقد تعذرت توسعته.. بعد ان قامت على جانبيه.. مبان وعمارات شاهقة.. ولو ارادت البلدية ان تعوض اصحاب هذه المباني، والعمارات.. لعجزت عن تسديد تعويضاتها.. لانها ستكلف ملايين الريالات.. لضخامتها، وكثرتها وجدتها ـ وقد اضطرت البلدية اخيرا.. ان تترك هذا الشارع على وضعه.. وان تفتح شارعا.. موازيا له.. من الجهة الغربية.. ليكون احدهما للذاهب والاخر للآيب.. وذلك بعد ان ضاعت فرصة توسعته.. باقامة المباني حوله.. ورغم ان هذا الاجراء سيحل ازمة حركة السيارات.. الا انه ـ لو جعل شارعا واحدا.. على نسق شارع ابى ذر، او شارع العوالى ـ لكان اعظم جمالا، وأروع منظرا ـ ولكن للضرورات احكام.

ان المباني حول شارعي.. سيد الشهداء وسلطانة.. قد بدأت تمتد تدريجيا.. واخشى ماأخشاه.. ان تزداد هذه المباني.. فتضيع علينا.. فرصة توسعتها.. او ان نضطر. الى دفع مبالغ كبيرة لنزع الملكيات.. وسوف تنتشر المباني بسرعة مذهلة.. اذا نفذ مشروع اتمام اضاءتها بالكهرباء ومد شبكة

الخطوط المائية اليها.. في مشروع العين الزرقاء الكبير.. الذي وافق عليه — كما علمنا — مجلس الوزراء.. وهو تحت التنفيذ.. لذا — ارى المبادرة فى تخطيطها.. على نحو تخطيط شارع ابى ذر — مثلا فيكون كل شارع.. ذا فرعين — احدهما للذاهب والاخر للآيب.. والا يقل كل فرع عن ١٢ الى ١٦ متراً.. تفصل بينهما جزيرة لغرس الاشجار.. وبجانبهما ارصفة للمرور. اننى ارى المبادرة.. في تخطيطها.. وتقديمها للدولة.. كمشروع من مشاريع المدينة.. قبل ان تنتشر المبانى حولها.. وقبل ان تفوت الفرصة.. كما فاتت في شارع قباء.

هذه كلمة احببت ان الفت بها نظر المسئولين الى هذين الشارعين وارجو ان تكون محل الدرس والاهتمام.

* بنك التسليف الزراعي

الزرارعة هى احدى الدعامات الكبرى لنهضات الامم الاقتصادية.. وهى اول ماعرف الانسان.. من وسائل الحياة.. وعليها تترتب حياة ورفاء البشرية.. لذلك كان اهتمام الامم والحكومات.. اهتماما بالغا بها.. والبلاد المنتجة والمصدرة خير من البلاد المستوردة.. لأن الثانية تبقى تحت رحمة الاولى في جميع الظروف والمناسبات — ومعظم البلاد التي مسها الجوع والسغب ايام الحروب العالمية الاولى والثانية.. هى البلاد المستوردة للغلال والمنتوجات الزراعية — وان اقل مايجب هو ان تستطيع البلاد الاستغناء عن غيرها من منتوجاتها الزراعية استغناء ذاتيا وبلادنا — كما يحدثنا التاريخ — من البلاد المصدرة للغلال والحبوب وغيرها من المنتوجات الزراعية لامستوردة.. ولكنها للاسف اليوم تستورد حبوبها وفاكهتها من الخارج — مع توفر اراضيها الزراعية.

وعندما طرح في الميدان.. موضوع صوامع الغلال.. اذكر اننى كتبت كلمة تحت عنوان — «الغلال اولا ثم صوامعها» واستغربت كيف تباع الغلال الواردة الينا من استراليا اقصى الشرق ومن كندا اقصى الغرب..

كيف تباع في اسواقنا باسعار اقل من منتوج بلادنا.. مما سبب اعراض المزارعين عن زراعة الحبوب كليا، وحتى اصبحت مزارع الحبوب وآبارها.. خاوية على عروشها.

لقد كنا نعرف منذ زمن. وليس بالبعيد.. انه اذا جاء موسم زراعة الحبوب يتهافت الناس.. حتى الموظفون، والمتسببون.. لاستئجار المزارع.. وزراعتها وكانوا يجدون خيرا كبيرا منها.. اما اليوم فقد اختفت زراعة الحبوب نهائيا.. او كادت بسبب ارتفاع اجر اليد العاملة هنا وعدم سهولة الالة هناك.

نعم ان السبب الرئيسي ـ كما اظن ـ في رخص اسعار الحبوب المستوردة عما عليه هنا ـ هو توفر الالة هناك.. وعدم توفرها هنا.. واعتقد ان ازمة عدم انتاج الحبوب لاتحل الا باستيراد الالة على نطاق واسع الالة الحافزة والحارثة والباذرة والحاصدة والمعبئة.. واذا لم نوفر الالة للمزارعين فأننا سوف نبقى تحت رحمة غيرنا في استيراد حبوبنا وغير حبوبنا.. لذلك ارى ان من اولى واجبات وزارة الزراعة هى العناية باستيراد الالة الزراعية وجعلها في متناول المزارعين باقل الاسعار.

ومما اضعف الناحية الزراعية ـ ايضا ـ حاجة اكثر المزارعين الى الدين.. من العميل.. العميل الذي لايرحم المزارع ولايشفق على جهده وعرقه.. بل يتخذ لنفسه ارباحا خيالية وقد يؤدي الامر الى ان تكون هذه الارباح تصاعدية.. فيعجز المزارع عن تسديدها.. و يكون قد رهن بستانه.. فيأخذ العميل البستان.. ويخرج المزارع صفر اليدين.. وانا لنعرف كثيرا من هذه المآسى ولانرى داعيا للدخول في التفصيل.

ولقد اغتبطنا واستبشرنا خيراً بتأسيس البنك الزراعي وارجو ان يحل هذا البنك موضوع ديون المزارعين فيعطى المزارعين قروضا مقسطة على مدد معقولة حسب ظروف المزارع وحاجته.. كما ارجو ان تعم فروعه في جميع انحاء المملكة ليستفيد منها جميع المزارعين في مختلف انحاء البلاد.

وقد جاء تأسيس هذا البنك في الوقت المناسب وانى لارجو ان يعم نفعه و يكثر خيره.. والمزارعون كانوا ينتظرون وجوده انتظارهم للغيث فأرجوا ان يحقق امالهم.. ولنا في السادة الذين تولوا ادارته عظيم الامل وكبير الرجاء.

** ازمة المياه في المدينة تناديك يابن عبد العزيز

في مثل هذه الايام.. من كل عام.. تشتد ازمة الماء بالمدينة المنورة.. وترتفع الشكوى.. في بعض انحاء المدينة من قلة الماء وقد تصل زفة الماء.. الى ريال او ريالين.. سيما في ايام موسم الحج.. وقد لايوجد السقاة بالمرة.. في بعض الاحياء فتلحق اضرار بالغة بالسكان من قلة الماء.

وادارة العين الزرقاء.. لم تقتصر فيما لديها من امكانيات.. لتأمين الماء في الأحياء القليلة الماء ولكن امكانياتها.. لم تستطيع سد حاجة المناطق.. التى قل فيها الماء.

وليست هذه الشكوى.. بنت اليوم.. فأنها تتكرر منذ عدة اعوام — في ايام الصيف.. حيث تغور فيها مياه الابار.. وفي ايام موسم الحج.. حيث تتضاعف فيها صرفيات الماء.. واذا جاء موسم الحج في ايام الصيف.. فأن الشكوى لاتكاد تنقطع.. من قلة الماء..

ولدى ادارة العين الزرقاء.. ثلاثة عشر وايتا.. تعبئها يوميا وترسلها.. الى المناطق القليلة الماء لتزويدها بالماء.. وهذا كل ماتملكه من وسائل.. تأمين الماء.. على ان هذه الوايتات — فيما اعلم — انما وجدت لسقيا المناطق النائية.. بأطراف المدينة.. التي لا تصلها مواسير العين الزرقاء.

والسقيا بالوايتات.. ليست طريقة عملية.. لتأمين الماء.. فإن الوايت عندما يقف فى المنطقة التى لاماء فيها.. يلتف حولها العشرات بل المئات من رواد الماء اهلين وحجاج.. هذا بصفيحته وهذا بسطله، وهذا بقدره.. والكل يضارب صنابير الوايت ليحصل على السبق في تعبئة انائه.. وبعد ان

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٤/٣/٤هـ

يفرغ الوايت حمولته من الماء.. تجد تحت الوايت بركة من الماء.. لسؤ التوزيع والمضاربات على السقيا.. فيذهب جزء كبير من الماء سدى.

على أن الوايتات هذه تقف في اماكن خاصة تكون قريبة.. لبعض المنازل.. وبعيدة عن البعض الاخر.. بحيث يتعذر على الاماكن البعيدة.. الوصول الى الوايت.. والارتواء منه.. فتشتد ازمة الماء.. في الاماكن البعيدة عن موقف الوايت وتساهم البلدية في بعض الاحيان ـ ايام الموسم ـ بارسال وايتاتها لتأمين الماء.. ولكن لايمكن كفاية هذه المناطق.. بحال بطريقة الوايتات.

والذي ظهر ـ واضحا ـ أن تأمين الماء للاحياء الآهلة بالسكان بواسطة الوايتات.. ليست عملية ـ بالمرة ـ ولكن للاسف الشديد.. لاتوجد طريقة غيرها لتأمين الماء على أن استعمال الوايتات.. داخل البلد يجعل المناطق البعيدة فيها مواسير الماء والتي كانت تسقى بهذه الوايتات تجعلها في حالة ازمة عنيفة من قلة الماءز

** اسباب ازمة الماء:

أن من أهم أسباب أزمة الماء بالمدينة.. شبكة الخطوط الغير منظمة.. فالشبكة القديمة.. يبدأ تاريخها من قبل خمسين عاما.. وقد وضعت دون دراسات فنية.. بل وضعت كيفما اتفق وبحسب الحاجة فكلما دعت الحاجة الى مد خط جديد.. في شارع أو زقاق، مد الخط من غير أن يسبق ذلك.. دراسات عامة، أو تخطيط خاص.. ويدفن الخط في الارض.. على اعماق مختلفة.. فبعضه نصف متر.. تحت الارض وبضعه اقل.. وبعضه اكثر.. وعلى ابعاد وارتفاعات ليست متساوية.. لذلك تجد الماء متوفرا.. في الاحياء المنخفضة، أو القريبة من الخزان.. ومنعدما في الاماكن العالية. أو البعيدة عن الخزان وهذه الخطوط كثيرا ماكانت تنفجر في الشوارع، والازقة (وتغرق الدنيا).. أما لقدمها وتأكلها.. بسبب رطوبة الارض واما لوضعها وضعا غير فنى داخل الارض، واما لقربها من ضغط السيارات.. وكم من

منزل تصدع.. باسباب هذه الانفجارات.. وكم من دعاوى اقيمت.. على ادارة العين الزرقاء.. بطلب التعويض عما خربته مواسيرها المتفجرة.. ومازال كثير من انفجرت هذه المواسير.. القريبة منها.. لذلك يجب تلافى.. هذا الموضوع فنيا وبالسرعة الممكنة.. ويجب ان تبنى.. بالمدينة شبكة فنية توزع على الشوارع والازقة.. بصورة منظمة.. وأن تقوم هذه الخطوط في انفاق مجوفة تحت الارض بحيث لاتتأثر بالرطوبة فتصان من عوارض المؤثرات الارضية.. واذا حصل تصدع في المواسير، او خراب في الخطوط.. فسرعان مايمكن اصلاحه دون حدوث اى ضرر اخر.. على المنازل والمبانى المحيطة بها.. وبغير هذه الطريقة.. فإن أي شبكة خطوط جديدة.. ستكون مهددة بحدوث ماحصل على الشبكة القديمة.. من تصدع، وتخريب وتآكل شيئا فشيئا، الى ان تعود الحالة الى ماهي عليه الآن.

وارجو أن تجعل ادارة العين الزرقاء ـــ هذا في حسابها.. بحيث لاتمد الخطوط الا في انفاق مجوفة.. ترتكز على اقواس من الخشب او الاسمنت لتستطيع ضمانها مدة اطول، واصلاحها باقرب الطرق.. اذا طرأ عليها اى عطل.. هذا رأى ابدية.. ولاادرى مبلغ امكان انفاذه في رأى المهندسين الفنيين والخبراء.. اقتبسه ـــ مما شاهدته في الخارج من وجود امثال الانفاق التي تمد فيها خطوط الماء والكهرباء والتلفون.

وبعد أن تقام شبكة الخطوط الفنية.. فإنه يجب أن تقام الخزانات الضخمة.. التي تمون هذه الشبكة بالماء وأرى أن تقام هذه الخزانات في عدة مناطق من المدينة.. والا يكتفى بخزان قباء فقط.. فمثلا يقام خزان في جبل سلع مما يلى المدينة.. كما يقام خزان بهضبة المغيسلة.. الذي كان قد تقرر اقامته في عهد الحكومة التركية.. واحضرت له المواسير اللازمة.. لتوزيع الماء من هذه الخزانات بسعة ١٠ بوصة.. وكانت هذه المواسير الكلية والعلمية وغيرها.. ووضعت التخطيطات اللازمة لاقامة هذا الخزان.. ولكنه لم يتم بناؤه ـــ بأسباب الحرب العالمية الاولى ـــ فيما اظن ـــ وبقى هذه المشروع مجمدا.. وعبثت الايام بهذه المواسير فاستعملت لاغراض شتى..

وهذان الخزانان بالاضافة الى الخزان الذي اقيم حديثا بهضبة الخنق بطريق المطار.. وماسيقام من خزانات بمنطقة قباء ــ اعتقد انها سوف تسد حاجة المدينة من الماء وتغذى هذه الخزانات من المناطق التي يتوفر فيها الماء العذب بالطرق التي يقررها المهندسون الفنيون في هذا الصدد.

والمدينة تسقى اليوم.. كلها.. من خزانين في قباء.. سعة كل خزان ٧٥٠متراً.. ومن المعروف أن هذين الخزانين.. وضعا.. قبل حوالي عشر سنوات وكانت تسد حاجة البلد.. من الماء في ذلك الحين وقد تغيرت الاوضاع في المدينة في مدى هذه العشر سنوات.. وتضاعف السكان وتغيرت صرفيات الماء «الطاق عشرة» تقريبا.. والخزانات هى ــ هى ــ بينما انتشرت في جميع انحاء المدينة العمارات الضخمة الحديثة التي تستنفذ كميات كبيرة جدا من الماء.

كما ان الخط الممتد من هذه الخزانات ــ اعنى خزانات قباء ــ الى البلد.. خط واحد فقط سعة ١٢ بوصة.. فلو حصل تصدع، أو انفجار في هذا الخط ــ وقد حصل فعلا ــ اكثر من مرة.. فإنه سوف يقف الماء عن المدينة بأجمعها نهائيا مدة اصلاح الخط.. وقد تطول المدة وقد تقصر ــ حسب الخراب الذي يطرأ ــ ولا تسل عن الشكوى والمتاعب التي يلاقيها الناس.. لو وقف الخط ساعة فقط.. لذا يجب ان يمد خط ثان.. من هذه الخزانات.. لتموين شبكة الماء.. بالمدينة، كما يمد من كل خزان خطان ايضا وأن تكون هذه الخطوط في انفاق مجوفة.. لصيانتها.. ولدفع الاخطار عن المنازل.. التي تمر من جوانبها.. لأن خطر هذه المواسير الكبيرة.. عظيم جدا ــ لو انفجرت ــ لاسمح الله ــ تحت الارض، سيما وهي على اعماق بعيدة تحت الارض.

** المناطق التي توجد فيها الماء:

أن المناطق التي توجد فيها المياه العذبة.. قريبة جدا.. من المدينة.. فإن منطقة قباء ــ التي هى المموتة الرئيسية للماء الان ــ المدينة.. بعد ثلاثة كيلو مترات.. في مناطق اخرى بأطراف المدينة فإنها لا تزيد عن اربع او

خمس كيلو مترات.. على اكثر تقدير.. وهذه المسافات بسيطة جدا.. اذا وجدت العناية.. والعطف.. من المسئولين..

لقد جلب الماء الى جدة.. من مسافة ٦٠ كيلو مترا او تزيد.. ومد منه خطان رئيسيان لتغذية شبكة الخطوط داخل البلد.. وهى اليوم تقيم خزانا ضخما.. يتسع لاربعين الف متر مكعب من الماء هذا عدى الخزانات الاخرى السابقة.. بينما كل مابالمدينة من خزانات سعتها ١٥٠٠ متر مكعب فقط.

اننا نسمع — بموضوع شبكة الخطوط الفنية.. وبناء الخزانات.. في مواقع اخرى منذ عدة سنوات.. وكلما احدقت ازمة الماء بالبلاد.. خرج للميدان المشروع.. واشتغلت الدراسات الفنية وعرض المشروع في المناقصة — فاذا ماجاء الشتاء واكتفى الناس بالماء.. نام المشروع مرة ثانية فمتى يستيقظ هذا المشروع ويقف على قدميه؟.. متى يبتل ريق الناس بأقامة شبكة الخطوط الحديثة والخزانات؟ فتسد حاجة الاهلين والحجاج من الماء العذب وتنقطع الشكوى؟

* موارد العين:

اننى اعتقد — ان موارد العين الزرقاء غير كافية.. ولابد من ايجاد موارد ثانية للعين.. أن الحجاج الذي يرغب ان يصله الماء الى غرفة نومه من مواسير الماء والذي يرفع عقيرته بالشكوى لولاة الامور — اذا قل الماء عنه وقد يكون وجوده من اسباب قلة الماء.. لأن معظم الحجاج يصرفون الماء بغير حساب.. هذا الحاج يجب أن يساهم.. في توفير الماء في المدينة.. بأن يدفع اعانة لادارة العين الزرقاء لتستطيع أن تؤدي واجبها وتؤمن له الماء في كل وقت.. وفي كل ناحية.

لقد كانت ادارة العين الزرقاء تتقاضى على كل حاج ١٥ ريالا.. يؤديها لتساعد على اداء الخدمات اللازمة.. في مجالها.. وكان الماء يصل

للمدينة في الدبول.. تحت الارض.. وكانت مناهل العين الزرقاء لاينقطع الماء عنها ليلا ونهارا.. وماكنا نسمع شكوى ابدا من قلة الماء.. بل كانت الشكوى توجه الى السقاة ايام الحج حين «يطمع السقاة» في الاهالى.. فيرفعون قيمة «قربة» (الماء من قرش الى خمس هلل وقد تصل الى ست هلل.)

كانت ادارة العين الزرقاء تتقاضى.. هذه الخمسة عشر ريالا الى عهد قريب.. على كل حاج.. ولكن الحكومة الغت هذه الخمسة عشر ريالا — فيا اظن — يوم الغت الرسوم.. التى كانت مقررة على الحجاج.. وبقيت موارد العين الزرقاء — بعد الغائها — ضيئلة جدا.. ولا تمكنها من اقامة مشاريعها ذات الاهمية.

لقد قال سمو الامير فيصل في خطابه التاريخي الجامع — الذي القاه في حفل هيئة العين العزيزية لافتتاح خزانها الجديد بجدة.. قال سموه الكريم: هي مؤسسة خيرية واحب ان اوضح كذلك — انها ليست حكومية — وانما هى خيرية — مستقلة.. وان ميزانيتها مستقلة عن ميزانية الدولة.. وان الدولة.. لم تصرف عليها منذ انشئت الى الآن.. وأن لها ميزانيتها الخاصة وارداتها الخاصة، ولم تصرف عليها الدولة قرشا واحدا منذ انشئت الى الآن.

وادارة العين العزيزية لها وارداتها الضخمة من مدن الحجاج وغيرها.. وقد استطاعت ان تتخير.. خير المشاريع واحسنها، وتقدمها للبلاد — ومن أخصب تخير — لذلك يجب أن تتوفر لدى ادارة العين الزرقاء الواردات الكافية — وأقل مايجب أن يدفع كل حاج يصل المدينة ١٠ ريال لادارة العين الزرقاء — بدل الخمسة عشر ريالا — التي كانت تتقاضاها من الحاج سابقا. واعتقد أن الحاج يدفع هذا المبلغ وهو مسرور.. مادام لتوفير الماء في البلد.. الذي شد اليه الرحال لزيارة مسجد المصطفى — صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره الشريف — وبذا يتسنى لادارة العين الزرقاء ان تكتفى

بوارداتها وتقوم بمشاريعها التي توفر الماء باستمرار للسكان والحجاج.

أما مشروع شبكة الماء الحديثة ومشروع اقامة الخزانات الضخمة فأنا نرجو أن تتبناه الدولة.. وتقيمه وتهديه الى ادارة العين الزرقاء.. تهديه الى بلد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم.. وأنا واثقون من أن هذا المشروع سيحقق للمدينة مثل ماحققه مشروع العين العزيزية لجدة.. أن عين العزيزية كانت هدية اليد البيضاء يد المغفور له عبد العزيز والد فيصل — هديته لجدة — بعد أن اقام المشروع الضخم كاملا وسلمه لمدينة جدة — وعزز المشروع بعنايته ورعايته، وبما يؤمن نفقاته وارداته التي حققت للمشروع النمو والنجاح.. وأن تاريخ جدة وتاريخ البلاد لاينسى ابدا — هذا اليد الكريمة، والحسنة الجارية.

أننا نرجو من فيصل بن عبد العزيز ان يقتدي — بعبد العزيز — في هذا السبيل.. فيقيم مشروع مياه المدينة.. من خزانات وشبكات خطوط.. وكل مايحتاجه المشروع.. ويهديه لبلد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم.. الذي حث على صدقة الماء وقال — أن في كل كبد رطبة اجرا — وان رجلا دخل الجنة بشربة ماء قدمها الى هرة — او كما قال عليه السلام — نرجو أن يهدي هذا المشروع الى المدينة و يساعده بما ينمى واردات العين الزرقاء والاكتفاء بها كلما اكتفت مدينة جدة بمشروعها.. بعد ان اقدم لها المشروع كاملا.

ان المدينة — ياابا عبد الله — في أمس الحاجة — اليوم — الى مشروع الماء.. وان بين يديك الفرصة.. لتقيم هذا المشروع، وتخلد به كما خلد والدك العظيم عبد العزيز الى الابد.. ان بين يدينا التاريخ يحدثنا قبل الف سنة عن زبيدة التي جلبت الماء الى مكة، وعن مروان بن الحكم الذي جلب الماء الى المدينة، وعن عبد العزيز الذي جلب الماء الى جدة، وستضم — الى التاريخ الخالدين بجلبك الماء الى المدينة — بعد ان عفى مشروع مروان.

ان الفرص سوانح ــ ياطويل العمر ــ وأنها قد لا تتكرر ــ دائما ــ وأنى أحب أن يتم هذا الخير، وأنه يكفينى من الأمر أن أكون دالا على الخير، وأن ينالنى أجر الدال على الخير، وهو كل ماأملك.

أن بلد الرسول ــ ياابن عبد العزيز ــ تناديك.. لأن تحل أزمتها من الماء.. وأنك قادر على أن تصنع معها شيئا ــ فأنظر ماأنت صانع.. تولاك الله بحفظه وتوفيقه.

** من الحافظة :

واذا كانت النفوس كبارا	تعبت في مرادها الاجسام
تعب كلها الحياة فما اعجـ	ـب الا من راغب في ازدياد
محن الفتى تنبئك عن فضل الفتى	والنار مخبرة بفضل العنبر
قد يهون العمر الا ساعة	وتهون الارض الا موضعا

** كيف كانت تشرب طيبة بالامس وكيف تشرب اليوم

الماء هو حياة كل شيء في هذا الوجود.. قال تعالى «وجعلنا من الماء كل شيء حى» وقد من الله تعالى على البشرية بأن جعل هذه المادة الحيوية الهامة ــ الماء ــ متوفرة على سطح الارض، في الأنهار والعيون والبحار، ومتوفرة في جوف الأرض، وبين طبقات السماء.. ينزلها على الأرض مدرارا ــ بقدر فتشكل ينابيع في الأرض وجعلها مشاعة للجميع.. كالهواء، والعلم.. لا ثمن لها.. الا ماكان من أمر نقلها الى أماكن الناس.

ولقد كان اهتمام حكومتنا الموفقة بأمر تأمين الماء.. اهتماماً كبيراً، لأن معظم بلادنا صحراوية قليلة الماء العذب، فكان من أولى المشاريع التي اهتمت بها الدولة توفير الماء العذب لسكان المملكة.. شربا واستعمالا وزراعة.

ولقد اجرى جلالة المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله.. عين العزيزية بجدة.. وكانت مدينة جدة لا تعرف الماء العذب الا ماكان من الامطار المخزون في الصهاريج، أو ماء الكنداسة الذي لايكفى لعشر سكان جدة.. وكانت جدة بسبب قلة الماء العذب محرومة مما تخرجه الارض من نبتها وفاكهتها، محرومة من رمانها، وعنبها، وزيتونها، وتينها، وتفاحها.. الا ماكان يجبى اليها من هنا وهناك.

وكان سكان جدة يقدرون بعشرات الالوف فأصبحوا بعد العين العزيزية يقدرون بمئات الالوف.

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/١/٢٨هـ

وهاهو جلالة الملك خالد بن عبد العزيز يهتم اهتماماً بالغاً بتوفير الماء في مختلف انحاء المملكة، كما يهتم سمو ولى عهده الامين بمشاريع المياه.. ولما عجزت الآبار عن توفير الماء العذب.. لجأت الدولة الى تحلية ماء البحر.. وسحبه للأماكن القريبة، والبعيدة.. ولست في مجال احصاء ماقامت به الدولة من تحلية الماء، في المناطق التي تنعم الآن بالماء العذب.. ولكنى سوف اتحدث عن العمل العظيم بسقيا مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم من ماء التحلية الذي يكرر بينبع، ويدفع في مواسير الى المدينة المنورة.

وان من اهتمام جلالته البالغ، بايصال ماء التحلية الى المدينة المنورة، توجهه الى بلدة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ليصلى في المسجد النبوي الشريف ويزور قبر المصطفى عليه السلام ومن ثم يتولى بنفسه فتح صمامة الماء التي تغذي بالماء الزلال العذب من ماء التحلية.

وبين يدي بطاقة، من اخى الصديق احمد محمد محمود رئيس التحرير يطلب منى التحدث عن الطريقة التى كانت تسقى بها المدينة من قبل، والمصاعب التى تواجهها.

وبما انى قد عشت فترة حياتي الأولى بالمدينة المنورة، وشاهدت الصعوبات التي كانت تسقى بها المدينة قبل اكثر من نصف قرن.. فسوف اتحدث عن تلك الفترة، وماقبلها وما بعدها لو ساعدتني الذاكرة.. ولو اعطانى الاستاذ رئيس التحرير فرصة أوسع لأمكن التحدث عنها بتوسع ولكن ضيق الوقت يضطرنى للاقتضاب بقدر ماتسمح الذاكرة، والمراجع، وبقدر مايسمح الوقت الذي حدد لهذه الكلمة.. وهو عطلة يوم الجمعة فقط.

* كيف كانت تشرب المدينة

كانت المدينة.. منذ أن فتحنا عيوننا على الدنيا تسقى من العين الزرقاء وكان بالمدينة خمسة مناهل للسقيا، يسميها أهل المدينة بالعيون.. وتستمد هذه المناهل ماءها من العين الزرقاء وهي عين المناخة وكانت بجوار مسجد

الصديق ابى بكر رضى الله عنه وهذه العين ذات قسمين قسم لسقيا الرجال، وقسم للنساء، وعين الساحة ــ بقرب باب الشامي وعين باب السلام، وعين الحاره، في حارة الاغوات في طريق البقيع، وعين الزكى في شمال مسجد السقيا بقرب قبر النفس الزكية. وكانت كل محلة تسقى من العين القريبة منهم وللسقاة نظام معروف.. وشيخ السقاة كان يطبق النظام بدقة ومن أهم مانعرفه عن النظام.. احترام السقاة للمنازل التي يسقونها لأنهم قد يدخلون هذه المنازل وليس فيها الا النساء وشيخ السقاة اذا ثبت لديه اى انحراف من «السقاة» يعاقبه عقاباً شديداً بطرده من الصنعة أو بالعقاب البدنى وله التفويض من الحكومة بذلك صيانة للمحارم.

* الاسعار:

كان والدي رحمه الله مرتبا سقا للمنزل.. يسقى لنا هكذا: يوم قربة ويوم قربتين واذا نقص علينا الماء خلال الاسبوع، كانت والدتنا رحمها الله ترسلنى الى العين أو ترسل أحد أخواني لشراء قربة من ماء العين وكنا نتضايق من هذه المهمة ــ لأن السقاة لايمشون معنا بسهولة وعند طلب السقا يسأل أولا عن المنزل ثم يسألون فوق والا تحت.. فإذا كان المحل بعيداً أو في أحد الأدوار العلوية.. يتركنا ويقول مشغول.. وكان يوجد عندهم نظام.. بألا يتركوا الطفل أو المرأة واقفة على باب العين بل يلبون الطلب حالا.. واذا ماتأخر السقا عن اجابة طلب الطفل أو المرأة يأمر الشيخ أول سقا طالع من العين بالذهاب معه دون معرفة ظروفه.

ولكل اسرة من الاسر سقا مخصوص معروف لدى الأسرة.. وعندما ينقص الماء ويطلب سقا الاسرة يحضر حالا اذا وجد.. وهذا الماء الذي يسقى من العيون للشرب، أو للطبخ، أو التصبين، فقط أما بقية الاستعمال للحمامات وغسل النحاس وغسل الدرج، ورش السطوح صيفا، ورش باب الزقاق، فأنه من بئر المنزل، ولا توجد دار بالمدينة ابدا وليس فيها بئر.. وكان أول مايبدأ في العمارة يبدأ بحفر البئر وتطوى البئر بالحجر الأسود، ويعلق في

أخر دور من الدار ومعظم الآبار تكون صالحه وقل أن توجد بئر بالمدينة ماؤها حلو.

وتوضع (بكره) بفتح الأول والثاني والثالث واسكان الأخير.. في آخر دور بالمنزل و يوضع على البكره حبل، بعمق البئر.. وسيدات البيوت، أو جواريهن أن كان لهن جوار يجبدون من البئر حسب حاجة المنزل.. والدار التي ليست بها بئر لايمكن أن تسكن ابدا وأذكر أن راتب السقا على أساس يوم قربه و يوم قربتين (مجيدي ونصف) ريال ونصف ريال واذا زاد ريالين الا ربع وقيمة القربه من العين هللتين الى ثلاثة.

وهذه المناهل أو العيون ينزلون لها بدرج كثيرة أظنها لا تقل عن ٤٠ أو ٥٠ درجة.. و يوجد بأسفلها ثلاثة أو أربع بزابير تصب الماء باستمرار ليلاً ونهاراً للسقيا.. ولابد للسقا انتظار دوره ولاأعرف أنني جئت العين والا كان الزحام على هذه البزابيز شديداً وتوجد أماكن للسقاة من العين الزرقاء غير هذه المناهل.. ففي المراكشية والحجازية، والمحمودية، والمراجانية، والطيبية، والمشرفية وزقاق النخاولة، وتوجد فتحات تمر منها العين الزرقاء وتسمى هذه الفتحات (خرزه) يضع السقاة عليها بكرات و يروون منها، للدور القريبة من هذه المحلات و بعض السقاة، يسقون بالقرب الشعالى وهي القرب الكبيرة ولها صناعة خاصة، وبعضهم (بالزفة) والزفه هي تنكتين يحملهما السقا على عصا يضع فى كل طرف من العصا تنكة وسعر الزفه أقل من سعر القربة الشعالي و بعض البادية يسقون بقرب عادية وقيمة زفة الماء أو القربة العادية من هلله ونصف الى هللتين وقد تصل فى المواسم الى ثلاث هللات.

* العين الزرقاء:

يقول الشاعر الشيخ ابراهيم اسكوبى في وصف العين الزرقاء

لبلدة خير الخلق
فلا تعذلوني ان فتنت بها عشقا

يقولن في زرق العيون شامة
وعندي أن اليمن في عينها الزرقاء

والعين الزرقاء هى العين التى يشرب منها أهل المدينة منذ أوائل القرن الهجري الأول وقد أجرى هذه العين مروان بن الحكم بأمر من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان. وكان مروان واليا على المدينة من قبل معاوية وكان أزرق العينين.. فسميت العين بالعين الزرقاء وهي في كتب التاريخ عن الأزرق.. وقد أجرى مروان هذه العين من تحت الأرض بعمق من ٤ أمتار الى ٦ أمتار. أجراها من بئر كبيرة بقباء لا تبعد كثيرا عن مسجد قباء.. وهي بئر أريس.. البئر الذي سقط فيها خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وعجز من جاء بعده فى اخراج الخاتم عندما كان خليفة للمسلمين.. وتسمى أيضا «بئر الخاتم».

وبمرور السنين كانت هذه العين يقل ماؤها فتحفر آبار أخرى وتسلط على دبل العين ثم اضطروا الى وضع مضخة ترفع الماء للدبل. وفى عهد حكومتنا الموفقة بنيت خزانات كبيرة في قباء تملأ بواسطة مضخات.. ووضعت مواسير ضخمة بدلا من الدبل لسقيا المدينة.. وعمم ادخال الماء الى المنازل بواسطة المواسير.. وفي أيام المواسم يقل الماء كثيرا وقد ينقطع الماء في بعض المحلات، وتؤمن العين الزرقاء الماء بواسطة الوايتات.

أما دبل العين الذي مشاه مروان بن الحكم فهو يتجه من قباء شمالا الى المدينة بصورة مستقيمة ومتعرجة حسب طبيعة الأرض و يتدرج في العمق من قباء الى أن يصل الى المصلى بالمناخة ـــ ويجرى الماء من مجريين أحدهما علوي و يسميه أهل المدينة الماء الحلو وهو الذي تشرب منه المدينة،

والثانى أسفل منه بحوالى ستين الى ثمانين سنتيمترا و يسمى المالح، وهو عذب ليس مالحا.. ولكن وضع لتصفية الماء العلوي كما يقولون و يتفرغ الدبل من المصلى الى المناهل الخمسة التى تقدم ذكرها.. ثم يجتمع في منهل واحد عندما يصل الى عين الزكى التى بقرب قبر النفس الزكية.. و يتجه الى الشمال في قناة واحدة.. فتغذي خيف الاغوات على بعد حوالى كيلو متر ونصف ثم يتجه الى الشمال فى قناة واحدة.. فتغذي خيف الاغوات على بعد حوالى كيلو متر ونصف ثم يتجه الى مصبه الاخير في البركة.. وهي موضع بين الجرف والعيون و به عدة بساتين وكانت هذه البركة منزل حجاج الشمال عند ورودهم وصدورهم يسقون منها مواشيهم و يشر بون.. وتوجد فتحات على طول الدبل من مدخله في قباء الى مصبه فى البركة.. وهذه الفتحات تسمى (خرزه) ينزل منها خدمة العين لصيانة الدبل، وتنظيفه واذا وجدت الخرزة عند مكان مأهول بالسكان يوضع عليها (بكره) و يسقى منها السقاة.. وتوجد مغاطس في مجرى الدبل فى أماكن متعددة تمتلىء بالماء.. ومداخل الماء معروف لدى الجميع أما مخرجه.. فلا يعرفه الا خدمة العين.. ووضعت هذه المغاطس لتحول دون دخول أى أحد الى المدينة عن طر يق الدبل لأن من نزل فيها لايستطيع الخروج منها الا من حيث دخل.

ولصيانة العين الزرقاء خدمة متخصصون من أسر المدينة المعروفة و يسمون بالمدينة (عبيد العين) ولهم اوقاف كثيرة وليس لهم مرتبات واذكر ان ناظر وقف خدمة العين كان الشيخ حمزة حلا به من اعيان المدينة وافضائلها والآن وقد انتهت مهمتهم من صيانة العين بعد وضع المواسير لمجرى العين بدل الدبل فأن اوقافهم لازالت لهم وناظر الوقف الآن من آل العسيلان.

* خدمة العين الزرقاء

منذ انشئت العين الزرقاء لها خدمة مخصوصون من اسر معروفة يتوارثون هذه الخدمة.. وفى عهد الحكومة العثمانية تولى سيادة السيد ز ين العابدين مدنى رئاسة العين الزرقاء وهو من كبار أسر المدينة المنورة وأعيانها.. وقدم

للعين الزرقاء كثيرا من الخدمات وهو الذي شكل ادارة العين، ورشح اعضاء لهيئة العين الزرقاء، وعين موظفين وقدم للعين خدمة تذكر وتشكر وكان أعضاء لجنة العين الزرقاء يعملون مجانا وفي عهد حكوتنا الموفقة عينت لهم رواتب ومكتب مؤلف من سكرتير وموظفين آخرين.

واللجنة التى شكلت للعين الزرقاء في ذلك الوقت كانت من المشائخ على كابلى، حمزة حلابه، عتيق المخرج، حسين حياد، عباس قم قم جى، عبد الله حافظ، وشكل المكتب من السادة محمود ديولى رئيس المكتب، حمزة جليدان معاون رئيس المكتب غازي ذياب ناصر، أمين الصندوق، وفي عهد السيد زين العابدين مدنى مدت ماسورة ماء من المدينة الى ساحة سيد الشهداء بوادي قناة (سيل سيدنا حمزة) وسبب مد هذه الماسورة ان الحاج يوسف مامسه من حجاج الهند زار المدينة في احدى مواسم الزيارة وزار سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وشهداء أحد في موسم الرحيبة.. وكان الصهريج الموجود بساحة الشهداء لا ماء فيه وهذا الصهريج يملأ من واد قناة وارتفع سعر الماء بصورة خيالية حتى قال البعض أن سعر قربة الماء وصل الى مجيدي واحد ويسقون من أماكن بعيدة من آبار تسمى الحسو فاقترح الحاج يوسف مامسة على السيد زين العابدين مدنى ــ مد ماسورة ماء من العين الزرقاء الى ساحة الشهداء وتعهد بجمع تبرعات وقابلا حاكم المدينة بصرى باشا ورحب بالفكرة ولكنه قال ان الحكومة مقبلة على حرب ولا تستطيع تمويل هذا المشروع فتعهد له السيد زين العابدين مدنى والحاج يوسف مامسة بدفع التكاليف واذن بصرى باشا لهم بالاستفادة من الخزان الكبير فى القلعة وكانت العين الزرقاء تمر من القلعة.

وقد قام بالمشروع بالكامل السيد زين العابدين مدنى من ماله الخاص وقد اخبرنى السيد يوسف مدنى نجل السيد زين العابدين مدنى أن الحاج يوسف مامسة قد ارسل كامل المبلغ الذي انفق على هذا المشروع من الهند حيث جمع تبرعات من هناك للمشروع ثم والى السيد زين العابدين مدنى بايصال الماء الى الشوارع الرئيسية والاحواش، والازقة تدريجيا، ثم ايصال

الماء الى المنازل.. وعندما كان يقل الماء فى المدينة كانت لجنة العين الزرقاء تؤمن الماء بالوايتات فى الأماكن التى يقل فيها الماء.

والآن وقد كثر سكان المدينة وزاد استعمال الماء زيادة كبيرة بسبب استعمال الحمامات الحديثة واتساع رقعة المدينة رأت حكومة صاحب الجلالة الملك خالد حفظه الله ــ أن تسقى المدينة المنورة من ماء التحلية وان تجرى التحلية بمدينة ينبع من أقرب موقع من البحر من المدينة ويبلغ حوالى مائتى كيلو مترا وقامت بهذا المشروع الضخم الجبار.. وهاهو صاحب الجلالة المفدى يفتتح في الأيام القليلة المقبلة صمام هذا المشروع الكبير.. ونرجوه تعالى أن يجزل له الأجر والثواب على هذا العمل العظيم الخير الجبار أما سقيا المدينة قبل العين فقد كانت من الآبار والآبار المشهورة التى تسقى منها المدينة هي بئر بضاعة وبئر بضيِّعة وبئر حاء، وبئر الفرس، وبئر البوصة، وبئر العهن، وبئر اريس، وبئر انسى بن مالك، وبئر فاطمة بنت الحسين، وتعرف هذه البئر عند اهل المدينة ببئر زمزم وقال كتاب عمدة الاخبار أن السيدة فاطمة حفرتها بيدها في الحرة الغربية حين عجز الحفارة وانها صلت فى موضع البئر ركعتين ثم دعت الله واخذت المسحاة فحفرتها بيدها والسيدة فاطمة بنت الحسين هى حفيدة السيده فاطمة الزهراء الكبرى ومن الآبار المشهورة التى كان يستقى منها أهل المدينة .بئر رومة وهى بئر في وادي العقيق وجاء فى وفاء الوفاء ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال نعم الحفيرة ــ حفيرة المزنى يعنى رومة فلما سمع ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه ابتاع نصفها بمائة بكره وتصدق بها فجعل الناس يسقون منها فى يوم عثمان بن عفان فلما رأى رومة.. أنه قد امتنع منه ماكان يصب منها باع من عثمان بن عفان رضى الله عنه النصف الثانى بشىء يسير فتصدق بها كلها.

وماتزال بئر عثمان حتى الآن موجودة وعليها نخيل ومزروعات وهى عذبة شديدة العذوبة وغزيرة الماء.

وقالت كتب التاريخ أن الإمام علي بن أبي طالب تمنى لو أجرى الله تعالى على يده ذلك فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم).

وقد تولى رئاسة العين الزرقاء بعد السيد زين العابدين مدنى ــ ابنه الأكبر السيد هاشم مدنى ــ ثم السيد عبد القادر غوث.. ثم الشيخ عبد الله الحجام.. ثم المهندس عادل شيره.. وهو الذي يشغل الآن منصب رئاسة العين الزرقاء.. وقد عرف الأستاذ عادل بنشاطه وحسن ادارته واثنى على كفأته ونشاطه كثير كل من زار المدينة.. أو راجعه فى أمر من أمور العين الزرقاء وهو من أسر المدينة المنورة المعروفة.. ووالده رحمه الله.. الشيخ ابراهيم شيره.. من خيرة ابناء المدينة.. وقد خدم المدينة في عدة اعمال رسمية وهو صديق لنا واخ كريم.

واذكر أن الشيخ احمد يس الحناوي قد القى رسالة في العين الزرقاء وقد بحثت عنها لتكون احد مصادر البحث ولكني لم اجدها فمعذره.

سد الغابة
أكبر منجزات الزراعة بالمدينة المنورة

قبل أن أتحدث فى كلمتى الثانية عن المدينة المنورة أحب أن أنوه بالأنجازات الضخمة التى حققتها الدولة للمدينة المنورة في مجال التنمية الزراعية وأقامة السدود في منافذ المياه ومضارب السيول.. ومن هذه الانجازات «سد الغابة» فى شمال غرب المدينة المنورة وهو موضع حديث اليوم..

و يعتبر سد الغابة فى شمال غرب المدينة المنورة وهو موضع حديث اليوم.. و يعتبر سد الغابة من الانجازات الهامة التى نفذتها الدولة وقد قوبل بالشكر والتقدير من أهالى المدينة المنورة لما له من أثر كبير فى حفظ الماء من التسرب الى البحر.

وقد زرت الغابة هذه المرة اثناء تجولى في المدينة المنورة مع الصديقين العزيزين الاستاذ حسن الصيرفى ــ شاعرنا الذي كان ينشر بالمدينة شعره ونثره تحت عنوان المعداوى القديم، والاستاذ عبد الحميد مساعد مدير بلدية الشرق في المدينة المنورة الذي حرص على أن يرينى سد الغابة ومنافعه.

وفي الأصيل انطلقنا فى اتجاه العيون ــ طريق الغابة، وقد تحول هذا الطريق من نخيل عالية، واشجار باسقة وخضرة يانعه الى عمارات ومصانع ومعارض.. ومن طرق ضيقة ملتوية، تغطيها الاتربة الناعمة أو الصباحى المتحجرة ــ الى طريق واسع معبد بالاسفلت ومضاء.. وبعد دقائق من مسيرتنا.. وبعد أن أجتزنا مسيل وادي قناه قال صاحبى.. هذه «المفتيه»

نشرت في العدد ٥٥٣٩ في ٢٥ رجب ١٤٠٢هـ

واعادني منظر بستان المفتيه الى مايزيد على نصف قرن.. عندما كانت المفتيه موضع مقيلنا المفضل وسهراتنا الغنيه بالمرح والسرور.. ونظرت الى ذلك البناء الذي كنت اراه قصرا شامخا وكان محل اجتماعاتنا ومجال سرورنا وبهجتنا.. واذا به اشبه بكوخ متواضع قد اكلت اطرافه السنون، وتداعى بعض اركانه.. وهو يصمد امام تلك العمارات الشامخه التى حوله.. وتذكرت وأنا أجول بطرفى فى أرجاء المفتيه، وما بها من نخيل واشجار ذابله تذكرت الحفله التي اقامها رجال التعليم بالمفتيه تكريما للاستاذ محمود الحمصى الذي عين مديرا للمدرسة الابتدائية بالمدينة ومشرفا على المعارف بها وكان ذلك فى آواخر الاربعينات وممن اذكره الآن أن من رجال التعليم في المدينة الذين اقاموا حفل تكريم الاستاذ الحمصى وهم السيد أحمد صقر، والسيد ماجد عشقى، السيد حسين طه، السيد محمد صقر الشيخ محمد سعيد فارسى، والسيد محمد على طه، والسيد يس.. وكان بالحفلة الشيخ ابراهيم سمان وعبد الستار بخاري وهما معروفان برخامة الصوت وحسن الاداء وحضور النكته ونظرت الى ماحولى مما كنت أعرفه من بساتين وعيون لم ار الا اثارا واطلالا ــ أو عمارات ومعارض وقد كانت هناك «الغرابية» بستان طاهر والاسعديه لآل أسعد والمدينة لآل المدنى وبستان عتيق مخرج، وغيرها من العيون والبساتين.. وقد دمرت جميع العيون التي قالوا أنها تزيد على مائه عين ولم يبق من البساتين الا مايسقى بماء الآبار وهى قليله جدا جدا وتحول كثير من تلك البساتين الى اراضى سكنيه أو صناعية.

مرت بى هذه الذكريات سراعا.. وماشعرت وأنا سارح فى خيالى الا واشارة ضوئية حمراء توقفنا عن السير.. وقال صاحبى هنا اخر العيون.. وهذا (شقيم الديب) عن اليمين وعن اليسار طريق الغابة ــ وشقيم الديب قلعه اقامها الاتراك ايام زمان وهى ترتفع فوق هضبة من هضاب جبل أحد في الجهة الغربية وجبل أحد يشرف على المدينة المنورة من الشمال بينما يشرف من الجنوب جبل عسير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبل أحد أنه جبل يحبنا ونحبه وفى ساحته الجنوبية وقعت معركة أحد.

واتجهنا الى الغابة بعد أن أضيئت الإشارة الخضراء فى طريق اسفلتى واسع.. وعهدى بتلك المناطق كلها اشجار ونخيل وعيون جارية وزروع متشابكة وطرق ترابية وقد عادت الان ساحات ومبانى ولم نشاهد من المزارع الا الشيء اليسير الذي لايذكر أما العيون والمياه الجارية فلا اثر لها. وقال صاحبى أن الأشجار هنا بدأت تنمو ولولا أن الحكومة منعت البادية من قطعها ووضعت جزاء على من يقطع الاشجار الخضراء لما وجدنا عرقا اخضر.. وكان رجال البادية يقطعون هذه الاشجار ويبيعونها حطبا او يفحمونها ويبيعونها فحما وبعد سير يقرب من ربع ساعة من مغادرتنا للعيون اشرفنا على غدير كبير تتحرك امواجه وقد غمر الماء جزءا من الخط الاسفلتى الذي يوصلنا الى سد الغابة فأوقف مسيرتنا.. وقلت لصاحبى الا نستطيع اجتياز هذا الغدير لنرى سد الغابة.. فقال لا تستهمل عمق الماء هنا أنه فى بعض الاماكن يبلغ عشرة امتار عمقا.. وقالوا أنه لايوجد طريق يمر من سفح الجبل وهو طريق غير معبد يلف بحيرة الماء ولكنه خطر ويخشى أن تغرز فيه السيارات..

وهكذا حجزتنا هذه البحيرة عن الوصول الى مبنى سد الغابة الذي سمعنا عنه كثيرا وكنا حريصين على رؤيته ولعل الظروف تسنح مرة أخرى ومن غريب مارأيت في هذه البحيرة التي امتلأت لأول مرة في تاريخ المدينة ولكن لم تكن معروفة لأهل المدينة قبل بناء سد الغابة من غريب مارأيت — رأيت دركترا ضخما من الدركترات الصفراء مرتفع على تل عالى يقوم وسط البحر ومحاط بالماء من جميع اطرافه.. وسألت صاحبى عن وجود هذا الدركتر فى هذا المكان المرتفع والمغمور بالماء فقال ان هذا الدركتر كان يعمل في هذا الوادي وعندما دهمته السيول والامطار واوشكت ان تغرقه صعد الى هذا التل المرتفع للنجاه من الغرق وقد استطاع سائقه ان يتسلق الجبال وينجو من الغرق المحقق لو بقى في مكانه.. وبقى الدركتر محجوزا فوق تلك الهضبه.. وقالوا ان عمق الماء يقارب العشرة امتار هناك..

وعدت الى المدينة متعبا لعلي أهضم ماجمعت من معلومات عن العيون

والغابة والامطار فالتقيت بالصديقين العزيزين الاستاذ عبد العزيز مسلم مدير الزراعة بالمدينة والاستاذ ابراهيم عبد الحميد عباس من كبار المزارعين في البلد والمهتمين بالشئون الزراعية بالمدينة المنورة.. واستطلعت رأيهما في سد الغابة والامطار فقالا.. أن من أهم اعمال وزارة ـــ الزراعة بالمدينة المنورة أقامة سد الغابة.. ولقد افاد سد الغابة بالمدينة المنورة فائدة ماكنا نتوقعها فقد حجز المياه العظيمة التي كانت تتجمع بالغابة من سيول المدينة المتعددة والتى كانت تذوب في البحر من غير ان يستفيد منها احد وقد ارتفع منسوب المياه في الآبار بتلك المنطقة بما يقدر بعشرة أمتار.. وقد تكونت في منطقة الغابة بحيرة كبيرة وسوف تغذى هذه البحيرة آبار المدينة لفترة طويلة.

وقد ارتفع الماء عن منسوب سد الغابة وطفح الماء من الفتحات العلوية للسد مده ١٢ يوما.

ويبلغ طول السد من الشمال الى الجنوب ٦٥٠متراً وارتفاعه ١٠ أمتار وقاعدته ٢٠ متراً ويرتفع من القاعدة بشكل هرمى متدرج الى ٤ أمتار.

أما البحيره الى خلفها السد فإن مساحتها تتراوح بين ٢٠٠٠ متر في متوسط ٩٠٠ متر بعمق من ٨ الى ١٠ أمتار.

وقد بدىء في اقامة السد في ١٣٩٧/٢/٢٧هـ وانتهى في ١٣٩٩/٢/٢٧هـ ولم تسقط امطار على المدينة على مراوى هذا السد الا في المدة الاخيرة حيث اكتشفت هذه البحيرة لأول مرة ويوجد بئر معدنية بقرب سد الغابة يقدر حرارة الماء فيها بـ ٥٠ درجة مئوية ويرتادها الناس من البادية ومن غير البادية للاستحمام والعلاج لأنها معدنية طعما وحرارة وحبذا لو حللت مياه هذه البئر وعرف اثرها الصحى للاستفادة منها طبيا.

وتبعد الغابة عن المدينة المنورة من ٢٠ الى ٢٥ كيلو مترا.. والى عدد آخر للحديث عن العاقول وعن سد العاقول..

ســـــده ، حوضـــــه
العاقول
طريقه مناخـــــه

العـاقـول حـوض كـبير في الجـنـوب الشرقى للمدينة و يقول المؤرخون أنه تـكـون مـن مـواد بـركـانـيـة.. عـنـدما ثار بركان في تلك المنطقة، في السنين الخوالى.

وقـد زرنـا هـذه المـنـطـقـة أيـام زمـان ــ ورأينا مايشبه فوهة البركان ــ وحـولـه مـواد مـصـهـورة.. وقـالـوا أنهـا فوهة البركان الذي قذف حممه هناك وشـكـل حـوض الـعـاقـول ورأينا بعض الأماكن حول حوض العاقول لايمكن المـشـى عـليهـا لأن بها حجارة مسننه ولايبعد أن تكون مواد حجرية مذابة ثم تجمدت كيفما اتفق..

وارضـيـه حوض العاقول ترابيه ناعمة اذا جفت كونت طبقة رملية بيضاء رقـيـقـة.. فاذا ضربتها الشمس تشققت عن نباتات ضعيفة لا تلبث ان تذبل وتـذروهـا الريـاح. ويحـيـط بحـوض الـعـاقـول حـره سـوداء مـعظم حجارتها، وسطحها، غير صالح للجلوس، أو السير عليها.. الا مناطق بسيطه جدا.. ربما كانت بتمهيد صناعى لمن يسكنون حوله.

ومـنظر العاقول من الجو منظر بديع رائع.. فاذا كان خاليا من الماء يرى كـقـطـعـة من الفضة، تلمع في الشمس وحولها اطار اسود كالسوار في المعصم الجـمـيـل.. واذا كـان ممـتـلـئـا ماء عكس اشعة الشمس ويخيل للناظر وكأن السماء انعكست على الأرض والشمس تجرى على سطح الماء.

نشرت في العدد ٥٥٤٦ في ٢ شعبان سنة ١٤٠٢هـ.

ويبلغ مساحة حوض العاقول كما حققه أحد مهندسى الشيخ محمد بن لادن الذي قام بعمارة السد.. يبلغ اربعة الاف فدان وطوله ٦ كيلو مترات وعرضه في المتوسط ثلاثة كيلو مترات.. وارتفاعه ٤ كيلو مترات ويخزن من الماء ٨٠ مليون مترا مكعبا.

سـد العاقول

وكان الأقدمون قد بنوا سدا عند منفذ الماء من الجهة الغربية في عهد الحكومة العثمانية وكان بناؤه رضحا بالحجارة المرصوفة بدون لزاقات.. وكان بعض حكام المدينة من الاتراك يخرجون الى العاقول اذا امتلأ ويتفسحون فى ارجائه على الفلك والزوارق.. وبتقادم الزمن تداعى هذا السد واصبحت المياه تتسرب من جوانبه.. وقد رأى الشيخ محمد بن لادن رحمه الله أن يعيد بناؤه على الطريقة الفنية الحديثه لحفظ هذا الماء من الضياع وقد أقام ابن لادن السد في موضع السد القديم بالأسمنت والحديد.. ويبلغ طوله ١٥٥ متراً وارتفاع ٧ متراً وجعل فيه فتحات يمكن غلقها وفتحها اذا اريد رى الأرض المجاورة وتوجد اراضى شاسعة جيدة التربة صالحة للزراعة بأطراف العاقول يمكن ريها منها..

غابة على ارض العاقول:

وكان معالى الشيخ صالح قزاز مدير عام الزراعة في ذلك الحين اراد غرس حوض العاقول بالاشجار ليجعل منه غابه يمكن الاستفادة من شجرها ومن تلطيف الجو في تلك المنطقة وانتدب مهندسين زراعيين لهذا الغرض.. وفعلا ارسل اشجارا.. وغروسات لتنفيذ الفكرة وكان السيد على حافظ مديرا للزراعة بالمدينة وفعلا جرى غرس الاشجار.. ولم تتحقق الفكرة بسبب الجفاف وقلة الامطار فترة كبيرة من الزمن.. وبعد الامطار الاخيرة ارتوت الارض وفاض العاقول وأرجو أن يكون هذا المشروع محل دراسه وزارة الزراعة.

وقد أقام الشيخ محمد بن لادن مع بناء السد استراحة للزوار الذين يزورون العاقول وأقام مصنعا للطوب الأحمر بجوار حوض العاقول.. وقد ساعد هذا المصنع على تقدم العمران ونشاطه بالمدينة.. وكان يقدر ماينتجه المصنع من الطوب الأحمر المحروق باربعين الف طوبة يوميا هذه المعلومات وجدتها في بعض مذكراتي في عام ١٣٧٤هـ.

سد العاقول الجديد:

وقد اقامت وزارة الزراعة في عام ١٣٩٧هـ ــ سداً حديثاً للعاقول على بعد ٦٠٠ متر من سد بن لادن وهو سد قوى متين ويحجز كميات كثيرة من الماء وله فتحات باعلاه لتصريف مازاد من المياه و يصب في حوض العاقول واديان، وادي قناه (سيل سيدي حمزة) ووادي الرمه القادم من طريق تبوك.. وقد امتلاء حوض العاقول مرتين في هذا العام بغزارة كبيرة.. مرة من الامطار التي هطلت في شهر جمادي الثانية ١٤٠٢هـ ومرة ثانية من الامطار التى هطلت في شهر رجب واكتب هذه الكلمة والماء يفيض من سد العاقول منذ اربعة أيام وفي الامطار الأولى استمر يجرى من فتحات السد العليا اكثر من اثنى عشر يوما..

والماء الذي يفيض من العاقول يتوجه الى قرب ارض الزبير ثم الى الغابة مجمع سيول المدينة و ينصرف من الغابة الى الخليل ثم الى الحضيرة فالمندق، فالمليليح، فشجوة ثم أم العظام ثم هذيه فالابريق فالساليه ثم الهجر الثلاثة، و يتجمع في وادي الحمض قبل الوجه ثم ينتهى الى البحر..

حديقة العاقول:

وقد خططت أمانة المدينة المنورة لاقامة حديقة كبرى بمنطقة العاقول بعد ان تقدمت المواصلات وسهل الوصول الى العاقول وقد قسمت هذه الحديقة الى ثلاثة اقسام ــ قسم للنساء وقسم للاطفال وقسم للرجال وكل قسم منفصل عن الآخر..

وستكون هذه الحديقة أول منتزة عام لأهل المدينة المنورة وسوف يكون بجانب هذا المنتزة استراحات كدواوين وأماكن لأستقبال الزائرين وسوف يزود بكل مايحتاجه الزوار من بوفيهات ومبردات ومظلات.. وقد وافق المجلس البلدي على اقامة هذا المنتزة.

أحمد باقدو يتبرع بعمارة المنتزة:

وقد تبرع الشيخ أحمد باقدو بعمارة المنتزة وتوابعه وتسليمه لأمانة المدينة المنورة جاهزا للأستعمال وتقدر تكاليف البناء بـ ٦ مليون ريال.. وسوف يكون هذا المنتزة من أهم المنتزهات لأهل المدينة المنورة في المناسبات المختلفة في الاعياد والامطار وجريان السيول.

وتبلغ المسافة بين المدينة المنورة والعاقول حوالى عشرين كيلو مترا ويقع في الجنوب الشرقى لمطار المدينة ويبعد عن المطار ٦ كيلو مترات حيث أن المطار على بعد ١٤ كيلو متر من المدينة.

ولم نجد طريقا للوصول الى السد الجديد الذي اقامته وزارة الزراعة لأن الأرض بعد أن تشبعت بالماء اصبح من المتعذر سير السيارات عليها ولعلنا نستطيع زيارته في فرصة اخرى.. وأنه ليسرنى أن أشيد بالجهود الكبيرة التي تبذلها وزارة الزراعة لاصلاح الأرض وريها وأقامة السدود التي تحفظ الماء في جوف الارض، وقد لمس الجميع التقدم القريب للاكتفاء الذاتى للمملكة من الحنطة.. والحبوب، وغيرها من المواد الغذائية الرئيسية ولاأريد أن أشيد بجهد واخلاص معالى وزير الزراعة والمياه وحبه لعمله الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ فالكل يعرف هذا وآثاره وأعماله في مختلف نواحى المملكة تتحدث عن ذلك.. وأحب أن ألفت نظر معاليه واعتقد أنه أعلم منى بذلك — أحب أن ألفت نظره الى سد الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه..

هذا السد اذكر اننا زرناه في ربيع الشباب قبل اكثر من نصف قرن واعجبنا به كثيرا وكان عرضه حوالى ٤ امتار واقامه سيدنا عمر على وادي

بطحان واقيم بالحجارة رضخا بدون لزاقات، وكنت سمعت من كبار المزارعين عندنا عن مبلغ اهمية هذا السد وحفظه للمياه وصيانته للقرى التى خلفه من تدفق الماء الذي قد يؤدي الى الاضرار بها.. وهو من الا ثار الهامه التى اقيمت في عهد الخلفاء الراشدين..

واعتقد أنه لم يغب عن وزارة الزراعة دراسة واجراء الاصلاحات اللازمة من أجله أو تجديده على الطريقة الفنية الحديثة لاهميته الكبرى وفائدته العظمى .. ونظرا الى اننى سوف اترك، القلم لاضطراري الى السفر للعلاج فإنى اعتذر عن مواصلة الحديث عن بقية الرحلة وعن ملاحظاتى بالمدينة المنورة رغم تزاحم الخواطر والأفكار..

ولكنى سوف اتحدث عن موضوع واحد لاهميته في نظري ذلك هو شارع قباء اصبح أهم وأعظم شارع بالمدينة المنورة ودائما وفي أى وقت يكون مزدحما من السيارات بخطيه الطالع والنازل.. وفي كل يوم يزداد ازدحاما ولابد من اعادة النظر في توسعته واصلاحه..

وقد كنا اقترحنا واقترح غيرنا من قبلنا ازالة الحاجز الذي يفصل بين الخط الطالع والخط النازل ثم تخطيط الشارع تخطيطا يتفق مع أهمية الشارع وموقعه ومكانته ولكن مع الأسف رأيت الأن عمارة تقوم في المثلث الذي يفصل بين الشارع الطالع والنازل من أول الشارع وارجو أن أكون مخطئا في تصوري اقامة تلك العمارة واذا قامت العمارة لابد أن يقام في الطابق الأول معارض بها وفي الطوابق الاخرى مساكن و يتطلب ذلك حركة عدد كبير من السيارات للسكان وللمعارض فيختنق عنق الزجاجة هناك اكثر مما هو مختنق ونحن نؤمل، ان يزول هذا الحاجز بأكمله لتوسيع الشارع وتخطيطه تخطيطاً جديداً يتناسب مع الحركة الكبيرة من السيارات التي لا تقطع ليلاً أو نهاراً.. (لا أن يزاد في الطينه بله).

واذكر بالمناسبة أن في جوانب الشارع الرئيسى من الجهة الشرقية والجهة

الغربية ازقة فرعية كثيرة وهى على وضع لايسر فهي ضيقة وملتوية وبعضها غير نظيفة يتجمع فيها، الاوساخ ولاتصلها يد التنظيف.. وارى أن تنظيم هذه الازقة الفرعية تنظيماً جذرياً وتوسع وتزفت بحيث يسهل على السيارات اجتيازها بسهولة ويسر.. وهى ازقة كثيرة كلما تركت ازدادت مشاكلها وازدادت تكاليف اصلاحها.. وانصاف الحلول اصبحت لاتجدي اليوم.. والى حديث آخر أن شاء الله.

** عمارات الاسكان في المدينة المنورة واقتراح

المدينة المنورة ــ من المدن الرئيسية التي اهتمت بها وزارة الاسكان ــ تقام فيها عمارات سكنية لذوى الدخل المحدود ــ ومعظم مدن المملكة قامت فيها عمارات سكنية شاهقة ــ ذات شقق أنيقة تتسع لآلاف الأسر والعوائل.

ولاشك أنها فكرة رائدة، وسديدة ــ عادت على البلاد وأهلها بالرخاء وتيسير السكن لذوى الدخل المحدود ــ سيما أبناؤنا الذين يعودون من الخارج بعد اتمام دراساتهم الجامعية والعالية ــ فلا يجدون سكنا بأجور معقولة ــ وهم فى مبدأ حياتهم العملية.. و يريدون تكوين أسرة متكاملة.. وقد يضطر بعضهم لترك الزواج لعدم وجود السكن المعقول.

* قبل التنفيذ :

وعمارات الاسكان كلها خير.. فقد عادت على جميع المواطنين بالرخاء ــ فمنذ الشروع فى اقامتها ــ هبطت أجور العقار بطبيعتها.

وقد تعاونت هذه الفكرة الصائبة.. مع فكرة القروض العقارية.. التي شملت جميع أنحاء المملكة ــ تعاونت على الحد من ارتفاع اجور السكن.. التى كانت في تصاعد مريع ــ فنزلت اسعار السكن نزولا ملموسا.. حتى أصبح الناس يشعرون.. بأن العرض أكثر من الطلب ــ فأصبحوا يتخيرون ــ على طريقة ــ (من اخصب تخير) ــ و يشترطون المميزات الزائدة فيما يعرض من شقق وفلل ــ يشترطون وجود المطابخ، والكنديشنات، والستاير، وجودة التشطيب (والديكورات).. أما العمارات الخالية من المميزات.. فقد لاتجد مستأجرا لها.

نشرت في جريدة المدينة في ١٤٠٠/٥/٣هـ

أنها لأياد كريمة من الدولة.. على المواطنين؟.. هذه القروض العقارية، وهذه العمارات السكنية ـ لذوى الدخل المحدود.. ساعدت الكثير من الأسر، وقضت ـ أو أوشكت أن تقضى على أزمة السكن.

ومعظم عمارات الاسكان في المملكة انتهت وهي في طريقها للتوزيع على مستحقيها بأجور معتدلة أو رمزية. وقد شكلت لجان لتوزيع هذه المساكن على مستحقيها ولقد أفادت البلد قبل التوزيع فكيف بها بعد توزيعها فأن فائدتها سوف تتضاعف، وتتضاعف.

اريد بكلمتى هذه أن اتدرج الى الحديث عن عمارات الاسكان ـ بالمدينة المنورة ـ في زيارتى الاخيرة لطيبة الطيبة.. علمت أن وزارة الاسكان مهتمة بشأن العمارات السكنية بالمدينة المنورة اسوة بمدن المملكة الاخرى ـ وأنها تحصلت على قطعة أرض واسعة ـ في الحزام الأخضر.. في العالية.. بين قباء وقربان.. وهذه المنطقة من أحسن مناطق المدينة مناخا وجودة ـ هواء ـ وقد ورد في الأثر (عليكم بالعالية).. وعلمت أن الأرض حكومية ـ وتحصلت عليها وزارة الاسكان مجانا لتقام عليها العمارات السكنية ـ (يعنى من يمينها لشمالها).

وقد مضت فترة من الوقت ـ وأهل المدينة المنورة ينتظرون اقامة هذه العمارات السكنية ـ لأنها سوف يكون لها الأثر الكبير في مساعدة ذوى الدخل المحدود.. وبالتالي ـ تخفيض أجور السكن في المدينة... أكثر ـ فأكثر.

وأنى ألفت نظر ـ صاحب السمو الملكى الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الاسكان والاشغال العامة ـ الذي كان له الفضل فى اشادة هذه العمارات السكنية ـ في مختلف انحاء المملكة.. وهو المعروف باهتمامه بالمواطنين.. وبجيران المصطفى صلى الله عليه وسلم.

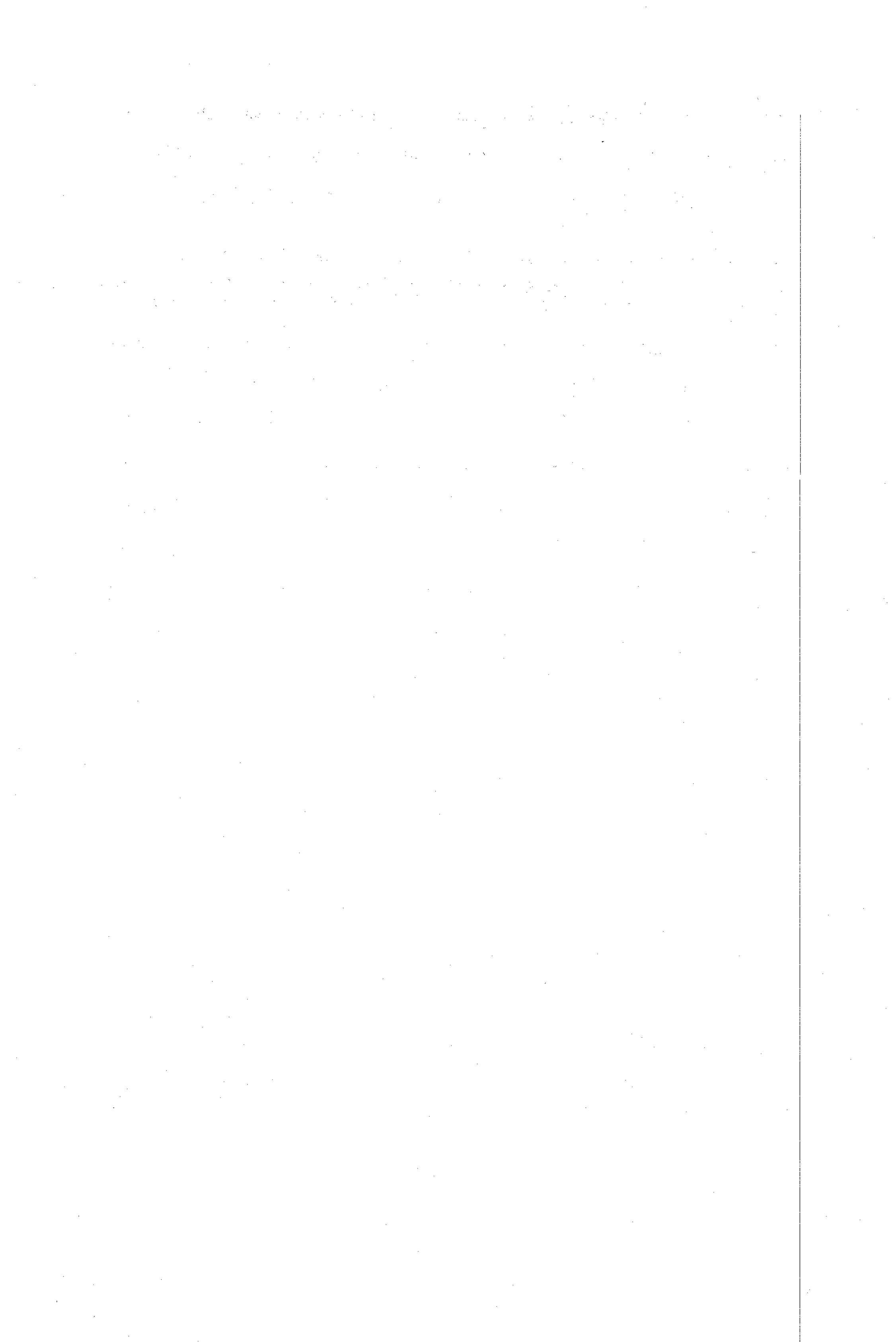
وأرجو أن تجد المدينة وأهلها من عناية سموه، ورعايته مايحقق لها اقامة

هذه المساكن ــ اسوة بمدن المملكة الاخرى. وأني لأرجوه أن يكون في تأخير انشاء المساكن خير.. وقد قال القدماء منا ــ (أن في كل تأخيره خيرة) ــ ولعل تأخير إنشائها فيه خير للمدينة، وللمنتفعين ــ من سكان المدينة.

وعلى هذا فإني اقترح ونحن مازلنا في أول الطريق ــ وبعد أن مرت بنا بعض التجارب ــ اقترح أن تقام مباني الاسكان ــ بالمدينة المنورة.. لا على شكل عمارات شاهقة بمصاعد، بل تقام على شكل مدينة سكنية حديثة.. وأن تخطط تخطيطا فنيا.. يكفل للسكان التنقل في سهولة ويسر.. وأن يكون ارتفاع المساكن في حدود دورين الى ثلاثة أدوار ــ فقط ــ وأن لا تضع بها (اسنسيرات) ــ لأن الاسنسيرات عرضة للتوقف، والمتاعب.. سيما اذا كانت ذات أدوار كثيرة.. وأن تراعى فيها مواقف للسيارات، واقامة مدارس لمختلف المراحل الدراسية، كما تراعى الخدمات الصحية والبلدية، والبريدية، وتقام بها مساجد وأسواق، وحدائق، ومجارى عامة، ومراكز للخطوط التليفونية، وملاعب للأطفال وكل مايحتاجه الساكن من مصالح لراحة السكان ــ فتكون مدينة متكاملة ذات شوارع واسعة بجميع لوازمها، ومنافعها تتحمل ضغط السيارات.

وفي المنطقة التي تحصلت فيها وزارة الاسكان على قطعة الأرض.. متسع من الجهة الجنوبية ــ اذا احتاج المهندسون الى زيادة من المساحات الأرضية تتسع للمصالح، والمنافع المراد ايجادها في هذه المدينة السكنية ــ وستكون ان شاء الله ــ نموذجية في تنسيقها، وتنظيمها، وتوفير وسائل الراحة فيها كما أن الخدمات العامة كالنظافة، والانارة وخدمات الأمن تكون ميسرة فيها بدون عناء.

أنها مجرد فكرة فكرة اعرضها وارجو أن تكون محل الدرس ولعل فيها ماينفع ويصلح للتنفيذ ــ والله ولى التوفيق .



** كلمتان لوزارة الصحة
وكلمة لوزارة المعارف

* اين مستشفى الحميات :

اظن ــ أن حصيلة المدينة المنورة.. من مشاريع وزارة الصحة لعام ٨٣ ــ ٨٤هـ.. هو مستشفى الحميات.. الذي اقره مجلس الوزارء.. واقر مبلغا في ميزانية وزارة الصحة لاقامة مبنى لهذا المشروع.

ولقد سمعت.. سعادة مندوب وزارة الصحة بالمدينة.. يتحدث عن هذا المشروع وعن اهميته وحاجة المدينة اليه.. ويبحث عن مكان مناسب.. خارج العمران.. لاستئجاره ــ مؤقتا ــ ليكون مقرا لمستشفى الحميات.. ولعزل المرضى.. الذين يقضى النظام الصحى عزلهم عن بقية المرضى الذين ينامون بالمستشفى.. ولقد مضى على هذا الكلام عدة شهور.. ولم يتم شيء في هذا المشروع.

وقد علمت ــ أنه رصد مبلغ لابأس به في ميزانية وزارة الصحة لعام ٨٣ ــ ٨٤هـ يقارب النصف مليون من الريالات.. لاقامة مبنى خاص لمستشفى الحميات.. على الطريقة الفنية الحديثة.. وكانت مندوبية وزارة الصحة.. تبحث عن ارض صالحة لاقامة هذا المبنى عليها.. وقد توفقت فى الحصول على ارض ملائمة خارج العمران، ليقوم عليها المستشفى.. وتبعد هذه الارض.. عن المدينة ٨ كيلومترات.. منها ٦ كيلومترات على خط المطار الاسفلتى وكيلومترين.. غير مسفلتين.. ولكنها معبدة وصالحة للسير..

نشرت في جريدة المدينة في ١٣٨٤/٢/٢١هـ

وقد وافقت البلدية على اعطاء هذه الارض لهذا المشروع الهام.. وهى من املاك الدولة.. وعرضت مندوبية الوزارة بالمدينة الامر على وزارة الصحة للتوسط لدى وزارة الداخلية بمنح هذه الارض لوزارة الصحة.. لاقامة مستشفى الحميات عليها.. وقد وافقت وزارة الداخلية.. وصدر الامر بمنح هذه الارض لوزارة الصحة.. وافراغها لها.. وتبلغ مساحة هذه الارض ٢٠٠ × ٢٠٠متر

كما انى علمت أن خرائط ومواصفات هذا المستشفى قد وضعت ونزلت في المناقصة العلنية.. وأن العطاء قد رسا على بعض المقاولين ولم يبق الا ان تسلم الارض للمقاول ليباشر في العمارة. ثم ماذا بعد هذا!!.

لقد فوجئنا.. بأعلان في الصحف المحلية.. من وزارة الصحة.. يطلب ارضا لا تقل مساحتها ١٥٠ × ١٥٠ مترا لشرائها واقامة مستشفى الحميات عليها بالمدينة المنورة.. ولم استطع أن أوفق بين ماسمعته بالامس ومارايته اليوم.

هل أن كل تلك المعلومات التى وصلت الينا من اختيار مندوبية وزارة الصحة.. لأرض بطريق المطار.. لهذا المستشفى وطلب وزارة الصحة من وزارة الداخلية منح هذه الارض لوزارة الصحة وموافقة وزارة الداخلية على منح هذه الارض وانزال مشروع هذا المستشفى بالمناقصة العلنية، وارساء مبانيه على مقاول مخصوص.. — اقول — هل كل تلك المعلومات خاطئة؟ أم أن وزارة الصحة بدلت رأيها.. في أخذ هذه الارض (البلاش) ولديها مبلغ زائد تريد صرفه في شراء ارض مساحتها ١٥٠ × ١٥٠مترا — يعنى ٢٢٥٠٠ مترا مسطحا وهى تعادل حوالى ٤٥٠ (مخزنا) باصطلاح المدينة.

واذا كان لدى وزارة الصحة مبلغ زائد فلم لا توفره للانفاق على متطلبات هذا المستشفى.. ومايحتاجه من اثاث وكماليات مادامت قد وجدت ارضا حكومية — بالمجان — ثم هل تدري وزارة الصحة.. عن قيمة مثل هذه المساحة من الارض بالمدينة.. أن ارضا بالمناخة بيع مخزنها بـ ٣٥

الفا من الريالات.. واذا كانت هذه الارض المطلوبة بعيدة عن العمران جدا.. فلا أقل من أن يكون قيمة المخزن الف ريال و يعنى هذا أن قطعة الارض المطلوبة للوزارة لاقامة مستشفى الحميات عليها..تكلف اكثر من نصف مليون ريال.. وهو ــ كما علمت ــ از يد بقليل مما رصد للمشروع بأكمله.. فى ميزانية ٨٣ ــ ٨٤هـ.

أنا لااعرف الآن.. وجهة نظر وزارة الصحة، ولكنى استطيع أن أقول لمعالى وزير الصحة.. أن الأيام تجرى سراعا ــ يامعالى الوزير ــ ولقد مضت الأن ثمانية شهور ــ من وقت اصدار الميزانية.. ولم تبق الا شهور اربعة فقط.. لقفل حسابات عام ٨٣ ــ ٨٤ وأن اخشى ماأخشاه أن تنتهى السنة المالية ونحن في المد والجزر.. والأخذ والرد دون أن يتم شيء في المشروع.. ومن ثم يجمد المبلغ المعتمد لهذا المشروع.. وتخسر المدينة المنورة حصيلتها من مشاريع وزارة الصحة لعام ٨٣ ً٨٤ بعد أن نادت المدينة بهذا المشروع.. منذ اربع أو خمس سنوات.. حتى وصل الى ماوصل اليه من نتائج سليمة.. و يكون قد ضاع ذلك المجهود الكبير الذي بذل لاقناع المسئولين بضرورة وجود هذا المستشفى بمنطقة المدينة.

اننى ارجو من معالى وزير الصحة.. الاهتمام بالمشروع.. والبت فيه.. قبل فوات الفرصة وان الارض التى اعطيت لوزارة الصحة.. البالغة ٢٠٠ × ٢٠٠متر تعتبر غنيمة يجب عدم التفريط فيها.. وأنها كما اعتقد صالحة للمشروع لأن اختيارها كان من الفنيين في مندوبية وزارة الصحة.

ارجو يامعالى الوزير أن تهتم بالامر قبل فوات الوقت.. فإن الوقت لاينتظر احدا.. ولاندري بعد ــ من المسئول عن ضياع المشروع ــ اذا ضاع ــ هل هي وزارة الصحة؟ أم مندوبية الوزارة بالمدينة التي تبنت هذا المشروع وانفاذه أم من المسئول؟

اننى اريد أن اسمع كلمة معالى وزير الصحة و يسمعها معى المواطنون

بالمدينة الذين ينتظرون معى تمام هذا المشروع ــ اذا تفضل وتكلم. ومرة اخرى أرجو أن يزيل معاليه ماعلق ببعض الاذهان من أن المدينة ومشاريعها آخر ما يفكر فيه في وزارة الصحة.

** في محيط التعليم :

رأيته صدفه ــ في الخطوط السعودية.. ولم أره منذ عدة شهور. سلمت عليه سلاما حارا.. وسألته عن حاله.. وعن الذي اتى به فى هذا الليل.. الى الخطوط.. فقال ــ انني مسافر غدا الى الرياض.. فقد انتدبت لتصحيح اوراق الشهادة ــ التوجيهية.. دعوت له بالتوفيق.. وقلت له: الله يقويك.. فقال شكرا ــ ولكنى احلت على المعاش من أول شهر محرم ١٣٨٤هـ.

وعتبت عليه.. كيف تترك ميدان التعليم.. وتحرم البلد من مجهودك العلمي.. وأنت في نشاطك وقوتك وظننت ــ أنه هو الذي طلب الاحالة الى التقاعد ليتفرغ للكتابة والتأليف.

فقال ــ انا لم اتخل عن الميدان.. ولم اطلب الاحالة الى التقاعد ولكن الوزارة هى التى أحالتنى!.

وقلت له.. اتحيلك الوزارة على المعاش؟.. وهى في هذه الحاجة للمدرسين.. وفي امس الحاجة اليك.. فقال ــ ان تابعيتى ــ هكذا ــ اعطتنى سن الستين.. واحلت على التقاعد.. روتينيا ــ فيما اظن.. وانا صحيح بلغت الستين. ولكنى مستعد لمواصلة العمل.

وعجبت..! عجبت. كيف يحال على المعاش ــ مثل الاستاذ المربى محمد سعيد دفتر دار.. وهو من يعرف الجميع.. أنه من خيرة رجالنا الافاضل.. علما وادبا، وفهما، واصولا للتدريس.. انه خدم العلم.. حوالى ٢٠ عاما في حقول التدريس.. ويتمتع بسمعة علمية فائقة.. لدى الطلاب.. وادارة التعليم، وهيئة التدريس.. وهو خريج كلية اللغة العربية

ويحمل شهادة بالتدريس.. وقد كان يشغل منصب ادارة التعليم بالمدينة المنورة.. ولكن حرصه على خدمة العلم.. ومواصلة الدرس، والتدريس.. جعله يطلب نقله.. من ادارة التعليم الى مدرس.. لأن الادارة تشغله عن خدمة العلم.. واجيب طلبه ونقل مدرسا بالمدرسة الثانوية.

عجبت! كيف تستغنى وزارة المعارف.. عن شخصية قوية كشخصية الاستاذ الدفتر دار.. وهو.. هو.. بنشاطه وحيويته وقوته.

كيف تستغنى عن خدماته.. وهى محتاجه للمدرسين.. على نطاق واسع لجميع اقسامها الدراسية.. الابتدائية، والاعدادية، والثانوية، والعالية وكان الاولى ان تستفيد الوزارة.. من خبرته الطويلة في مجال التعليم.

واكبر دليل على مايتمتع به من سمعة علمية.. لدى الاوساط التعليمية في وزارة المعارف.. اختياره لتصحيح اوراق الشهادة التوجيهية.. وطلبه من المدينة لهذه الغاية.. والغريب في الامر.. أن يحال الاستاذ الدفتر دار على المعاش اعتبارا من اول محرم ١٣٨٤هـ ثم ينتدب لتصحيح اوراق الشهادة التوجيهية في منتصف صفر ١٣٨٤هـ.. يظهر أن الروتين في ديوان الموظفين بالوزارة هو الذي احال الاستاذ على التقاعد والاوساط العلمية في الوزارة التي تعرف فضل الاستاذ ومدى علمه وكفاءته.. هى التي اختارته لتصحيح اوراق الشهادة التوجيهية.!

نعم الروتين ـ القاسى.. الذي لاينظر الا تحت اقدامه.. الروتين.. الذي سبق أن حرم نخبة من رجال التعليم الافذاذ.. حرمهم من ميدان العمل.. في خدمة بلادهم.. وحرم بلادهم من مجهودهم العملى، والثقافي والادبى.. الروتين ـ هذا ـ هو الذي مد يده ليحرم مدارس المدينة.. من رجل فاضل.. ومقدرة تدريسية.. يشهد بها كل من عرف هذا الرجل الفاضل.

ان في نظام الموظفين متسعا لاستخدام من ترى الدولة.. الاستفادة من كفاءته.. وخبرته بعد الستين. وهذه الكلمة اوجهها لمعالى وزير المعارف،

الشاب، الشيخ، العالم.. راجيا أن يتفضل بأعادة النظر في أمر احالة الاستاذ الدفتر دار على المعاش، وأن يتخذ مايراه.. للاستفادة من مجهوده العملى.. وخبرته الطويلة.. في مجال التدريس والتعليم.. فلا يجوز أن تختفى من الميدان مثل شخصية السيد الدفتر دار.. لالسبب الا لانه بلغ الستين. وانا واثق ان نظرة معالى وزير المعارف الصائبة ستعيده الى ميدان العمل والجهاد العملى*.

* في مستشفى الملك :

كنت في زيارة لبعض الاصدقاء في مستشفى الملك.. وسرنى مارأيت من نظافة المستشفى.. لقد رأيت الجدر تدهن بالبوية الزيتى وهى تلمع لمعانا ورأيت نظافة الغرف والممرات.. ورأيت المراتب.. العالية الجديدة.. في جميع القاعات التي مررت بها المخصصة لنوم المرضى.

ولولا صلة الصداقة التي تربطنى بمدير المستشفى الدكتور عصام خوقير.. وخوفى من أن اتهم بمحاباته، ومجاملته.. لتحدثت عما شاهدته ومارأيته لذلك عدلت عن ذكر شيء مما رأيت.. مكتفيا بهذه الاشارة العابرة.

وقلت لصاحبى.. الذي قدمت لزيارته بالمستشفى.. اننى اشاهد نظافة ملموسة في المستشفى.. — فقال — نعم — فيه نظافة.. شوف هذا الشرشف.. وامسك بيده.. بطرف الشرشف — الذي ينام عليه — وقال هذا الشرشف.. كل صباح يبدل.. وكررها — كل صباح يبدل.. ثم قال — بس آه — ياليتك شملت قاعات.. المرضى بمستشفى الملك بطلب المكيفات.. ولم تقتصر على قسم النساء.. — ثم اردف قائلا — ان الحرارة في الظهر لاتطاق.. واظنها اذا وصلت ٤٣ في اقسام النساء.. فإنها قد تصل الى ٤٦ هنا.. واشار الى مروحة في سقف القاعة.. واقفة، وقال اننى قلت للجماعة اننى مستعد لاصلاحها على حسابى.. اذا وافقوا على ذلك (انا

* للتاريخ — تفضل معالى الرجل الطيب وزير المعارف فاعاده الى الخدمة بمعارف المدينة.

اخسر ٤٠ — ٥٠ ريال بس ارتاح شوية من الحر) واشرت الى مروحة صغيرة امامه.. وقلت له — الا تكفي هذه المروحة.. فقال — لا.. ابدا لا تكفى.. هذه المروحة جبتها من بيتى.. وعطلت اهلى عليها.. وانا قصدى مروحة السقف.. لأنها تهوى كل القاعة تقريبا.. ثم قال: انا لست من جماعة.. اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر.. انا من جماعة

فلا نزلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

وتحمس صاحبى في الحديث.. ثم قال — انت معجب بالنظافة.. لانك عابر سبيل.. والله لايحوجك لدخول المستشفى.. اما أنا شخصيا فإننى — اتمنى أن يكون المستشفى وسخ — بس (مكندش) نستطيع ان نستريح فيه.

فقلت له: لا تقل هذا ياأخ احمد.. أن النظافة اساس في الصحة.. وأنها يجب أن تسبق كل شيء.. و(الكندشة) أن شاء الله فى طريقها.. فقال — اننا والله في نار كبرى — وقت الظهر.. دخيلك خليهم يشوفو لنا طريقة (لكندشة) هذه القاعات.. وقلت له سوف ارفع صرختك هذه.. التى تعتبر لسان حال جميع المرضى لمعالى وزير الصحة في البلاد والمسئول الاول.. عن الصحة فى البلاد.. وارجوه ان يرق و يعطف على مرضاه و يرسل الكندشانات.. اسوة بمستشفيات مكة — وجدة — والرياض.

ومسك اذنى وقال ليش ماترفعها للامير فيصل.. فقلت له لا.. انا لااتعدى الحدود.. وخلينا الان مع معالى وزير الصحة وارجو أن يقوم بالواجب وتنتهى المشكلة.

فالى معالى وزير الصحة ارفع صرخة هذا المريض الذي يعبر بها عن لسان حال المرضى.. وأرجو أن تنال من عنايته ورعايته مايزيل هذه الشكوى وان قيمة الكنديشنات مهما بلغت لا تساوى شيئا ابدا امام آلام هؤلاء المرضى الذين لاحول لهم ولاقوة.. الا بما يسعفون به من رجالنا المسئولين المخلصين.

** من الحافظة:

والظلم من شيم النفوس فأن تجد ذا عفة فلعلة لايظلم

ومهما تكن عند امرىء من خليفة وان خالها تخفى على الناس تعلم

واذا تكون كريهة ادعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جندب

كل من فى الوجود يطلب صيدا غير ان الشباك مختلفات

وكل يدعى وصلا بليلى وليلى لاتقر له بذاك

** ينبع تنادي وزارة المواصلات والمدينة تطالب

اجتازت ينبع فترة عصيبة من حياتها.. الاجتماعية والاقتصادية والصناعية، بعد توقف البواخر التجارية وبواخر الحجاج من الرسو في مينائها منذ الحرب العالمية الثانية..

لقد كانت ينبع.. منذ كانت.. هى الميناء الوحيد للمدينة المنورة.. وما حولها من مدن وقرى.. فكانت تنبض بالحياة والحركة.. والنشاط وبعد أن توقفت حركة البحر.. في ميناء ينبع ــ الا ماكان من السواعى الشراعية أو القوارب الصغيرة.. بعد توقف حركة البحر.. التي هي مصدر حيويتها ونشاطها فترة الحركة التجارية، والاقتصادية فيها.. وتبعها ركود وخمول في جميع مرافقها.. ــ حتى ان شبابها ــ شبابها الناهض.. الذي لم يجد ميدانا لنشاطه، وحيويته اضطر الى النزوح عنها.. للبحث عن لقمة العيش ــ وعن الحياة السعيدة.. فتجد الان معظم شباب ينبع.. بعيدا عن ينبع.. يعمل في مختلف مدن المملكة ومنهم من تسنم مراكز حكومية عالية.. واثبت نشاطا وفهما، ودراية في ادارة دفة الاعمال.. ومنهم.. من زاول الاعمال التجارية، والصناعية.. فبرز فيها.. واثبت جدارة وكفاءة ومقدرة.. وقد حرمت ينبع من مجهود ونشاط كثير من ابنائها، ورجالاتها العاملين.. بسبب الركود الذي ألم لها.

ولقد لمست الحكومة.. ماألم بينبع من ركود، وفتور.. فاهتمت بأمرها.. وعملت على اعادة النشاط والحركة اليها.. فربطت ينبع بالخط الاسفلتى

نشرت في جريدة المدينة المنورة في ١٣٨٤/٢/١٢هـ

الذي يمر من جدة الى المدينة.. واصبحت ينبع مربوطة.. بخط اسفلتي بالمدينة شمالا، وبجدة جنوبا.

وكان المظنون.. بعد سفلتة خط المدينة ــ ينبع.. ان ترسو ــ على الاقل ــ بواخر الحجاج.. التي تصل قبل الحج.. والتي لديها من الوقت.. مايكفي لزيارة حجاجها قبل الحج ــ كما كان الحال في سابق الازمان.. لأن المسافة بين المدينة، وينبع ــ تبلغ حوالى نصف المسافة بين جدة والمدينة.. فتوفر للبواخر القادمة من السويس.. مسيرة يوم ــ تقريبا ــ وتوفر على السيارات التى تقل الحجاج مسافة لاتقل عن ٢٠٠ كيلو متر.. وبالتالى تخفف الضغط عن الميناء بجدة.. الذي عجز عن استقبال كل البواخر التي تقصده.. سيما ايام الموسم.. مما سبب ارتباكا في الميناء وارتفاعا في سعر بعض السلع التجارية.. ومما اضطر وزارة المواصلات.. ان تعمل على توسعة ميناء جدة..

ومهما اتسع ميناء جدة.. فإنه لايمكن الاستغناء.. عن ميناء ينبع.. بالنسبة لتجارة المدينة ولقاصدى المدينة من الحجاج وللمساهمة في تخفيف الضغط عن ميناء جدة.

واذكر أن هيئة شكلت من كل من ادارات الحج، والأمن العام، والجوازات والجنسية، والجمارك.. لدراسة الاوضاع في ينبع.. وتأسيس مكاتب.. للدوائر ذات الاختصاص بأعمال الحجاج.. هناك لنزول الحجاج.. الذين يريدون الزيارة قبل الحج بينبع.. ولقد مضت مدة طويلة تقارب السنتين.. ولم نسمع شيئا عن نتائج هذه الهيئة.

على أن مصلحة الحجاج، ومصلحة شركات السيارات ومصلحة الموانىء، كلها تقضى بأن يكون نزول الحجاج الذين يصلون قبل الحج.. بمدة تكفى لزيارتهم المدينة المنورة.. أن ينزلوا فى ميناء ينبع.. ومنها للمدينة ــ وبعد الزيارة يتوجهون الى مكة المكرمة لاداء نسك الحج.. كما ان الحجاج الذين يؤدون الحج ثم يزورون المدينة بعد الحج.. يكون سفرهم من المدينة الى ينبع

ومنها يسافرون الى بلادهم على بواخرهم.. كما كان الحال من قديم الزمان ــ ذلك ــ لأن المسافة بين المدينة و ينبع حوالى ٢٤٠ كيلو مترا.. بينما المسافة من جدة للمدينة ٤٢٤ كيلو مترا.. فيتوفر على الشركات والبواخر حوالى نصف المسافة.. ويخف الضغط عن ميناء جدة.. كما يخف الضغط عن الخط الاسفلتى بين المدينة ــ جدة.

والخطوة الثانية ــ التى خطتها الحكومة.. لاعادة النشاط والحركة الى ينبع.. اصلاح ميناء ينبع المتصل بالبلد وجعل البواخر ترسو به.. وقد تم هذا المشروع ــ كما علمت ــ منذ شهر رمضان من السنة الماضية.. ومضى على اتمامه الان حوالى خمسة أو ستة شهور ولكنه لم يسلم حتى الان لجهة الاختصاص.. ولم يستعمل وتقف بعض البواخر التجارية التى يستقدمها بعض التجارة بصورة خاصة تقف بعيدة عن الميناء.. وتفرغ حمولتها على القوارب دون ان ترسو على الميناء.. وانا بدورى لاادرى ماهى اسباب عدم تسليم الميناء واستعماله.. بعد ان تم ــ كما علمت ــ الجواب ــ طبعا ــ عند وزارة المواصلات او مصلحة الموانىء..

ولم يبق ــ الآن ــ عذر.. بعد اصلاح ميناء ينبع وربطها بخط اسفلتى.. الى المدينة وجدة.. لم يبق عذر.. للبواخر التجارية و بواخر الحجاج.. بعدم الرسو في ميناء ينبع.. والميناء ان لم يسلم اليوم فسوف يسلم غدا.. و يصبح صالحا لاستقبال البواخر بأنواعها.

وانى ارجو ان يتخذ المسئولون ــ من الان ــ الاجراءات الكفيلة بدخول البواخر التجارية و بواخر الحجاج الى ينبع.. وأن في الوقت متسعا لتأسيس مكاتب للدوائر ذات الاختصاص لاستقبال الحجاج.. اما البواخر التجارية.. التى تحمل مؤنا ولوازم للمدينة المنورة وما حولها.. فلم يبق لها محل.. لأن تنزل بضائعها بجدة فإن في ذلك خسارة عليها.. وعلى المستهلك بالمدينة واطرافها.. وعدم انتظام للحركة التجارية..

أن مدينة ينبع هى احدى مدن المملكة السعودية.. وهى حرية بالعناية

والرعاية من الجميع.. وان الواجب على المسئولين.. في مختلف مصالح الدولة.. أن يؤدوا ماعليهم من واجب نحو هذا البلد.. المعروف بطيبة وطيب اهله.. وأن يعيدوا اليها مافقدته من حيوية ونشاط.. اما الجهات العليا في الدولة.. فقد ادت ما عليها نحو هذا البلد.. وماعلينا الا ان نكمل الباقي والله ولى التوفيق.

** حاجة مستشفى المدينة :

هذه الكلمة.. اوجهها لمعالى وزير الصحة.. وارجو أن تنال من عنايته مايحقق مطالب المدينة.. ومايخفف آلام مرضاها بمستشفى الملك. لقد علمت — يامعالى الوزير — ان درجة الحرارة.. في قسم النساء العلوى بمستشفى الملك بلغت ٤٢ و ٤٣ درجة.. وان بعض السيدات قد اصبن بما يشبه ضربة الشمس.. وهن بغرفهن بالمستشفى وانا لااستبعد هذا.. فإن الاقسام العلوية بالمدينة تبلغ حرارتها.. الى هذا الحد.. وقد تزيد.. سيما المباني بالمسلح..ولابد من علاج لتخفيف درجة الحرارة عن المرضى وعن المرضات.

إن هذه الغرف.. بهذه الحرارة.. تمرض الصحيح.. فكيف بالسقيم.. اننا في عصر المكيفات الكيماوية والمكيفات الصحراوية.. وجميع الدوائر الرسمية اليوم مكيفة الهواء.. وأن المرضى لاحوج واولى من الموظف بتكييف الهواء.. واعتقد جازما يامعالى الوزير انك لا تعلم.. عن ارتفاع درجة الحرارة بالمستشفى لهذا الحد.. ولا تعلم عن الحوادث التى لحقت ببعض المرضى من جراء الحرارة لو علمت لما توقفت لحظة في تأمين المكيفات اللازمة للمرضى وغير المرضى من الموظفين، والأن وبعد أن علمت هذا ارجو المسارعة في تخطى كل شيء وتأمين المكيفات لهؤلاء المساكين الذين لاحول لهم ولاقوة.. وينتظرون الفرج من الله ثم منكم. وأرجو الا يعقد الروتين — روتين المعاملات تأمين المكيفات والا يعيد التاريخ نفسه.. فقد سبق أن قرأت في بعض الصحف الخارجية.. ان بعض المستشفيات طلبت بطاطين

لوقاية المرضى من البرد.. وان هذا الطلب دار في فلك الروتين.. ونظرا لسلامة الطلب ووجاهته.. فقد صدر الأمر بتأمين البطاطين ولكن متى صدر الامر.. صدر في الصيف.. ثم توقف الصرف لأنه لم يبق من حاجة لهذه البطاطين..

وموضوع آخر يامعالى الوزير.. هذا الموضوع قد لايقل اهمية عن موضوع ارتفاع درجة الحرارة في المستشفى.. وهو عدم وجود طبيب تخدير بالمستشفى وكيف يطمئن المريض أن يجرى له عملية جراحية.. وهو يعلم ان من يتولى تخديره ممرض لا طبيب.. ولاازيد أن أعلق كثيرا على ماقد يحدث من تولى ممرض مهمة التخدير.. فإن ذلك لايحتاج الى ايضاح.. ان كثيرا من المرضى.. يضطرون للسفر لجدة وقد يكون الى أبعد من جدة.. للعلاج.. واذا لزم الامر لاجراء عملية جراحية.

اننى ارجو ان تهتم يامعالى الوزير بأمر تكييف المستشفى وطبيب التخدير فليس كل الناس بمستطيع السفر الى جدة او غير جدة.. وليس في الناس من تهون عليهم ارواحهم فيسلمونها لممرض يتمرن عليها.. هذان مطلبان ـ من مطالب المدينة ـ من مطالب مرضى المدينة ارجو العناية بهما وتأمينهما.. واقناع اهالى المدينة بأن المدينة ليست كما هو مطبوع في اذهان البعض من أن مطالبها في مؤخرة الطلبات دائما.

** الحظ .. هل هو حقيقة .. أم خيال :

الحظ، او الفرصة، أو المقدّر ـ بتشديد الدال ـ سمه ماشئت.. ولكنك لا تستطيع حذفه.. من قاموس الحياة.

هذه الظاهرة الغريبة ـ ظاهرة تسلط الحظ على العقل ـ تتكرر منذ الاجيال الغابرة.. ومازالت تتكرر على مسرح الحياة.. ومازالت محل النقاش، واختلاف الرأى.. بين المفكرين والادباء منذ الخليقة.

لقد أثار.. الكتاب وذوو الرأى.. في مختلف العصور، والاجيال ـ

اثاروا الصراع القائم بين الحظ ـ والعقل ـ اثاروه ـ ولكنهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى نتيجة ـ بل لايزالون مختلفين فيه.. ولم يستطع فريق منهم اقناع الفريق الآخر.. ولايزال الخلاف ـ يثار من حين لآخر.. كلما تكررت تلك الظواهر ـ بما فيها.. من فوارق يحتار فيها العقل.. ويقف عندها التفكير حائرا..

لقد قال قوم.. أنه لايوجد شيء اسمه «الحظ». وأن الحياة للكادحين، العاملين ـ للعقلاء والمفكرين.. وان الحياة.. لا تعين عاجزا.. ولاتجود على خامل تنبل..

وقال آخرون ـ ان الحظ ـ يلعب دورا كبيرا في حياة الانسان.. وان الحظ ـ لا الجهد، ولا العقل، ولاالعرق.. ـ الحظ ـ هو الذي يهيىء السعادة للمرء وهو الذي يقوده الى الشقاء.. أما مميزات الإنسان.. من رجاحة عقل.. ومن كفاح وجهد.. فإنها تأتي.. في الدرجة الثانية في رأيهم.. وأن الحظ هو الذي يستخدم العقل ويسخره. ويقولون.. ان والدة الاسكندر الكبير.. الملقب بذي القرنين الذي كان يعيش في القرن الرابع قبل الميلاد.. والذي كانت له الفتوحات الكبيرة في الشرق والغرب ـ يقولون ـ ان والدة هذا الزعيم دعت له بقولها «اللهم ارزقه حظا يخدمه به ذوو العقول ولا ترزقه عقلا يخدم به ذوى الحظوظ».. وسواء صحت هذه الرواية.. عن والدة الاسكندر.. ام لم تصح.. فإنّها تعطى فكرة واضحة.. عن اصطراع العقل مع الحظ.. منذ الأجيال القديمة..

وتسلط الحظ على العقل.. يكاد يكون ملموسا.. وانك لتقف.. مبهوتا امام كثير من الظواهر.. التى لم تجد فيها العقل يتثاءب ويتدهور.. أمام الحظ.. تجد الكسول الخامل الغبى الأبله.. قد ارتفع إلى قمة المجد .. والعاقل المجد الكادح.. يبحث عن لقمة العيش فلا يجدها..

كم عاقل ـ عاقل ـ اعيت مذاهبه..

وجاهل ــ جاهل ــ تلقاه مرزوقا.

تقف محتارا مبهوتا.. أمام هذه الظاهرة.. فلا تدرى.. كيف تهضمها.. ولا كيف توجهها.. وكيف تزنها بميزان العقل.. تحاول أن تنتزعها.. من قاموس الحياة.. لأنها لاتنطبق على قاموس الحياة.. ولكنك تصطدم بالواقع.. وتبحث عن السبب.. فلا تجد ما يقنعك.. أو يريح تفكيرك.. من قبل ــ فتقول أنه الحظ ــ انهم المحظوظون.. الذين يولدون.. وفي افواههم ملاعق من ذهب.

وولـيـد تخضع الدنيا له   ووليـد في عداد المهملين

ويقول من ينكر وجود الحظ.. أنه ليس للانسان إلا ماسعى. ليس له الا جهده وكفاحه.. في الحياة.. ومايتميز به من عقل، ودراية وعلم.. واذا وجدت امرءا.. ارتفع الى قمة المجد وهو غير جدير بهذا الارتفاع.. فأبحث عن السبب.. ابحث عن السبب من جذوره.. فسوف تقف على السبب ويزول منك العجب.

فمثلا.. اذا رأيت إنساناً تسنم مركزا.. ليس هو اهل له.. أو نال ثراء أو جاها لايستحقه.. فإنك ستجد.. أن ماناله من مكانه، او جاه، إنما كان من جهد غيره.. ستجد ان له قربى أو رحما أو دالة.. على المسئول.. الذي يملك أن يعطيه فوق حقه.. ستجد ان هذه الرفعة وهذا السمو.. جاء من جهد غيره.. وجاء بعرق وكد غيره.

أما من يعتقدون أن للحظ النصيب الأوفى.. في حياة الانسان.. فإنهم يعللون..كل هذه الاسباب.. والظواهر التى لاتنطبق على قاموس الحياة يعللونها بالحظ.. فمن حظ هذا ان يكون له قربى.. أو رحم.. يبدلان شقاءه بسعادة.. وبؤسه بنعيم.. ومن سوء حظ ذاك أن يوكل الى نفسه.. ويحرم من عطف الغير وحنانه. ويحضرنى الآن بيت بن الرومى الذي تحدث فيه عن الحظ فقال:

ان للحظ كيمياء اذا ما   مس كلبا احاله انسانا

وهنا حادث.. رددته الصحف الامريكية.. ونقلته عنها الصحف العربية ــ مفاده ــ أن (مليونيرا) امريكيا ــ مر بمطار القاهرة وطلب من بائع الصحف بالمطار ان يعطيه صحيفة ــ اللغة الانجليزية ــ فأعطاه.. وقدم له المليونير الامريكى دولارا ثمنا للصحيفة..ولكن بائع الصحف اعاد الدولار لصاحبه وقال له النظام يمنع بيع الصحف بغير العملة المحلية.. فقال له الامريكى ولكن لايوجد لدى شيء.. من عملة بلادكم.. فقال له بائع الصحف.. لابأس خذ الجريدة هدية منى.. وأخذ الامريكى المليونير الجريدة.. ولكن بائع الصحف كبر فى نظره.. وعرض عليه أن يأخذه معه الى امريكا ليدخله المدارس و يعلمه على حسابه.. فوافق.. وفى اثناء دراسة هذا الطالب ــ توفى الامريكى الميلونير ــ ولكنه اوصى لبائع الصحف بنصف ماله.. فورث ثلاثة ملايين من الدولارات.. وانتقل بائع الصحف من عالم الى عالم.. ومن حياة الي حياة.. ومن وسط الى وسط.. وهل يمكن ان يعزى هذا الحادث وأمثاله الى غير الحظ..؟ ان الحياة مليئة بأمثال هذه الحوادث.. فبم نعللها؟

** مقتطفات من الحافظة

لولا مواهب في بعض الانام لما   تفاوت الناس في الاقدار والقيم

خلقت كريما لأرى لابن حرة   على يد أغضى لها حين يغضب

واكرم نفسى اننى ان اهنتها   وحقك لم تكرم على احد بعدى

وأتعب من ناداك من لاتجيبه   وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

فهرس الكتاب

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
المعذر ٤٨٢٤٩٨٣
٤٨٢٤٨٦٥
الملز ٤٧٨٨٥١٠